





الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل : ٤٩٢٠
رقم التسجيل : ١٧٥٢٥

مطبعة خان بكية مصر

# قصص من الكتب المفدسة

تأليف

عبد المحميد حمودة السحلا



الناشر : مكتبة  
٣ شارع كامل مدني / القاهرة

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه



# خطيئة ودم

( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب  
الرحيم ) •

« قرآن كريم »



## - ١ -

كان كل شيء فضاء ، فلا هواء ولا ماء ، ولا أرض ولا سماء ،  
ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا ضياء ، وكان الرحمن ما فوقه هواء ،  
وما تحته هواء ، وأراد أن يخلق الكون فخلق الريح ، ثم خلق الماء  
على متن الريح ، ثم خلق عرشه على الماء ، وسما الدخان  
على الماء فسمى سماء ، واستوى الرحمن إلى السماء وهى دخان ،  
ثم رفع سمكها فسواها ، ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات ، ثم  
خلق الأرض فكانت رقعا ، لا ليل ولا نهار ، ثم خلق الليل فكان  
الكون ظلاما فى ظلام ، ثم قال للسماء :

— أطلعى شمسى وقهرى ونجومى .

فبزغت الشمس فى رقعة السماء ، وطلع القمر وتلألأت  
النجوم الألاء ، ثم محا آية الليل ، فبقى النور وذهب الضياء ،  
وجعل آية النهار مبصرة ، وقدر للكواكب منازلها ، فراحت كل  
تجرى لمستقر لها ، وهجم على الليل النهار ، فبدد ضياؤه الظلام ،  
ثم دحا الأرض فانبسطت رقعتها ، ثم قال لها شتقى أنهارك ،  
وأخرجى نهارك .

فتدفقت الأنهار ، وأنبئت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً ، ثم أرسى  
الجبال ، ثم خلق الطير والزواحف والدواب ، فراح الطير يرفرف  
بأجنحته فى السماء ، وأخذت الزواحف تزحف على بطونها ،  
وجعلت الدواب تدب على الأرض الفضاء .

خلق الله السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسه

من لغوب ، ثم استوى على عرشه تحف به ملائكته تسبح بحمده ،  
وتقدس له ، وراح الليل يطلب النهار حثيثا ، ففشى الليل  
النهار ، وباتت الدنيا فى ظلام ، ولما أشرف نور الصبح قال الله  
لملائكته :

— إني جاعل فى الأرض خليفة .

فقال الملائكة :

— أنجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن  
نسبح بحمدك ونقدس لك !

فقال لهم :

— إني أعلم ما لا تعلمون .

وقبض الله قبضة من جميع الأرض ، فكان فيها الأبيض  
والأسود والأحمر ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ،  
ثم بكت القبضة حتى صارت طينا لازبا ، ثم صور الله الانسان ،  
فكان جسدا من طين ، ثم ترك حتى صار حما مسنونا ، وبقي  
حتى أصبح صلصالا ، فمرت به الملائكة ، ففزعوا منه . وكان  
ابليس أشدهم فزعا ، فراح يقترب منه ويضربه ، فيصوت الجسد  
كما يصوت الفخار ، فكان يفهم !

— لأمر ما خلقت !

وجعل ابليس يطوف به ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق  
لا يتمالك ، فقال للملائكة فى استخفاف :

— لا تهابوا هذا ، فان ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت  
عليه لأهلكنه .

فقال الملائكة بعضهم لبعض :

— لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه .



## - ٢ -

وبقى جسد البشر مدة ، ثم جاء ربك والملائكة صفوا صفا ،  
ثم قال للملائكة :

— إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

فراح ابليس يقيس بين نفسه وذلك الجسد الذى سوى  
من طين ، فرأى نفسه اشرف منه ، فهو من تار ، وأين الطين من  
النار ؟ وما درى أن فى الطين الرزانة والحلم والنمو ، وفى النار  
الطيش والخفة والسرعة والاحراق ، فاستكبر وعزم على الا يسجد  
مع الساجدين .

ونفخ الله فيه من روحه ، فجعل لا يجرى شئ منها فى  
جسده الا صار لحما ودماء ، وجرت الروح أول ما جرت فى  
بصره ، فراح ينظر الى جسده ، فأعجبه ما رأى من حسنه ،  
فذهب لينهض فلم يقدر ، فلما سرت الروح فى بقية جسده ،  
انتصب واقفا ، وسمى آدم ، لأنه من اديم الأرض خلق .  
وسجد الملائكة لآدم الا ابليس ، أبى واستكبر وكان من  
الكافرين فقال الله له :

— ما منعك أن تسجد إذ أمرتك .

قال :

— أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين .

قال :

— فاهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج اناك

من الصاغرين .

قال :

— انظرنى الى يوم يبعثون .

قال :

— انك من المنظرين .

قال : فيها أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمنهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين .

قال : اخرج منها مذموماً مدحوراً ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴿٢٠﴾

وخرج إبليس منها ذليلاً ، وقال الله لآدم :

— إيت أولئك الملائكة ، فقل لهم : السلام عليكم .

فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله .

ورجع آدم الى ربه عز وجل ، فقال الله له :

— هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ..

— ٣ —

وئساء ربك أن يرى الملائكة أنهم ما كانوا صادقين لما قالوا : لا يخلق ربنا خلقاً الا كنا أعلم منه ، فجلب من الأرض حيوانات البرية ، وطيور السماء ، ثم عرضها على الملائكة ، فقال :

— أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .

قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك انت العليم

الحكيم .

قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم .

فجعل آدم يذكر اسم كل طير ، وكل زاحفة ، وكل دابة ،  
فقال الله سبحانه :

— ألم أقل لكم ، إني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم  
ما تبدون وما كنتم تكتمون .

وأسكن آدم الجنة ، فأراح يضرب فيها وحيدا ، ثم وفد  
عليه النوم ، فأراح في سبات عميق . وشاء الله أن يخلق له  
زوجة له يسكن اليها ، فأخذ ضلعا من أضلعه من شقه الأيسر ،  
والأم مكانها لحما ، وادم نائم لم يهب من نومته ، وخلق الله من  
ضلعه امرأة ، وجلست المرأة عند رأسه تتطلع اليه ، فلما هب  
آدم من نومه ، رأى عند رأسه مخلوطة حلوة ، تديم النظر اليه ،  
فرمقها في عجب ، وأحس نحوها عطا وانجذابا ، فسألها  
في دهش :

— ما أنت ؟

— امرأة !

— ولم خلقت ؟

— لتسكن إلي !

وراح ينظر اليها من رأسها الى قدمها في غبطة ونشوة ،  
وأقبلت الملائكة عليهما ، وشاءوا أن يروا مبلغ علمه ، فسألوه :

— ما اسمها يا آدم ؟

— حواء .

— ولم سميت حواء ؟

— لأنها خلقت من شيء حي .

وجعل ابليس يجول خارج الجنة ، لا يجرؤ على الدنو منها ،  
فقال الله الأدم :

— يا آدم ، ان هذا عدو لك ولزوجك ، فلا يخرجكما من

الجنة فتشقى ، إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تضلها فيها ولا تضحى .

وجعل آدم ينظر الى حواء وقد أحس غبطة ، فلم يعد يمشى فى الجنة وحشا ليس له من يؤنس ، فقد أنعم الله عليه زوجة ، بعض لحمه ودمه ، وراحا يسيران عريانين ، لا يخجلان ، فما كانا يعرفان خيرا ولا شرا ، وقال الله لآدم :

— يا آدم ، اسكن أنت وزوجك الجنة . وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة ، فتكونا من الظالمين .

ونظرت حواء الى الشجرة التى حرمها الله عليها ، فاذا هى بهجة للعيون ، وفتنة للناظرين ، ثم تحولت عنها ، وراحت وآدم يأكلان من ثمار الأشجار الأخرى ، وعاشا فى رغد من العيش ، وسعادة وهناء .

## — ٤ —

طرد ابليس من الجنة ، فعزم على أن يوسوس لآدم وحواء ، وأن يزين لهما معصية الله ، فيخرجهما من الجنة ، وحاول أن ينفلت الى الجنة غير مرة ، لينفذ أمنيته ، ولكن خزنة الجنة كانوا يردونه فى كل مرة ، فلم ييأس ، وفكر فى أن يعرض نفسه على دواب الأرض أيها تحمله حتى يدخل الجنة ، فيكلم آدم وزوجه ، فانطلق وعرض نفسه على الدواب ، فأتت الدواب جميعا ذلك عليه ، فذهب الى الحية ، وكانت كاسية من أجمل الدواب ، تمشى على أربع قوائم ، فكلما فُتِل لها :

— امنعك من بنى آدم ، فأنت فى ذمتى ان أنت ادخلتنى الجنة .  
فقبلت الحية ما عرض عليها ، فجعلته بين نابين من أنيابها ،  
ثم دخلت به الجنة ولم يفتن الخزنة الى ذلك . فلما اطمأن  
ابليس الى انه أصبح فى الجنة ، خرج من الحية ، وأسرع الى  
آدم ، وراح يوسوس له :

— يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟

فأعرض آدم عنه ، ولكن ابليس استمر فى وسوسته :

— ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا  
من الخالدين .

فلم يصغ آدم اليه ، وفر منه ، فأسرع ابليس خلفه ، وأخذ  
يقسم :

— والله انى لكما من الناصحين .

فوضع آدم أصبعه فى أذنه ، وأشاح بوجهه عنه ، فارتد  
ابليس عنه وهو حسير ، وأيقن أنه ليس على اغراء آدم بتقدير ،  
ولكن ما لبث أن رأى حواء تتطلع الى الشجرة المحرمة ، فأسرع  
اليها وقال لها :

— انظرى الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب  
طعمها ، وأحسن لونها .

فتطلعت حواء اليها فى اشتياق واشتهاء ، ثم مدت يدها  
اليها وتناولت منها ، وأكلت وأسأغت ما أكلت ، فالتفتت الى  
آدم وقالت :

— يا آدم كل فانى قد أكلت !

— لا ..... .

— كل ، لقد أكلت ولم تضرنى .

— لا .... .

فتركته حواء وقد زوت ما بين حاجبيها ، وانتبذت مكانا  
قصيا ، وأحس آدم رغبة الى حواء ، فدعاها لحاجته ، فقالت :  
— لا ! الا أن تأتي ها هنا !

فقام آدم ، وسار الى حيث كانت حواء ، وطوقها بذراعيه ،  
فأشاحت بوجهها عنه ، وأظهرت دلالا ، فلم يستطع آدم أن يصبر  
على دلالتها ، فمد يده الى وجهها النافر ، وأداره لتتلاقى عيناها  
بعينيها ، لعلها ترى ما فى عينيه من حب ، فلما التقت العيون  
قالت فى اغراء :

— لا ! الا أن تأكل من هذه الشجرة .

فانهارت مقاومة آدم جميعا ، وقام الى الشجرة يتناول منها  
ويأكل ، فعرف كل شيء ، عرف أنه عريان ، كما عرفت حواء  
أنها عريانة ، فبدت لهما سوءآتهما ، وطفقا يخلصان عليهما من  
ورق الجنة ، وأقبل الرحمن ، فلما رآه آدم ، ذهب هاربا فى  
الجنة . ناداه ربه :

— يا آدم ، أمنى تفر ؟

— لا يارب ، ولكن حياء منك .

— ألم أنهك عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما أن الشيطان  
لكما عدو مبين ؟ ! لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟  
فقال آدم :

— يا رب ، أطعمتني حواء .

فقال لحواء :

— أنت التى غررت عبدى ، فأنك لا تحملين حملا إلا حملته  
كرها ، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت  
مرارا .  
وقال للحية :

— أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غر عبرى ، ملعونة  
أنت حتى تتحول قوائمك فى بطنك ، ولا يكن لك رزق الا التراب ،  
أنت عدو بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت  
بعقبه ، وحيث لقيك شددخ رأسك .

فقال آدم وحواء فى استغفار :

— ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تنفر لنا وترحمنا لنكونن من  
الخاسرين .

فقال الله الآدم :

— أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة  
عما حرمت عليك ؟

فقال آدم فى انكسار :

— بلى يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن احدا يحلف بك  
كاذبا .

فقال الله :

— فبعزتى لأهبطك الى الأرض ، فلا تنال العيش الا كذا !

فقال آدم فى ذلة وتضرع :

— رب غفرانك ، رب غفرانك !

فقال الله :

— اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر  
ومتاع الى حين .



- ٥ -

وهبط آدم الى الأرض ، وعلى رأسه أكليل من شجر الجنة ،  
والقى نفسه على قمة جبل فى الهند وحيدا ، فراح يتلفت الى اليمين  
والى الشمال ، ويدور على عقبيه ، ويمد بصره الى الأفق البعيد ،  
فلا يجد الا الأرض والسماء ، فيحس رهبة ، لقد كان بجوار الرحمن  
أمنا هائلا ، فصار طريدا هائلا على وجهه ، لا يدري ما يفعل  
فى هذا الكون العريض ، كانت حواء الى جواره فى جنة النعيم ،  
تقاسمه هناءه ، فما باله لا يجدها اليوم معه فى دنيا الشقاء  
تقاسمه شقاءه ، لقد كانت سبب نكته وأس بلائه ، ولكنه ما كان  
يحس نحوها حقدا أو بغضا ، بل كان يحن اليها ، وكانت أمنيته  
الأولى على وجه الأرض أن يتلاقى وزوجه .

وهبط آدم من على الجبل حتى بلغ سفحه ، وجعل يتلفت  
باحثا منقبا عن حواء ، ولكنه لم يجد لها من أثر ، فانقبض صدره ،  
وسالت عبراته ، وجعل يبكى على الفردوس المفقود .

وهبطت حواء بجدة من أرض مكة ، فألفت نفسها وحيدة فى  
ذلك الفضاء العريض ، فجزعت ، وراحت الرياح تولول وتصفر ،  
فازداد فزعها وجزعها ، وسقط الليل فراحت حواء تتلفت فى جزع  
واضطراب لعلها تجد آدم أثرا ، أو لعل آدم يفد عليها فينقذها مما  
هى فيه من عذاب ، ولكن انقضى شطر الليل ولم يظهر آدم ،  
فجعلت تبكى حتى كاد قلبها ينصدع من البكاء .

وتصرم الليل وآدم نائم عند سفح الجبل ، وابتدأت الشمس  
تبرز ، فهب من نومه يستقبل أول نهار يفد وهو على الأرض ،



ويرقب الشمس التى رأحت تطل على الكون ، ويبس الاكليل الذى كان على رأسه فتحات ورقه ، وسقطت الأوراق على الأرض فنبئت طيبا فى أرض الهند . وجعل آدم يضرب فى الفضاء ، وينظر الى سعة الأرض وبسطتها فلم ير فيها أحدا غيره . فاستوحش وقال :

— يارب ، أما الأرضك هذه عامر يسبح بحمدك ويقدس لك غسيري ؟

فسمع صوت الله يقول :

— انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى ويقدسنى ، وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ، ويسبح فيها خلقى ، ويذكر فيها اسمى ، وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى ، وأوثره باسمى وأسميه بيتى ، أجعله حرما آمنا يحرم بحرمنه من حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرمة بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه ، فقد أخفر ذمتى ، وأباح حرمتى . أجعله أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا ، يأتونه شعنا غربا على كل ضامر من كل فج عميق ، يرجون بالتلبية رجيجا ، ويشجون بالبكاء ثجيجا ، ويعجون بالتكبير عجيجا ، فمن اعتمره ولا يريد غيره ، فقد وفد إلى وزارنى وضافنى ، وحق على الكريم أن يكرم وفده وضيفه ، تعمره يا آدم ما كنت حيا ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرنا بعد قرن .

وأحس آدم حنيننا الى بيت الله هذا الذى بمكة ، وأوحى اليه ان ينطلق الى البيت الحرام الذى أهبط له الى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله .

وراح آدم يطوى الأرض طيا ، حتى اذا بلغ مكة لمح امرأة على البعد تغذ السير ، فخفق قلبه ، واضطرب

نفسه ، فأسرع نحوها وقلبه فى صدره كجناح خافق ، يكاد يقفز من فيه من شدة الفرح ، انها هى ، حواء نفسها ، الزوجة وحببية الفؤاد . ولما رآته حواء ، ارتمت فى أحضانها تبكى وتنتحب فضمها الى صدره فى وله واشتياق .

لقد التقيا وتعارفا بمكة ، فسمى مكان تعارفهما عرفات .

## — ٦ —

وانطلق آدم وحواء الى بيت الله ، واذا هو ياقوتة واحدة ، فراحا يطوفان ، ولما أتيا مناسك الحج ، عادا الى الهند ، فاتخذا مغارة ياويان اليها فى الليل والنهار ، وأحس آدم شيئا يعرض أمعاءه ، وشعر بضعف وخور ، فلما جاءه جبرائيل وصف له ما يحس ، فقال جبرائيل له :

— انه الجوع !

فقال آدم فى عجب :

— الجوع ! وما أفعل ؟

فأجابه جبرائيل :

— استطعم ربك .

وذكر آدم ما كان فيه من نعيم ، فبكى وبكت حواء ، ورفع آدم وجهه الى السماء وجعل يدعو الله أن يطعمه ، وأخذ بطنه يصرخ به ، فأخذ فى الابتغال والدعاء ، فبعث الله اليه مع جبرائيل بسبع حبسات من حنطة ، فوضعها فى

- يد آدم ، فنظر اليها آدم ، ثم رفع عينيه الى الملك واستفسر :
- ما هذا ؟
- هذا الذى أخرجك من الجنة .
- وما أصنع بهذا ؟ أكله ؟
- انثره فى الأرض .
- فنثره آدم فأنبته الله من ساعته ، فنظر آدم الى الحنطة ، ثم قال :
- أكله ؟
- فقال له جبرائيل :
- احصده .
- فقال :
- احصده ؟ كيف ؟
- فأراه جبرائيل كيف يحصده ، فراح آدم يعمل ، فلما انتهى من حصده جمعه ثم سكت ، وتطلع الى جبرائيل ، فقال هذا له :
- أفركه .
- فقال :
- أفركه ؟ وكيف أفركه ؟
- فقال جبرائيل :
- أفركه بيدك ،
- فأخذ آدم يفركه بيديه ، وجعل العرق يتفصد منه ، ولما انتهى قال لجبرائيل فى لهفة :
- أكله ؟
- أذره .
- وكيف أذروه ؟

فأراه جبرائيل كيف يذروه ، فجعل آدم يعمل وقد أحس تعباً ، ولكنه استمر في عمله ، فان الجوع يعضه وان صراخه لينبعث من جوفه ، وانه ليود أن يسكت ذلك الصراخ الأليم وان كد وتعب ، ولما انتهى من تذريته تنفس الصعداء ، فقد حسب أن تعبته قد انتهت ، وان جبرائيل سيأمره بتناول طعامه ، ولكن جبرائيل قال له :

— اطحنه .

فقال آدم في تبرم :

— وبم أطحنه ؟

فأثاه جبرائيل بحجرين ، فوضع أحدهما على الآخر وقال :

— بهذه .

فطفق آدم يطحن الحبات بين شقى الرحى ، وقد سال عرقه ، وبان عليه الكلال .. وتم الطحن ، وقبل أن يلتقط انفاسه المبهورة ، قال له جبرائيل :

— أعجنه .

فقال آدم في صوت خفيض ذليل :

— وكيف أعجنه ؟

فأمره أن يجلب ماء ، وأن يضع الدقيق في وعاء ، وان يب الماء عليه ، ثم أراه كيف يعجنه ، فأخذ آدم يعجن ، ولما نهى رفع رأسه وراح ينظر الى جبرائيل ، فقال له جبرائيل :

— أخبزه .

— وكيف أخبزه ؟

— أوقد ناراً .

— وكيف أوقد ناراً ؟

— اجمع بعض الأغصان اليابسة .

فجمع آدم بعض أغصان ييبست ، وجمع جبرائيل له الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار ، فاشتعلت الأغصان ، فمد آدم يده وفبض على النار فصرخ ، فقد احترقت يده ، ونظر الى جبرائيل فقال هذا :

— لقد أحرقتك النار لأنك عصيت الله .

وأخذ آدم يخبز خبزه ، فلما انتهى قال له جبرائيل :

— الآن كل يا آدم !

وارتفع جبرائيل ، وابتدأ آدم وحواء ياكلان ، ولما انتهيا سكت صراخ البطن وابتدأ صراخ الفكر ، فراحات الأفكار تتوافد على رأس آدم فتذكر فيما تذكر قول الله له :

— يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى ، ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظماً فيها ولا تضحى .

فانهزم الدمع من مقلتيه ، فقد انتهت أيام الجنة سراعا ، أيام الهناء والسعادة ، وأقبلت أيام الدنيا القاسية ، أيام الصخب والتعب والنصب والشقاء .

— 333 —

## - ٧ -

وحملت حواء ، فقااست ما تقاسيه النساء فى الحمل ،  
ثم جاءها المخاض ، فأشرفت على الموت مرارا قبل أن تضع  
ما فى بطنها ، ثم وضعت توعمًا ذكرًا وأنثى ، وسمى الذكر قابيل ،  
والأنثى كلّما ، ونشأ قابيل وكلّما معًا ، وكانت كلّما تنمو حلوّة  
جذابة جميلة ، ومرت أيام تطلوها أيام ثم شهوّر تجد فى أثرها  
شهوّر ، فوضعت حواء توعمًا آخر ذكرًا وأنثى ، وكان الذكر  
هابيل والأنثى لبودا .

وشب الأخوة الأربعة معًا ، وكانت كلّما مرت السنون  
تفتحت كلّما وازدادت جاذبية وحسنا ، فكانت أجمل من  
لبودا ، وأكثر فتنة وسحرا ، فتعلق بها قابيل وتدله بها  
حبا .

واشتد ساعد قابيل وهابيل ، فخرج قابيل لبذر  
الأرض . فقد كان على بذرهما ، وخرج هابيل ليرعى  
ماشيتهم ، كان على رعى الماشية ، وجعل كل يعمل عمله  
حتى إذا ما غابت الشمس عن الكون عاد كل منهما الى الكهف  
ليشارك الأسرة طعامها .

وجلس حول الطعام آدم وحواء وأبناؤهما وكانت كلّما  
باهرة الحسن ، حلوّة الملامح ، فجعل كل من قابيل وهابيل  
بسترق النظر إليها ، وفطن آدم الى نظراتهما فعزم على أن يزوج  
أبناءه ، وقد كانت شريعته أن يتزوج الرجل أى أخواته شاء  
الا توعمته التى ولدت معه ، فقال :

— آن اوان زواج قابيل وهابيل ، فليتزواج قابيل من لبودا .  
وليتزوج هابيل من كليما .

فبدت القبطة فى وجه هابيل ، وامتعص قابيل ، وبان  
الغضب فى وجهه ، انه ليضن بأخته على أخيه ، فلم يكتم سورة  
غضبه بل انفجر صائحا :

— أنا أحق بأختى .

فقال آدم ليهديء من ثورة ابنه :

— يابنى ! انها لا تحل لك .

فقال قابيل فى اصرار :

— انها تحل لى ، انها أختى ، وأنا أحق بأختى من هابيل .

ونظر قابيل الى كليما ، فبدت له أجمل وأعلى مما كان  
يراه ، فعقد العزم على التشبيث بها وعدم تركها لهابيل ، فأخذ  
يردد :

— انها لى ، لى أنا ، لن أتزوج الا كليما ، وليتزوج هابيل  
من لبودا .

فبان على آدم التردد ، وأخذ يتطلع الى قابيل وهابيل ،  
انه ليحس نحوهما عطفًا وحبًا ، انه لا يستطيع أن يرغم قابيل  
على تزويج أخته التى يهواها ويحبها من هابيل ، فالتفت الى  
قابيل وقال :

— يا بنى ! فقرب قربانا ويقرب أخوك هابيل قربانا ،  
فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها .

وخرج آدم ليأتى مكة ليطوف ببيت الله ، وتأهب قابيل  
وهابيل ليقربا قربانا ، فقرب هابيل أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ،  
طيبة بها نفسه ، وقرب قابيل شر حرثه ، الكوثر والزوان غير

طيبة بها نفسه ، وكان الرجل اذا قرب قربانا فرضيه الله عز وجل أرسل اليه نارا فأكلته ، فأخذ قابيل وهابيل ينتظران قضاء الله في قربانهما .

ومرت سويعات وهما ينتظران قضاء الله في اضطراب وقلق وخوف ، وكان هابيل أكثر اطمئنانا ، وأمر قلبا ، فقد كان صاحب حق ، فان الشريعة لتقضى بزواجه من كليما ، وكان قابيل باغيا ظالما ، لا يجب الا نفسه ، ولا يهمه من سواها ، فجعل ينتظر قضاء الله وقد بيت في نفسه أن لا يخضع لهذا القضاء ما لم يكن في جانبه .

وانقضت نار بيضاء من السماء كسهم انطلق من قوسه ، فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فشكر هابيل ربه ، وضاق قابيل بالغيظ صدره ، وأحس دماءه تجري بالقتل والحقد ، وأعمى الغضب بصيرته ، وجاءه الشيطان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وراح يوسوس له أن أقتل أخاك قبل أن يستحوذ على كليما ، ورأى بعين خياله لبيدا القبيحة الى جواره ، فثارت ثائرته ولم يستطع أن يكبت ما وسوس الشيطان به في صدره ، فنظر الى أخيه نظرة مقت وحقد وغضب وقال :

— الاقتلنك !

فقال هابيل في اطمئنان ، وكان أشد من أخيه وأقوى :

— انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك الاقتلاك ، انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد أن تبوء بائى واثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين .



وأدار هابيل ظهره لأخيه وانصرف ، وراح قابيل يفكر فى ان ينقض على هابيل ويقتله ، ولكنه ثبت فى مكانه لا يريم حتى اختفى هابيل عن عينيه .

سار قابيل مطأطء الرأس ، باسر الوجه ، منقبض الصدر ، بعض على نواجذه غيظا ، يلتقط نفسه المكروب فى جهد ، فكأنها كانت يد قوية تضغط رقبته ضغطا ، وجعلت الأفكار الخبيثة تتوافد على مخيلته توافد الموج ، فاذا ما تكسرت فكرة ، وفدت فكرة أعظم شرا وأشد خبثا .

وبلغ قابيل الكهف ، ورأى كليما فأحس خزيا ، فان الله لم يتقبل قربانه ، وقضى بزواجها من هابيل ، وتمدد لينام ، وكان المكان حالك الظلام . فأخذت الأفكار تنجو ، وراحت تتجسم فى مخيلته . فتعذبه وتضنيه : ان هابيل سيهنا بكليما الجميلة الفتاة الجذابة ، أما هو فيستقى بلبودا البغيضة القبيحة ، انه ليحس أنه بأخته أولى ، لقد اتفقت السماء والأرض على تعذبه ، فلن بخضع لشئنة الأرض ، ولن يأبه لحكم السماء ، ولن يترك كليما لهابيل أبدا ، وليكن ما يكون .

واستمر فى قلقه وأرقه ، يصفى الى شيطانه ، وشيطانه يلعب به ويمنيه ، وانقضى الليل وما انقضى عذابه فعزم على ان يضع لهذا الضنا حدا .

خرج هابيل كما اعتاد أن يخرج كل يوم ، وراح يرعى ماشيته ، وأقبل قابيل محطم النفس يحس كأنها عقدت فى صدره عقدة من الحقد والمقت ، ولحق أخاه فى ماشيته فلم ير فيه الا سالب سعادته وهنائه ، فحمل صخرة واقترب من أخيه ثم ضربه بها ، فسقط هابيل مجدلا ، وسال أول دم على الأرض ،

وتعففت الأرض فلم تمتصه بل تركته ، انها لتترفع عن أن تشارك  
الانسان جرمه وبغيه وطغيانه .

ونظر قابيل الى أخيه الذى انكفأ على وجهه فاقد الحراك ،  
وقد انقشع المقت عن صدره ، فقد شفى غليله ، فما درى مايفعل .  
بذلك الجسد الفانى ، وانقضت ساعات وقابيل أمام أخيه المجدل  
حائر . وأقبل غرابان ، وراحا يفتتلان ، فجعل قابيل يرقبهما فقتل  
أحدهما الآخر ، فلما سقط المقتول على الأرض لم يتركه القاتل فى  
الفضاء ، بل عمد الى الأرض ، وراح يحفر له فيها ، ثم جذب  
المقتول ووضعها فى الحفرة ، وواره بالتراب ، فلما رأى قابيل ذلك  
غمغم :

— يا ويلتى ! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة  
أخى ؟ .

ثم نهض وطفق يحفر لأخيه ، ثم واره فى قبره .  
وعاد آدم من مكة ، وانطلق الى كهفه ، فلما رآه قابيل  
قادما أحس وجلا . فأخذ بيد أخته كليما وفر من وجهه ، فأسرع  
آدم الى الكهف ، فعلم بمقتل هابيل ، فأحس حزنا يقطع نياط  
قلبه ، والدمع يسبح من مقلتيه ، فهروى فى غضب خلف قابيل ،  
فراه هابطا من الجبل آخذا بيد أخته ، فصاح به فى حنق :  
— اذهب ، فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه .

## ابن الذبيحـين

« وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه  
من نسلك » .

( التوراة )

« مالك يا هاجر ، لا تخافى لأن الله قد  
سمع لصوت الفلام حيث هو ، قومي احملى  
الفلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة  
عظيمة »

( التوراة )

### - ا. -

خرج ابراهيم من المعبد وهو شارد اللب ، فقومه جاكفون  
على عيادة التماثيل ، وان عقله لينفر من تلك الآلهة التى لا تسمع  
اذا دعوها ، ولا تنفع ولا تضر ، وظل يفكر ويقلب وجهه فى  
السموات والأرض ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال :

— هذا ربى .

فلما أفل قال :

— لا أحب الآفلين .

وجعل يقلب وجهه فى السماء ، فلما رأى القمر بازغا قال :

— هذا ربى .

فلما أفل قال :

— ان لم يهتدي ربي لأكون من القوم الضالين .  
وعاد الى أهله ، وهو فى حيرة من أمره ، وانقضى الليل ، وجاء  
النهار ، فخرج ، فلما رأى الشمس بازغة قال :  
— هذا ربي ، هذا أكبر .

فلما أفلت قال :

— يا قوم انى برىء مما تشركون .  
واهتدى الى من فطر السموات والأرض ، فامتأ قلبه ايمانا .  
ونزلت به سكنة ، وانطلق الى المعبد فالتف أباه وقومه يعبدون  
التمثيل ، فقال لهم :

— ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟  
قالوا :

— وجدنا آبائنا لها عابدين .  
قال :

— لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين .  
قالوا :

— أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟  
قال :

— بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا  
على ذلكم من الشاهدين .

— بل هذه الأصنام آلهتنا يا ابراهيم .

— هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ؟

— هذه آلهتنا يا ابراهيم ، نزل لها عاكفين .

— فانهم عدو لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو

يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقئ ، واذا مرضت فهو

هشفين ، والذى يهيننى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى  
خطيئتى يوم الدين .  
— سنعبدها وسنظل على عبادتها ، أننا ونجدنا آباءنا كذلك  
يفعلون .  
— تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين .

## — ٢ —

جاء يوم العيد ، وتاهبوا للخروج الى ظاهر البلد ، وجاء  
الى ابراهيم أبوه ، وسأله أن يخرج معهم ، فنظر نظرة فى  
النجوم ، فقال :  
— انى سقيم .  
وخرج الناس وبقي ابراهيم ، حتى اذا غابوا عن عينيه  
ذهب الى المعبد مسرعا مستخفيا ، وانطلق فى البهو العظيم ،  
فألقى الأصنام وبين أيديها ألوان من الأطعمة قدمها الناس قربانا  
اليها ، فقال لها متهمكا :  
— ألا تاكلون ؟ ما لكم لا تنطقون ؟  
فراغ عليهم ضربا باليمين ، فكسرها بقدم فى يده ، فجعلها  
حطاما ، الا كبيرا لهم ، لعلمهم اليه يرجعون ، وذهب الى الكبير ،  
ووضع فى يده القدوم .  
ورجع الناس من عيدهم ، وانطلقوا الى المعبد ، فراعهم  
ما حل بالهتهم ، قالوا :  
— من فعل هذا بالهتنا ، انه لمن الظالمين .  
قال بعضهم :

- سمعنا فتى يذكرهم ، يقال له ابراهيم .
- فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون .
- وجاء ابراهيم ، وحشر الناس فى المعبد ، قالوا :
- أنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟
- قال :
- بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون .
- فأدركت القوم حيرة ، فأطرقوا ثم قالوا :
- لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .
- أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ، ولا يضركم ؟
- أف لكم ولما تعبدون من دون الله ! أفلا تعقلون ؟
- فأقبلوا اليه يسرعون ، قال :
- أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون .
- فقلبوا ، فعدلوا عن المناظرة ، وأرادوا أن يسيروا هزيمتهم
- فلجئوا الى القوة ، قالوا :
- ابنوا له بنيانا ، فآلقوه فى الجحيم
- وصاح صائح :
- حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . .
- فشرعوا يجمعون حطباً ، ثم عمدوا الى جوبة عظيمة فوضعوا
- فيها ذلك الحطب ، وأطلقوا فيه النار ، فاضطربت وتأججت ،
- واندفع لهيبها يتراقص كأنه السلسلة الشياطين ، ثم وضلعوا
- ابراهيم فى منجنيق وأطلقوه ، فانطلق حتى وقع فى النار وهو
- يقول :
- اللهم انك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد
- أعبدك .
- قال الله :

— يا نار ، كونى بردا وسلاما على ابراهيم .  
ووقف الناس ينظرون ، وقد علاهم الدهش ، لانهم وجدوه  
والنار حوله لا تصيب منه شيئا ، ونظر أبوه ، فلما رأى ابنه فى  
النار لا تؤذيه ، قال :  
— نعم الرب ربك يا ابراهيم .

### — ٣ —

وبلغ الملك أن النار كانت بردا وسلاما على ابراهيم ، فلم  
بصدق ما بلغه ، فخرج فى رجاله الى حيث كانت النار فتأجج  
شررها يتطاير ، وأحس حرارتها تلمح وجهه ، فمد بصره ، فرأى  
ابراهيم يتصعب عرقه ولم يحرق منه سوى وثاقه ، فأجس  
قهره ، وزاد فى قهره أن رأى الناس يتهامسون ، فخشى أن يفتنهم  
ذلك الشاب الذى جاء يدعوهم الى اله غيره ، فقد كان يدعى  
أنه ربهم العظيم .

وأمر الملك الناس أن يخرجوه ، فدنا بعضهم من النار ،  
فشعروا بلفحها يكاد يشويهم ، فوقفوا بعيدا لا يقدرون  
على الوصول اليه ، وارتفعت هتافاتهم تدعوه أن يخرج  
اليهم .

وخرج ابراهيم من النار لم يمسسه شيء من حرها ،  
فانطلقت اليه أمه تعتقه فى خبا ، وتقبله فى حنان ، وهى تبكى  
لا يرقأ لها دمع ، وذهب اليه أبوه وقد أنبتت فى جوفه مشاعر  
الأبوة الرقيقة الحانية .

وجىء به الى الملك ، فقال له فى كبرياء

— من ربك هذا الذى تدعو اليه ؟

قال ابراهيم :

— ربي الذى يحيى ويميت .

فقال الملك فى استخفاف :

— أنا أحيى وأميت .

— لا تستطيع .

— سترى .

وجاء الملك برجلين حكم عليهما بالموت ، وقال :

— أقتل هذا وأعفو عن هذا .

فقال ابراهيم :

— هذا تشغييب .

فقال الملك مكابرا :

— ألا ترى يا ابراهيم اننى أحيى وأميت !

وتطلق وجه الملك ، وانتسم الناس ابتغاء مرضاته ، وقال  
ابراهيم :

— فان الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأنت بها من المغرب .

فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

— ٤ —

هجر ابراهيم قومه فى الله ، وهاجر من بين أظهرهم ، وخرجت  
عه امرأته سارة ، وابن أخيه لوط ، فقد آمن به ، حتى اذا بلغوا  
سام ، أوحى الله اليه :

— انى جاعل هذه الأرض لخلفك بعدك



فابتنى ابراهيم مذبحا لله شكرا على هذه النعمة ، وضرب  
قبة ، وعاش يعبد ربه ، ونزل بالبلاد قحط وشدة وغلاء ، فحمل  
ابراهيم سارة وارتحل الى مصر ، ونزل بالقرب من قصر فرعون .  
ورأى غلمان فرعون سارة ، وكانت ذات جمال ساحر ،  
فذهبوا اليه ، وقالوا له :

— نزل هنا رجل معه امرأة من أحسن النساء .  
فأرسل اليه ، فدخل ابراهيم على فرعون وهو خائف ،  
فقال له :

— من هذه معك ؟

— أختى .

— فأرسل بها إلى .

فرجع ابراهيم الى سارة وهو حزين ، فقالت له :  
— ماذا قال لك ؟

— سألتني عنك ، فقلت انك أختى ، وانه ليس اليوم مسلم  
غيرى وغيرك وانك أختى ، فلا تكذبنى عنده .

وذهبت سارة الى القصر وهى تدعو الله :

— اللهم ان كنت تعلم انى آمنت بك وبرسوك ، وأحصنت  
فرجى الا على زوجى ، فلا تسلط على الكافر .

ودخلت عليه ، فالتصمت عيناها برورا ، فقد كان جمالها  
أسرا ، وحسنها باهرا ، ودنا منها ، وأراد أن يمد يده اليها  
فأحس كأنها شات يده ، فارتاع ، فقالت له سارة :  
— هذا من فعل ربي .

به الدعى الله لى ولا أضرك .

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فمدها اليها فشلت ،  
فقال لها :

— ادعى الله ولا أضرك .

فدعت له ، فعادت يده كما كانت ، فراح يمددها اليها  
فشلت .

فقال لها تى توبيل :

— هذا حق ، هذا من عند ربك ، ادعى الله لى ولن  
أضرك .

فدعت له ، فلما أرسل ، نادى أدنى حشمة فقال :

— ما أرسلتم الى الا شيطاننا ، أرجعوها الى ابراهيم ،  
وأعطوها هاجر .

ورجعت سارة الى زوجها وخلفها هاجر ، فلما دنت من خيمته  
الفته يصلى ، فلما أحس بها انصرف ، وأقبل عليها يسألها عما  
حدث ؟ فقالت :

— كفى الله كيد الظالم ، وأخدمنى هاجر .

## — ٥ —

خرج ابراهيم وسارة من مصر ، وفى رفقتهم هاجر  
المصرية ، وتولوا برية الشام . وتوالت السنون ، وراحت  
سارة تتطلع الى هاجر ، فألفت ماء الشبابة يترقرق فى  
وجهها . وثبتت فى ذهنها فكرة ، أن زوجها دعا ربه أن يهب  
له ذرية من الصالحين ، وهى عجوز عقيم ، وزوجها شيخ

كبير ، فلماذا لا تهب له هذه الجارية يتزوجها ، فيرزقه الله الذرية  
الصالحة !

ودخلت على ابراهيم وقالت :

— انى وهبت لك هاجر .

فنظر اليها وفى عينيه سؤال ، وقالت :

— انى أراها امرأة وضيئة فلعل الله يرزقك منها ولدا نقر  
به عينا .

وتزوج ابراهيم هاجر ، فحملت منه ، ففرح ، وخيل لسارة  
أن هاجر ارتفعت نفسها ، وتعاضمت عليها ، فلم تطق أن تكتم  
غيرتها فكأنت تشكوها الى زوجها .

وضعت هاجر اسماعيل ، فطاف بالدار الفرح ، وسرت  
سارة ، ولكن سرعان ما غاض فرحها ، فقد كانت تشتت أن  
يكون الولد منها .

ومرت الأيام ، واسماعيل يتزعزع ، وسارة ترقبه وفى قلبها  
حزن ، فقد حرمت أن يكون لها من بعلها ولد .

وراح الناس ينزلون على ابراهيم ، فقد أوسع الله عليه ،  
وتقضت خمس عشرة ليلة ولم ينزل به أحد ، فقد حبس الضيف ،  
فشق ذلك عليه ، وهبط الليل ، فاوقد نارا لعل احدا ياتيه ،  
وجلس أمام قننه ، واذا برجال قادمين ، فلما رأوه قالوا :

— سلاما ۛ

قال :

— سلام قوم منكرون ۛ

فراغ الى اهله ، فجاء بعجل سمين ، فقربه اليهم ، فلم  
يأكلوا ، قال :

— الا تأكلون ؟

ونظر اليهم فلما رأى أيديهم لا تصل اليهم نكرهم ، وأوجس  
منهم خيفة ، وقال :  
— إنا منكم وجلون .  
— لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط .  
كانت سارة قائمة ، فلما رأت خوف زوجها ضحكت ، لأنها  
فطنت الى أن الرجال رسل الرحمن ، قالوا :  
— انا نبشرك بغلام عليم .  
فلما سمعت سارة البشري قالت :  
— يا ويلتى ألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا ، أن  
هذا لشيء عجيب .  
وقال ابراهيم :  
— أبشرتمونى على أن مسنى الكبر ، فبم تبشرون ؟  
قالوا :  
— بشرنالك بالحق فلا تكن من القانطين .  
قال :  
— ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون .

## — ٦ —

حملت سارة ووضعت اسحاق ، ففرحت به ، وفرح به أبوه :  
وتوجه الى الله يشكره :  
— الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ،  
ان ربى لسميع الدعاء .

ورات سارة أن تتخلص من اسماعيل وأمه ، فلما دخل  
ابراهيم عليها قالت فى غضب :

— اطرده هذه الجارية وابنها .  
— لمه ؟

— ان ابن الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق .

سواء ابراهيم ما سمع ، وأحس مرارة ، فما كان يظن  
أن الأمر يصل الى أن تطلب سارة اخراج هاجر وابنها من  
الشام ، وكان لكلامها وقع ثقيل فى نفسه ، ففكر فى الا يجيبها  
الى طلبها ، وفيما هو فى حزنه وتفكيره ، أوحى الله اليه أن  
استمع الى سارة ، ولا تحزن على اسماعيل وأمه ، وأخرج بابنك ،  
فسابركه واجعله أمة عظيمة .

وتأهب ابراهيم للخروج بزوجه وابنه ، فأخذ خبزا وحمل  
قربة ماء ، وانطلق حيث أوحى الله اليه أن ينطلق ، حتى اذا  
بلغ مكة ترك هاجر واسماعيل وتأهب للعودة ، فهرعت هاجر  
اليه ، وقالت فى فزع :

— الى من تكلنا ؟

فلم يتكلم ابراهيم ، وظل فى صمته ، فقالت :

— الله أمرك بهذا ؟

— نعم .

— اذن لا يضيعنا .

وانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ،  
استقبل بوجه البيت ، ثم دعا :

— ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك  
المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى  
اليهم ، وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون .

## - ٧ -

عاشت هاجر واسماعيل فى قلب الصحراء ، فى رعاية الله ، وتصرفت الايام وهما فى عريشهما ، ونفذ ما كان معهما من ماء ، فعطشت وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى ، فانطلقت كراهية ان تنظر اليه ، فوجدت الصفا اقرب جبل فى الأرض يليها ، فقامت عليه ، واستقبلت الوادى تنظر هل ترى احدا ، فلم تر احدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف ذراعيها ، ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى اذا جاوزت الوادى ، ثم اتت المروة ، فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا ، فلم تر احدا ، واستمرت تهول فى فزع واعياء بين الصفا والمروة ، ثم ذهبت الى اسماعيل لترى الا يزال حيا ، فرأت تحت قدميه ماء ، فقد فجر الله له زمزم ، فانكبت على الماء وجعلت تغرف منه ، تروى ظمأتها ، وتبالأ سقاءها .

ومرت رفقة من جرهم مقبلين ، فنزلوا فى ايسفل مكة ، فرأوا طائرا عائفا ، فتعجبوا وقالوا :  
— ان هذا الطائر ليدور على الماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء .

فانطلقوا ليروا ما هناك ، فرأوا زمزم وهاجر عندها ، فقالوا لها :

— تاذنين لنا ان ننزل عندك ؟

— نعم ، ولكن لا حق لكم فى الماء .

— نعم .

فنزلوا وارسلوا الى اهليهم ، فنزلوا معهم حتى صار  
بهم اهل أبيات منهم ، وشب اسماعيل بينهم ، وتعلم العربية  
منهم .

وأعجبهم حين شب ، فزوجوه منهم ليتحقق وعد الله بأن  
يباركه ويجعله أمة عظيمة .

## — ٨ —

احس ابراهيم شوقا الى ابنه ، فتأهب للخروج ، وأخبر  
سارة بخروجه ، فشاعت أن تثبطه غيرة من هاجر ، فأخبرها  
أنه لن يزيد على السلام ، واستطلاع الحال .

وخرج ابراهيم فأتى مكة ، وذهب الى زمزم ، فألفى اسماعيل  
يبكى نباله تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه ، فاعتنقا  
في شوق ، وراحا يتحدثان ، وانطلقا الى الخيام .

ونام ابراهيم ، فرأى في المنام أنه يذبح ابنه ، ولما كانت  
رؤيا الأنبياء وحيا ، فقد صدق الرؤيا ، وعزم على أن يمثل  
لأمر الله ، ودعا اسماعيل ، وقال له :

— يا بني ، انى أرى في المنام أنى اذبحك ، فانظر ماذا  
ترى .

فقال اسماعيل :

— يا أبت ، أفعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من  
الصابرين .

— يا بنى خذ الحبل والمديّة .  
وانطلقا ، وفى الطريق اعترضهما ابليس فى هيئة رجل ،  
ودنا من ابراهيم وقال له :  
— أين تريد أيها الشيخ ؟  
— أريد هذا الشعب لنحاجة لى فيه .  
— تريده لتذبح ابنك ، لعل الشيطان جاءك فى منامك ،  
فأمرك بذلك ؟  
فعرّفه ابراهيم ، فقال له :  
— اليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربى .  
وسار ابراهيم مطرقا ، واسماعيل خلفه يحمل الحبل  
والسفرة ، فاعترضه ابليس وقال له :  
— أتدرى أين يذهب بك أبوك ؟  
— نعم ، أدرى .  
— أتدرى أنه يزعم أن ربه أمره بأن يذبحك ؟  
— فليفعل ما أمره الله ، سمعنا الله وطاعة .  
وانطلقا حتى اذا بلغا مكانا قصيا وقفا ، وقد دثر السكون  
سكون رهيب ، ووقف ابراهيم ينظر الى ابنه وقد تفجرت فى  
جوفه عواطف متباينة ، انه يحس حبا طاغيا لابنه ، ويحس رغبة  
فى تنفيذ أمر ربه ، وجعل يرمق ابنه الذى سيذبحه برهة ، فقال  
اسماعيل :  
— يا أبت ، ان أردت ذبحى ، فاشدد رباطى ، لا يصيبك منى  
شئ ففينقص أجرى ، فان الموت شديد ، وأشدّ شفرتك حتى  
تجهز على فتريحنى .  
والثاء على وجهه وقلبه ينفطر حتى لا ينظر الى وجهه ،  
خشية أن تدركه رقّة تحول بينه وبين أمر الله ، وكان على



اسماعيل قميص أبيض ، فقال :  
— يا أبت ، انه ليس لى ثوب تكفنى فيه غير هذا ، فاخلعه  
عنى .  
وراح اسماعيل يخلع قميصه ، وابراهيم يغالب عواطفه  
ويقول :  
— نعم العون أنت يابنى على أمر الله .  
وشحذ شنرته فكأنما كان يقطع بها مهجته ، واضجع ابنه ،  
وهم بذبحه ، فسمع مناديا ينادى :  
— يا ابراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ،  
ان هذا لهو البلاء المبين .  
فالتفت ابراهيم ، فاذا بكبش أبيض اقترن ، قد بعثه الله  
غدية لاسماعيل ، فامتلا فؤاد ابراهيم نشوة ، وأحس كأنها أثقال  
الدنيا انزاحت عن صدره ، واكب على ابنه يقبله مغتبطا وهو  
يفغمم ودموعه تجرى على لحيته البيضاء :  
— يا بنى اليوم وهبت لى .

## — ٩ —

دثر مكان البيت المقدس ، وأصبح موضعه أكمة حمراء ،  
فلوحي الله الى ابراهيم : ان ابن لى بيتا ، فذهب الى ابنه  
اسماعيل ، وقال له :  
— ان الله عهد الينا أن نظهر بيته للطائفين والعاكفين والركع  
السجود .  
فانطلقا الى مكان البيت ، فجعل ابراهيم يبنيه ، واسماعيل  
يناوله الحجارة وهما يبتهلان :

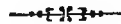
— ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين  
لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ، وارنا ناسكنا ، وتب علينا انك  
انت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم  
آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم .  
وأراد ابراهيم أن يجعل للناس علما يبتدئون الطواف منه ،  
ويختمون به ، فقال لابنه :

— يا بنى اطلب لى حجرا حسنا اضعه ههنا .  
فراح اسماعيل يبحث ثم عاد بالحجر الاسود ، فوضعه  
ابراهيم موضعه ، وبنى عليه ، ولما اتم ما امر به قال :  
— رب ، قد فرغت .

قال :

— اذن فى الناس بالحج .  
— أى رب ، ومن يبلغ صوتى ؟  
— اذن وعلى البلاغ .  
— أى رب ، وكيف أقول ؟  
— قل : يأيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ،  
فأجيبوا ربكم .

فوقف ابراهيم على المقام يؤذن فى الناس بالحج ، فجاء  
الناس من كل فج عميق .  
ومرت الأجيال ، وتكاثر ذرية اسماعيل تحقيقا لوعده الله ،  
وتلبية لدعوة خليله ، وبقي الحرم آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ ،  
تقد اليه امة ، وتذهب عنه امة من ذرية اسماعيل .



## - ١٠ -

وجاءت جرهم ، واستخفت بأمر البيت الحرام ، فارتكبوا فيه المعاصي ، وخشى رئيسهم أن يسلبوا الكعبة ، وكان بها غزالتان من ذهب ، ودروع وأسياف وأموال ، فعمد إليها ودفنها في زمزم وطم البئر واعتزل قومه .

وجاءت خزاعة وأخرجت جرهم من الحرم ، ولم تكن تدري أمر زمزم ، فبقيت مطمورة مجهولة ، وحفرت آبار أخرى للناس .

وتصرمت السنون ، وفتتها الأجيال ، وأصبح عبد المطلب سيد قريش ، وفي ذات يوم دخل إلى الحجر ونام ، وفيما هو في نومه إذ أتاه آت فقال له :

— احفر طيبة .

— وما طيبة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع إلى مضجعه فنام ، فجاءه ، فقال له :

— احفر برة .

— وما برة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد ، رجع إلى مضجعه ، فنام ، فجاءه فقال له :

— احفر المذنونة .

— وما المذنونة ؟

ثم ذهب عنه ، فلما كان الغد رجع الى مضجعه ، فنام ،  
فجاءه فقال له :

— احفر زمزم ، انك ان حفرتها لا تندم ، وهى ميراث  
من أبيك الأعظم ، لا تنزف أبدا ولا تدم ، تسقى الحجيج  
الأعظم .

— وأين هى ؟

— بين الفرت والدم ، عند قرية النمل ، حيث ينقر الفسراب  
الأعصم .

فلما كان الغد ، ذهب عبد المطلب ووحيدة الحارث الى  
قرية النمل ، فوجد غرابا ينقر بين الصنمين اساف وناقلة ،  
فجاء عبد المطلب بالمعول ، وقام ليحفر ، فقامت اليه قریش  
فقالوا :

— والله لا نتركك تحفر بين وثئينا اللذين فنحز عندهما .

فقال عبد المطلب لابنه الحارث :

— امنع عنى حتى احفر ، والله لأمضين لما أمرت به .

فالتفت القوم الى عبد المطلب وفى عيونهم هزة وسخرية ،  
انه ليس له الا اللحارث ، وأنى للحارث أن يمنع عنه ، فقال له  
عدى بن نوفل ساخرا :

— يا عبد المطلب ، ستطيل علينا وانت قد لا ولد لك ولا مال ،  
وما أنت الا واحد فى قومك !

فغضب عبد المطلب وقال لعدى :

— اتقول هذا وقد كان نوفل أبوك فى حجر هاشم !

— وأنت أيضا كنت فى يثرب عند أخوالك من بنى النجار ،  
حتى ردتك عمك المطلب .

فقال عبد المطلب فى غضب :

— او بالقللة تعيرنى ؟ فله على النذر لئن آتانى الله عشرة  
من الأولاد الذكور ، لأنحرن أحدهم عند الكعبة .

فكف قومه عنه ، وظل يعمل حتى نبع الماء ، فاعترفوا  
بزمزم لعبد المطلب ، لا يخاصمونه فيها أبدا .

وكرت السنون ، وصار أولاد عبد المطلب عشرة ، وكان  
قد نسى نذره ، فدخل لينام ، واذا بهاتف يأتيه ، كما جاء جده  
ابراهيم خليل الرحمن من آلاف السنين :  
— انبج أحد أولادك وفاء لنذكرك .

وكما أطاع ابراهيم وحى الله ، أطاع عبد المطلب رؤياه ،  
فجمع أولاده ، وخرج الى السادن يضرب القداح عليهم ، فخرج  
القدح على أصغرهم عبد الله ، وكان أحب ولده اليه ، فأخذه  
بيده ، كما أخذ ابراهيم اسماعيل ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل  
به على اساف ونائلة والجموع خلفه ، لترى عبد المطلب يذبح  
حبيبه ، ارضاء لربه .

وبلغ سادات قريش ما اعتزم عليه عبد المطلب ، فخرجوا  
من أنديةهم مذعورين يخشون أن تصبح هذه العادة سنة فيهم ،  
وبلغ بنى مخزوم أخوال عبد الله ، ما عقد الشيخ عليه العزم ،  
فانطلقوا اليه ، فالفوه قد ألقى ابنه عبد الله على الأرض ووضع  
رجله على عنقه ، وأخذ الشفرة ليذبحه ، وقبل أن يذبحه ظهر  
سادات قريش يتصايحون :

— لا تفعل حتى تستفتى فيه ، لئن فعلت هذا ، لا يزال  
الرجل يأتى بابنه حتى يذبحه .

وقال بنو مخزوم :

— والله ما أحسنت عشرة أمه !

فأصر عبد المطلب على أن يوفى بنذره ، فقالوا له :

— فلأت كاعنة خبير فنسألها ، فان أمرتك بذبحه ذبحته ،  
وان أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

وتجهزت الرواحل ، وانطلقوا الى خبير ، ودخل عبد المطلب  
وهو يرجو في نفسه أن تجد منفذا لنذره ، وجعل يقص عليها  
قصته حتى اذا ما انتهى ، تطلع اليها في لهفة ، فقالت في  
هدوء :

— ارجعوا عنى اليوم حتى يأتى تابعى فأسأله .

فتركوها وخرجوا ينتظرون الغد ، وانقضى الليل في قلق  
وارق ، ويأس ورجاء ، حتى اذا تنفس الصبح خرجوا اليها ،  
فاستقبلتهم فأحسنن استقبالهم ، ثم ابتدأت شفتها تتحركان ،  
فتعلقت العيون بهما ، قالت :

— قد جاعنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟

— عشرة من الابل ؟

فقالت لعبد المطلب :

— تخرج عشرة من الابل وتقبح ، وكلما وقعت القداح  
على ابنك ، تزيد عدد الابل حتى تخرج القداح على الابل .  
فسكنت الطمأنينة نفوس القوم ، وأحسوا راحة ، فقد أنقذت  
حياة عبد الله .

وراح عبد المطلب يضرب القداح ، وما زال يزيد عشرة عشرة  
حتى بلغت مائة ، فخرجت القداح على الابل ، فصاح القوم في  
سرور :

— لقد رضى ربك .

فقال عبد المطلب :

— لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات .

فضرب ثلاث مرات ، فخرجت القداح عليها ثلاث  
مرات ، فاطمأنت نفس عبد المطلب ورضيت ، وراح ينحصر  
الأبل المائة فى ابتهاج ، وتركها للناس يأكلون ، لا يصد  
عنها أحدا .

## - ١١ -

وخرج عبد المطلب الى اليمن فى رحلة الشتاء ، فنزل على  
حبر من اليهود يقرأ الكتاب ، فالتفت الحبر الى عبد المطلب  
وقال :

— ممن الرجل ؟

— من قريش .

— ان فى احدى يدك ملكا ، وفى الأخرى نبوة .  
وانتهت أيام التجارة ، فعاد عبد المطلب الى مكة ،  
وكلمات الحبر تقد الى ذهنه كلما خلا بنفسه ، وخطب  
عبد المطلب الى بنى زهرة ، فخطب هالة بنت وهب لنفسه ،  
وخطب آمنة بنت وهب الأبنة الذبيح عبد الله ، وتزوجا وأولما  
فى ليلة واحدة .

وتأهبت العير للخروج الى الشام ، فخرج عبد الله وقومه  
للتجارة ، فلما فرغوا من تجارتهم انصرفوا فمروا بالمدينة ، وكان  
عبد الله يحس مرضا ، فتخلفت عند أخواله بنى النجار ، ثم  
ما لبث ان مات قبل أن يشهد وليده الذى حملت به آمنة  
بنت وهب . ونام عبد المطلب فى الحجز ، فرأى رؤيا هالته ،  
فقام الى كاهنة قريش يقص عليها ما رأى :

— انى رأيت الليلة ، وانا نائم فى الحجر ، كان شجرة .  
 نبتت تد نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق .  
 والمغرب ، وما رأيت نورا أزهى منها ، ورأيت العرب والعجم  
 مساجدين لها ، وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ،  
 ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من  
 قريش يريدون قطعها ، فاذا دنوا منها أخرهم شاب ، لم  
 ارقط أحسن منه وجها ، ولا أطيب منه ريحا ، فيكسر أظهرهم ،  
 ويقلع أعينهم ، فرمعت يدي الأناث منها نصيبا فلم أثله ، فانتبهت .  
 مذعورا فزعا .

فتغير وجه الكاهنة ، ثم قالت :

— لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق .  
 والمغرب .

وجاء البشير الى عبد المطلب بأن آمنة وضعت غلاما ،  
 فظهر البشر فى وجهه ، وقام من مجلسه منطلقا الى دار  
 آمنة ، ليرى حفيده ، وقد عزم أن يسميه قثم ، لأن ابنه  
 قثم قد مات ، وهو ابن تسع سنين ، وقد خلف له حزنا  
 شديدا ، فأراد أن يسمي حفيده باسمه تخليدا لذكرى  
 ابنه ، فلما دخل على آمنة ، وأخذ الوليد بين يديه ، التفت الى  
 أمه وقال :

— لقد سميت قثم .

فقالت آمنة :

— أمرت فى منامى أن أسميه محمدا .

وفى اليوم السابع أمر عبد المطلب بجور فنحرت ، ودعا  
 رجالا من قريش ، فجاءوا وأطعموا ، وجيء بالولود فابتهجوا  
 به ، وسألوا عبد المطلب عن اسمه ، فقال :



— محمد .

فنظر القوم بعضهم الى بعض فى عجب وقال أحدهم :

— ولم رغبت عن أسماء آبائك ؟

— ليكون محمودا فى السماء الله ، وفى الأرض لخلقه .

وانصرف القوم ، وما دار بخلد أحدهم أن ابن الذبيحين  
الذى ولد هو البشرى التى بشر الله بها هاجر واسماعيل يوم  
قال سبحانه : « قومى احملى الفلام وشدى بك به ، لأنى  
سأجعله أمة عظيمة » وأنه دعوة ابراهيم التى دعاها يوم كان  
يرفع القواعد من البيت : ( ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم ، يتلو  
عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . انك انت  
العزیز الحكيم ) .





## موسى

( واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا  
وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور  
الأيمن وقربناه نجيا . ووهبنا له من رحمنا  
أخاه هارون نبيا ) .

« قرآن كريم »



أرسل يوسف يدعو اليه أباه وأهل بيته ، فوفد بنو اسرائيل  
الى مصر مع يعقوب ، ونزلوا بها ، وراحوا يتغفلون فى ربوعها ،  
ويستولون على منابع الثروات فيها ، وما تصرمت ثلاثمائة سنة  
حتى امتلأت مصر بهم ، وأصبحت ثروتها فى أيديهم .

ورأى فرعون مصر أن اليهود صاروا سادتها ، فالأراضى  
أصبحت ملك يمينهم ، والصناعات تحت سيطرتهم ، والأموال  
تتنرب من جيوب الشعب الى خزائنها ، فأوجس خيفة من  
اشتداد شوكتهم ، انهم غرباء عن البلاد ، فما يدرى اذا ما شبت  
حرب بينه وبين أعدائه ، أن يتضموا اليهم ، ليسلبوه مقاليد الحكم  
والسلطان !

وفكر فرعون ، فرأى أن يجردهم من أملاكهم ، وأن  
يصادر أموالهم ، وأن يسومهم سوء العذاب ، فضم أراضيهم الى  
أراضيه ، وأموالهم الى بيت ماله ، وجعلهم خدما له ، وصنفهم  
فى أعماله ، ففريق يبنون له المدن والمعابد ، وفريق يحرقون له  
أراضيه ، وفريق يزرعون ويحصدون .

أصبح بنو اسرائيل فى مصر عبيدا أذلاء ، يقاسون الهون  
والاضطهاد ، وعلى الرغم من الضنك الذى كانوا يعيشون فيه ،  
كانوا يتناسلون ويتكاثرون ، فأقلق تكاثرهم فرعون ، فراح يفكر  
فيما يفعله ليستأصل هؤلاء الذين هيجوا مخاوفه ، وليوقى نفسه  
ومملكته ثورة العبيد .

واهتدى فرعون الى فكرة ، فجمع القوابل من نساء أهل  
مملكته ، فقال لهن :

— لا يولدن على أيديكن غلام من بنى اسرائيل ، الا قتلتموه .  
وذاع ذلك الأمر فى مصر ، فغشى بنى اسرائيل حزن  
عميق .

## — ٢ —

راح رجال فرعون والقوابل يدورون على الحبالى من  
بنى اسرائيل ، ويعلمون ميقات وضعهن ، فلا تلد امرأة  
ذكرا الا ذبحه أولئك الذباحون ، وحملت امرأة صالحة من  
العبرانيات ، وكانت فى قصر فرعون ، فركبها الهـم ،  
كانت تخشى أن تضع ولدا فيذبحه المصريون ، فاحتزرت  
وأخذت تخفى أمارات الحمل ، فلما جاءها المخاض وضعت

طفلها دون أن تلمس أحدا. لمعاونتها . وأحبت المرأة وليدها ، وأجج ذلك الحب الخطر المسلط عليه ، أنها لتخشى أن تفقده فى أى لحظة . ان هو الا أن يرفع صوته بالبكاء ، حتى يقتحم رجال فرعون عليها مخدعها ، وينزعوه من بين أحضانها ، ليذبحوه ذبح الأنعام .

كانت المرأة وابنتها الكبرى التى تعمل بالقصر تتناوبان رعايته ، وفى ذات ليلة وضعت الأم وليدها فى حجرها ، ورفعت عينيها الى السماء تلمس من الله عونه ، فأوحى اليها :

— ان أرضعيه ، فاذا خفت عليه ، فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين .  
ومرت ثلاثة أشهر ، والأم ترعى ابنها وخوفها يتزايد ، وفطنت الى انها لن تستطيع أن تخفيه عن العيون المتربصة بأبناء اليهود . فعزمت أن تنفذ ما أوحى به اليها ، فجاءت بسفط من البردى ، ووضعت ابنها فيه ، ثم ألقت به فى النهر ، وما حمله التيار وبعد عنها حتى همت بالعدو خلفه ، والبحث عنه ، لولا أن ربط الله على قلبها ، وألهمها الصبر والامتنال لأمره .

ونادت أخته وقالت لها :

— اتبعى أثره ، لتعلمى خبره .

فسارت أخته على الشاطئ ، وهى ترمقه من طرف عينيها ، وتتظاهر أنها غافلة عنه ، حتى لا ينكشف أمرها ، وحمله التيار وانطلق الى جناح القصر المعد للحريم .

—•••••

## - ٣ -

خرجت آسية امرأة فرعون وجواريتها يغتسلن فى النيل ،  
قلمحن بين الأشجار سبطا به غلام صغير ، فهرعت احداهن  
اليه وانتشلته ، فارتفع بكاء الطفل ، ومس أذنى آسية ،  
فقالت :

— هذا بكاء طفل صغير .

وجاءت الجارية اليها تحمله وتشول :

— هذا طفل الذى به أهله فى النيل .

نظرت آسية اليه ، فوقعت عليه رحمتها ، وأحبته ، فضمته  
اليها وقبلته ، فلما رأت أخته ذلك اكتفتها راحة ، ونزل بقلبيها  
اطمئنان ، ودنت تترقب ما يكون .

ودخلت آسية الى القصر ، وجواريتها حولها ، وأقبل  
فرعون ، فلما رأى الطفل تحركت غلظته ، فقال :

— ما هذا ؟

— طفل التتطناه من اليم .

— انه ابن من أبناء العبرانيين ، اقتلوه .

— ارحمه يا مولاي ، انه طفل صغير .

— اقتلوه .

— قرة عين لى ولك . لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا او نتخذ  
ولدا .

وظلت تدافع عن الطفل ، وتلتمس من فرعون أن يبقيه ، واستمرت ترجوه وتلحف في الرجاء وتستوهبه اياه ، حتى لان لتوسلاتها ووهبه لها .

فرحت آسية بالطفل الذي استحيته ، وحملته وضمته اليها وقد تحركت فيها احساسات الأمومة الرعوم ، وبكى الطفل غالتست له . لارضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يفدن ، لينزلن عند فرعون في الرضاع ، ولكن الطفل استمر في بكائه وامتناعه عن أن يلتقم ثدى احداهن .

وأشفقت آسية على الطفل ، وحارت في أمره ، فدنت أخته منها ، وقالت لها :

— هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟

ف نظرت آسية اليها وقد شاع في وجهها أمل ؟

— أتعرفين أهل هذا القلام ؟

— لا أعرفهم ، ولكن أعرف امرأة صالحة ، فلعله يأخذ ثديها .

— اذهبي ، وأتى بها .

وذهبت أخته تحث الخطا ، وقلبها يخفق في مرح ، حتى اذا بلغت غرفتها في القصر صاحبت بأها :

— أبشرى ، جاءك الفرج ! انهم يلتمسونك لترضعيه .

وانطلقت الأم يلفها اضطراب ، ولكنه اضطراب لذيد بخدر المشاعر والحواس ، ودخلت على وليدها ، وكادت فرحتها تفصح خبيثة نفسها ، وكادت تغفم في وجد ، وهى تضمه الى الصدر الملهوف : « ولدى ، ابنى الحبيب » وكادت تصرح به لولا أن ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين .

وناولته ثديها ، فأخذه ، فأشرق وجه آسية بالفرح . ونزل  
بقلب أمه سكينه ، وأطرقت برأسها شكرا لله ، فقد رده الله  
إليها ليكون من المرسلين .

## — ٤ —

جلست آسية تنظر الى الطفل الذى تعلق به فؤادها ،  
والذى فجر فى نفسها ينابيع الحنان والرافة ، فشاعت فى  
نفسها نشوة ، وأرادت أن تدعوه باسمه ، ولكنها لم تعرف  
بماذا تدعوه ، وفكرت فى أن تطلق عليه اسما ، انها وجدت  
بين الماء والشجر ، وراحت تردد بلغتها ماء وشجر :  
موشا ، ماء وشجر : موشا ، لماذا لا تدعوه موشا ، ( ماء  
وشجر ) ، واستراحت الى ذلك ، فنهضت الى الفلام  
تناغيه :

— تعال يا موسى ، تعال يا موسى يا حبيبي .

وحملته وثبلته وجعلت تداعبه ، وهى تحس احساسات  
فياضة صافية طاهرة .

وترعرع موسى فى قصر فرعون ، يركب مراكب فرعون ،  
ويلبس ما يلبس فرعون ، وكان الخدم يدعونه موسى بن  
فرعون ، ولكن موسى كان يعرف أهله ، وكان يعرف أنه من بنى  
اسرائيل ، وكانت أسعد أويقات صباه تلك السويقات التى  
يمضيها مع أخيه هارون .

ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما ، وفى ذات  
يوم أقبل موسى الى القصر ، ولما لم يجد فرعون سأل عنه ،



ثَقِيل لَه اَنه خَرَج اِلَى مَنف ، فَرَكِب مُوسَى فِى اَثَرِه ، وَدَخَلَ  
مَنف فِى نَصَف النَّهَار . وَقَدْ أَغْلَقَتْ أَسْوَاقُهَا ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِى  
فِى نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ، اِذْ رَأَى رَجُلَيْنِ يَتَنَتَّلَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ بَنَى  
إِسْرَائِيلَ ، وَالْآخَرُ مِنْ قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ  
عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى ، فَقَضَى عَلَيْهِ ، قَالَ :

— هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، اِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ .

وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

— رَبِّ اِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ، فَاعْفُ رِئَاسَةً .

فَعَفَّرَ لَهُ ، اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، قَالَ :

— رَبِّ ، بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ .

## — ٥ —

أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، فَخَرَجَ مُوسَى إِلَى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ،  
اِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْقَتِيلَ اِنَّمَا  
قَتَلَهُ مُوسَى فِى نَصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، اِنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا ذَلِكَ  
لَشَكُّوا فِى أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَلَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى فِى الْقَصْرِ ، لِيَعْمَلَ  
عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَةُ بَنَى إِسْرَائِيلَ .

وَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ يَتَلَفَّتْ ، رَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ الَّذِى نَصَرَهُ  
بِالْأَمْسِ يَقَاتِلُ رَجُلًا آخَرَ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى  
اِسْتَصْرَخَهُ :

— مُوسَى ، اِنصُرْنِى يَا مُوسَى .

فبان فى وجه موسى الغضب ، وقال للاسرائيلى .  
— انك لغوى مبين .

واقبل نحوهما ، فلما لمح الاسرائيلى الشر فى عينى موسى  
فرق منه ، وفر من وجهه وهو يقول :  
— اتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ، ان تريد  
الا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من  
المصلحين .

سمع المصرى ما قاله الاسرائيلى ، فذهب الى القصر ،  
وأفشى أن موسى هو الذى قتل الرجل ، وبلغ النبأ مسامع فرعون ،  
فغضب وصاح :  
— خذوه واقتلوه بجنايته .

وكان أحد أنصار موسى عند فرعون لما أصدر أوامره بقتله ،  
فخرج يغذ السير ، وجاء الى موسى رجل من أقصى المدينة  
يسمى ، وقال له :

— ان الملائ يأمرون بك ليقتلوك فخرج .  
فوقف موسى يتلفت فى حيرة ، لا يدري الى أين  
يذهب ، انه لو بقى فى مصر لقبض عليه فرعون ، ونفذ  
فيه القتل ، ليس أمامه الا الخروج ، فانطلق هاربا لا يلوى  
على شئ .

سار موسى فى حلقة الليل ، وفى رائحة النهار ، يضرب  
فى الصحراء لا يسكت صراخ بطنه الا ورق الشجر ، ولا  
يطفىء ظمأه الا ما يصادف من الآبار ، لم يكن يعرف طريقه  
لأنه لم يخرج قبل ذلك من مصر ، ولما توجه تلقاء مدين  
قال :

— عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل .

— ٦ —

بلغ موسى مدين ، وقد نال منه التعب والجوع ، ورأى شجرة فوقف تحتها يستظل بها ويستريح ، ومد بصره فإذا جماعة من الرعاة يسقون ، فذهب ليرد الماء فوجد من دونهم امرأتين تكفكان غنهما أن تختلط بغنم الناس ، فاقترب موسى منهما وقال :

— ما خطبكما ؟

قالتا :

— لا نسقى حتى يصدر الرعاة ، وأبونا شيخ كبير .

نظر موسى فوجد الرعاة قد وضعوا على قم البئر صخرة عظيمة ، نتقدم فرفع الصخرة وحده ، وكان لا يرتفعها إلا عشرة ، ثم استقى لهما ، وسقى غنهما ، ورد الحجر كما كان .

وتولى موسى الى ظل الشجرة ، وبطنه لاصق بظهره من الجوع ، وقال :

— رب ، انى لما أنزلت الى من خير فقير ؟

وعادت الفتاتان الى أبيهما ، فلما رآهما قال لهما :

— ما بالكما قد عدتما اليوم سريعا ؟

قالتا :

— عاوننا رجل كريم على سقى غنمنا .

وقالت صفورة ، ابنة الشيخ الصغيرة :

- يلوح يا أبى أنه جائع مكدود .
- فأمرها الشيخ أن تذهب إليه فتدعوه ، فجاءت تمشى على استحياء ، حتى اذا بلغتته وهو فى ظل الشجرة ، قالت له :
- ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .
- قام معها ، وقال لها :
- أمضى .
- فمشيت أمامه ، فضربتها الرياح ، فبدت مفاتن جسمها ، فقال لها :
- امشى خلفى ودلبنى على الطريق ان أخطأت .
- واستمر فى سيره حتى دخل على الشيخ ، وراح يقص عليه ما حدث له فى مصر . فلما انتهى من قصته ، قال الشيخ له :
- لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين .
- وقدم الطعام لموسى ، فلما شبع قام لينصرف ، فقالت صفورة ابنة الشيخ الصغيرة :
- يا أبت استأجره ، ان خير من استأجرت القوى الأمين .
- فقال لها الشيخ :
- وما علمك بهذا ؟
- فقالت صفورة :
- انه رفع صخرة لا يطيق رفعها الا عشرة .
- وما أدراك بأمانته ؟
- انى مشيت قدماه ، فلم يجب أن يخوننى فى نفسى ، وأمرنى أن امشى خلفه .
- فذهب الشيخ الى موسى وقال له :

— انى أريد أن أنحكك احدى ابنتى هاتين ، على أن تأجرنى  
ثمانى حجج ، فان أتممت عشرا فمن عندك ، وما أريد أن أشق  
عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين .  
فقال له موسى :

— ذلك بينى وبينك ، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على ،  
والله على ما نقول وكيل .  
وتزوج موسى من صفورة ، وقد أجز نفسه للشيخ ثمانى  
سنيين أو عشرا على عفة فرجه ، وطعام بطنه .

## — ٧ —

رعى موسى للشيخ عشر سنين ، وكان يعاوده فيها الحنين  
إلى أهله ، فلما أتم الأجل قال لصفورة :  
— اشتقت إلى أمى وإلى أخى هارون ، فتأهبى للخروج إلى  
مصر ، فان لى فيها شيعة وأنصارا .  
وتأهب موسى وزوجته وأولاده للخروج ، حتى اذا آذنت  
ساعة الرحيل ودعوا الشيخ وانطلقوا يضربون فى البيداء ،  
حتى بلغوا جانب الطور الأيمن فى عشية شاتية شديدة  
البرودة .

وجاء الليل ، وأرخى سدوله ، وأخذت السماء تبرق وترعد  
وتمطر ، فراح موسى يدور ببصره فى الفضاء ، فأنس من جانب  
الطور نارا ، فقال لأهله :

— امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة  
من النار لعلكم تصطلون .

وانطلق موسى في وادي طوى يتوكأ على عصاه صوب النار ، فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . فخاف موسى ، وفر مفزوعا ، ولما أفرخ روعه عاد ثانية الى النار ، فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة : أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين .

وفر موسى مرعوبا ، وما بعد عن النار حتى عاد اليه روعه ، فدنا منها ، فلما أتاها نودي :

— يا موسى ، انى أنا ربك فاخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى .

وخلع موسى نعليه ولم يذهب عنه روعه ، فقال له الله مؤنسا :

— وما تلك بيمينك يا موسى ؟

— هى عصاى اتوكأ عليها ، واهش بها على غمى ولى فيها مآرب أخرى .  
قال :

— ألقها يا موسى .

فألقتها فإذا هى حية تسعى ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب . فناداه ربه :

— يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، أقبل ولا تخف أنك من الأمنين .

فلما رجع ، ورأى الحية تسعى ، بقى على خوفه ، فقال  
الله له :

— خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى .

فمد يده الى الحية فاذا هى قد عادت عصا كما كانت ، وقال  
الله له :

— اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، واضمهم  
اليك جناحك من الرهب .

فوضع موسى يده فى جيبه وأخرجها ، فاذا هى تتلألأ كالقمر  
بياضا من غير سوء ، وشغل فكره بالعصا التى صارت حية  
تسعى ، وببده التى أضاعت كالبدر ، فقال الله له :

— فذائك برهانان من ربك الى فرعون وملئه ، انهم كانوا  
قوما فاسقين .

وعلم موسى ان الله أرسله الى فرعون الطاغية ، فقال :

— رب ، انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون . وأخى  
هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى ردعا يصدقنى ،  
انى أخاف أن يكذبون .

قال :

— سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطانا ، فلا يصلون  
اليكما بآياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون .

— اذهب الى فرعون انه طغى .

فقال موسى فى ابتهاج :

— رب ، أشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأحل عقدة  
من لسانى يفقهوا قولى .

—•••••

— ٨ —

وسار موسى وأهله حتى دخلوا مصر خلصة ، وذهب الى  
أهله ، فمرت به عينا ، وانتظر حتى جاء هارون ، فقام الاخوان  
يتعانقان ، وراح موسى يقص على أخيه قصته ، ثم قال له :  
— يا هارون انطلق معي الى فرعون ، ان الله قد أرسلنا  
اليه .

فقام هارون ليذهب مع أخيه . فهبت أمهما اليهما  
تصيح :

— انشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما .  
فقال موسى لأمه :

— لا تخافى ولا تحزنى ، ان الله معنا ، لقد قال : اذهبا  
بآياتنا انا معكم مستمعون ، فأتيا فرعون فقولا : انا رسول  
رب العالمين ، أن أرسل معنا بنى اسرائيل .  
فقالت له أمه :

— أخشى عليكما من فرعون .  
فقال لها موسى :

— اطمئنى ، لقد بعثنى الله لأخلص بنى اسرائيل من العذاب  
ن .

وتحرك موسى وهارون للذهاب ، فقالت لهما أمهما :  
— انتظرا حتى الصباح .  
— سنذهب اليه الآن .



- وذهبا الى القصر ، والتمسا مقابلة فرعون ، فقبل لهما :
- ماذا تريدان ؟
- أنا رسول رب العالمين .
- وقيل لفرعون ان بالباب مجنوننا زعم انه رسول رب العالمين .
- فقال فرعون :
- ادخلوه . .
- ودخل موسى وهارون على فرعون ، فنظر فرعون الى موسى مليا وقال :
- ماذا تريد ؟
- أنا رسول رب العالمين ؟ أن أرسل معنا بنى اسرائيل .
- وعرف فرعون موسى ، فقال له في استخفاف :
- ألم نربك فينا وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وأنت من الكافرين .
- عرف فرعون موسى ، وتذكر انه قتل رجلا من رجاله وفر ، وأنه يأتيه الساعة ليقول له انه رب العالمين ، فجعل يرمقه في زراية ، فقال موسى :
- فعلتها اذا وأنا من الضالين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما ، وجعلنى من المرسلين .
- قال فرعون :
- وما رب العالمين ؟
- قال :
- رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين .
- قال لمن حوله :
- ألا تسمعون ؟
- قال موسى :

- ربكم ورب آبائكم الاولين .
- قال فرعون لمن حوله :
- ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون .
- قال موسى مستأنفا حديثه :
- رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون .
- وتضايق فرعون ، فحشر فنادى فقتل :
- انا ربكم الاعلى . يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى .

## — ٩ —

- وعاد موسى وهارون يلتمسان الاذن لهما بالدخول على فرعون ، ولم يجرؤ أحد أن يرفع الى فرعون طلبهما ، وفى يوم ذكر له أصحابه أن الرجلين اللذين جاءا يدعوانه الى اللهما واقفان ببابه ، فأمر بالسماح لهما بالدخول ، فلما مثلا بين يديه ، قال موسى :
- يا فرعون ، انى ادعوك الى الله .
  - فقتل فرعون فى غلطة :
  - لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين .
  - قال موسى :
  - او لو جئت بشيء مبين ؟
  - فأنت به ان كنت من الصادقين .

فالتقى عصاه ، فاذا هي شعبان مبين ، ونزع يده فاذا هي  
بيضاء للناظرين .

فغظروا فرعون مدهوشا ، فقال له موسى وهارون :  
— انا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى اسرائيل ، ولا تعذبهم ،  
قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ، انا قد  
أوحى اليانا أن العذاب على من كذب وتولى .  
وسكن روع فرعون ، فعاد الى استخفافه ، قال :  
— فمن ربكما يا موسى ؟

قال :

— ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

قال :

— فما بال القرون الأولى ؟

قال :

— علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل  
لكم الأرض مهذا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء  
ماء ، فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم  
ان فى ذلك آيات الاولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ،  
ومنها نخرجكم تارة أخرى .

فقال فرعون فى غيظ :

— أجبنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ؟ فلنأتيناك  
بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت  
مكانا سوى .

قال :

— موعدكم يوم الزينة وأن يحشروا الناس ضحى .

— ١٠ —

تأهب المصريون للعيد ، وخرجوا مبكرين وانطلقوا الى الساحة الكبرى ، فان اليوم هو اليوم الذى جعله موسى بينه وبين فرعون موعدا . وجاء السحرة الذين جمعهم فرعون من انحاء مملكته ، واصطفوا صفوفها ، وجاء فرعون ووزيره هامان وعلية القوم ، وتصدروا المكان ، وقال فرعون للسحرة :

— اثبتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى .

وخرج موسى ومعه أخوه يتكئ على عصاه ، حتى أتى الجمع ، وفرعون فى مجلسه مع أشراف أهل مملكته ، فاقبل موسى على السحرة وقال لهم :

— ويلكم ! لا تفتروا على الله كذبا ، فيسحتكم بعذاب ، وقد خاب من افترى :

فاختلف السحرة فيما بينهم ، فقال قائل منهم :

— هذا كلام نبى .

وقال قائل :

— هذا ساحر .

وقال بعضهم :

— هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما .

واقبلوا على موسى وقالوا :

— يا موسى ، اما أن تلقى واما أن نكون أول منلقى .

قال :

— بل ألقوا .

فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا  
بسحر عظيم . فنظر موسى فإذا حبّالهم وعصيّهم يخيل  
إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة ، فأوحى  
الله إليه :

— موسى : لا تخف ، انك انت الأعلى ، والى ما فى  
يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح  
الساحر حيث أتى .

فألقى موسى عصاه ، فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع  
الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك ، وانقلبوا  
صاغرين .

والتى السحرة ساجدين . قالوا :

— آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

وثار فرعون ، وزاد فى ثورته أن موسى هزمه على مرأى  
من الملأ ، وان السحرة سجدوا لإلهه والناس ينظرون ، ففخّنى  
أن تشتعل الفتنة ، وأن يفلت زمام الشعب من يده ، فقال  
للسحرة .

— آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذى  
علمكم السحر ، فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ،  
ولا تصلبنكم فى جذوع النخل ، ولتعلمن أننا أشد عذابا  
وأبقى .

وكانت حلاوة الايمان قد مست قلوب السحرة ، فلم يفرغوا  
لما قال فرعون : بل قالوا له فى اطمئنان :

— لم نؤثرك على ما جاء من البينات والذى فطرنا ،

فانقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، أنا  
 آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله  
 خير وأبقى ، انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها  
 ولا يحيا ، ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم  
 الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين  
 فيها ، وذلك جزاء من تزكى .

## — ١١ —

وضاق فرعون بموسى ذرعا ، انه يدعو الناس الى اله  
 غير آلهة الفراعين ، وانه يفتن الفقراء والمستضعفين ، وان  
 الناس يلتفون به ويعجبون ، وراح فرعون يفكر فيما يفعله وقد  
 علاه الهم ، وقال الملأ من قوم فرعون :

— انذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذكرك  
 وآلهتك ؟ .

قال :

— سنقتل أبناءهم ، ونستحيى نساءهم ، وانا فوقهم ..  
 قاهرون .

وأمر فرعون بقتل أبناء بنى اسرائيل ، فنزل بهم كرب  
 شديد ، فقال موسى لقومه :

— استعينوا بالله واصبروا ، ان الأرض يورثها من يشاء من  
 عباده ، والعاقبة للمتقين .

وزاد اضطهاد فرعون لهم ، فجاءوا موسى يقولون :  
 ضيق :

— أودينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

قال :

— عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض ،  
فينظر كيف تعملون ؟

وجلس فرعون على عرشه مهموماً ، أن قتل أبناء اليهود  
لم يرحه من متاعب اليهود ، فطن الى أنه لن يستريح مادام  
موسى يسعى فى الأرض ، فالتفت الى من عنده وقال :

— ذرونى أقتل موسى ، وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل  
دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد .

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه :

— اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات  
من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصيبكم  
بعض الذى يعدكم ، أن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ،  
يا قوم ، لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن أنصرنا من  
بأس الله أن جاءنا .

فقال فرعون فى اعتداد :

— ما أرىكم الا ما أرى ، وما أهديكم الا سبيل الرشاد .

وقال الذى آمن :

— يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل  
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد  
ظلماً للعباد ، ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون  
مدبرين مالكم من الله من عاصم ، ومن يضل الله فما له من هاد .  
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم  
به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك  
يضل الله من هو مسرف مرتاب . الذين يجادلون فى آيات

الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار .

والتفت فرعون الى وزيره وقال :

— يا هامان ، ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات ، فأطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا .

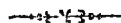
فنظر هامان الى فرعون وفى عينيه حيرة ، فقال فرعون فى كبرياء :

— ما علمت لكم من إله غيرى ، فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى .

وقال الذى آمن :

— يا قوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وأن الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ، يرزقون فيها بغير حساب .

ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة ، وتدعونى الى النار ، تدعونى الأكفر بالله ، وأشرك به ما ليس لى به علم ، وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار . لا جرم أن ما تدعونى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن مردنا الى الله ، وأن المسرفين هم أصحاب النار ، فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض امرى الى الله ، وإن الله بصير بالعباد .





## - ١٢ -

دخل موسى على فرعون يطلب منه تخليص بنى اسرائيل من العبودية وأن يرسلهم معه ليركوا مصر ، فقتل له فرعون :

— اذا تركتهم لك ، فمن يحرق لى ارضى ، ومن يسقى زرعى ، ومن يصنع لى اللبنة لابنى صرحى ، لا يا ساحر لن اطلق لك عبيدى ، فادع ربك ليخلصهم من يدى .

واخذ الله مصر بالسنين ونقص من الثمرات ، فتفشيت المجاعة فى البلاد ، وانتشر الجوع ، وخشى فرعون العواقب ، فبعث الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— واذا رفعه عنكم ، اترسل معى بنى اسرائيل ؟

— ارسلهم معك .

ودعا موسى ربه ، فجاء الخصب وعم الرخاء ، ودخل موسى على فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون واستكبر وقال له :

— ما اصابنا الجذب الا بشؤمكم ، وما فعل الهك لنا شيئا ، اخرج من عندى فما كنت لاطلق لك عبيدى .

وهطلت الأمطار غزيرة ، فأتلفت الزرع ، وحاق الضيق بالبلاد ، وفزع فرعون وبعث الى موسى وقال له :

— ادع ربك يرفع عنا هذا البلاء .

فدعا موسى ربه ، فرفع مقتته عن البلاد ، وذهب موسى الى  
فرعون يستنجزه وعده ، فأبى فرعون وتكبر وقال :

— لن أتركهم لك حتى أبني صرحى وأصعد الى السماء وأسمع  
ربك الذى يأمرنى بأن أرسلهم معك .

وسلط الله الجراد ، فلم يترك زرعاً ولا ثماراً ، ولا سبداً  
ولا لبداً ، فجزع فرعون ، وفزع الى موسى :

— ادع لنا ربك يرفع عنا هذا البلاء .

— أو ترسل بنى اسرائيل معى ؟

— أرسلهم .

فلما رفع الله عنهم نقمته ، عاد فرعون الى الاستكبار وقال  
لموسى :

— مهما تأتينا من آية لتسخرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .

وسلط الله عليهم القمل ، فسقطوا فريسة المرض الفتاك ،  
وانتشر فيهم الموت ، فكان يحصدهم حصداً ، فجزع فرعون وفزع  
وأهله الى موسى ، وقالوا :

— يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنا  
الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل .

فلما كشف الله عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه ، اذا هم  
ينكثون ، فأرسل الله عليهم الضفادع والدم ، فهرعوا الى موسى  
وقالوا :

— يأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا  
لمهتدون .

فلما كشف الله عنهم العذاب اذا هم ينكثون ، ونادى فرعون  
على قومه ، قال :

— يا قوم ، اليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى  
من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين  
ولا يكاد يبين ، فلولا التى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه  
الملائكة مقترنين .  
فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين .

### — ١٣ —

ما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون  
ومثلهم ان يفتنهم ، وان فرعون لعال فى الأرض ، وانه لمن  
المسرفين .

ونفذ صبر بنى اسرائيل ، فالحن تنزل بهم ، والبلايا  
تتساقط عليهم ، ورجال فرعون يسومونهم العذاب ، ففزعوا  
الى موسى يطلبون منه أن يدعو الله ليخلصهم من محنتهم العظيمة ،  
فقال لهم :

— يا قوم ، ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ، ان كنتم  
مسلمين .

فقالوا :

— على الله توكلنا ، ربنا لا نجعلنا فتنه للقوم الظالمين ،  
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

فأوحى الى موسى وأخيه أن تبوأا لقومكما بمصر  
بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر  
المؤمنين .

فراح موسى وهارون ينفذان وحى الله ، فاتخذوا لبني اسرائيل  
بيوتا متميزة فيما بينهم ، ليكونوا على أهبة الرحيل اذا أمروا به  
ليعرف بعضهم بيوت بعض .

وقال موسى :

— ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة  
الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا أطمس على أموالهم ، واشدد  
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم .

قال :

— لقد أجبت دعوتكما ، فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين  
لا يعلمون .

وتأهب بنو اسرائيل للخروج سرا ، ولكن كيف يخرجون وهم  
أرقاء ، للأرض ملاصقون ؟ ذهب موسى وأكابر بنى اسرائيل الى  
فرعون يرجونه فى أن يأذن لبني اسرائيل فى الخروج الى  
عيد لهم ، فلم يقبل ، فظلوا به يرجون ويلحون فى الرجاء حتى  
قبل وهو كاره .

فرح بنو اسرائيل لقرب الخلاص ، فراحت الاسرائيليات  
يستعرن حليا من جاراتهن المصريات للترزين بها فى العيد ،  
فأعرنهن شيئا كثيرا ، ولما جن الليل ، ونشر رداءه الأسود  
يحجب كل شيء ، خرج بنو اسرائيل يتسللون ، واجتمعوا  
خارج المدينة وانطلقوا طالبين الشام .

وأغذوا السير ، ليفروا من الطاغية الذى استعبدهم وأذلهم ،  
وانطلقوا مهطعين لا يلوون على شيء ، واقترب مؤمن آل فرعون  
من موسى وقال له :

— يا موسى ، أين أمرت .

— البحر .

وجاء الموكلون باذلال بنى اسرائيل الى القصر يسعون  
ويقولون :

— خرج بنو اسرائيل الى العيد ، ولم يعودوا الى أعمالهم ،  
فضياع الملك لم يعد فيها من يحراثها ومن يزرعها ومن يجنى  
ثمازها ، وذاع في مصر ان موسى قد خرج ببني اسرائيل ، فخرج  
الناس من دورهم فزعين على حلبيهم التي استعارها منهم اليهود ،  
وهاجت البلاد وماجت وجمع فرعون جنوده ، وانطلق في أثر  
الفارين ليعيدهم الى أراضيهم ، ولينقذ من أيديهم ذهب البلاد  
الذي سلبوه .

ملاً الحنق فرعون ، واشتد غضبه ، فشرع في استحثاث  
جيشه ليلحق الهاربين ويمحقهم ، فأوحى الله الى موسى أن  
أسر بعبادى انكم متبعون .

فراح موسى يجد السير ، ولكن ما أن أشرقت الشمس  
حتى كان جنود فرعون يلوحون في الأفق القريب ، وتراءى  
الجمعان ، ولم يبق الا المقاتلة والمجادلة والمحاربة ، فتلقت  
أصحاب موسى وهم خائفون فالبهر أمامهم والجبال الشاهقة  
من يسرتهم وعن أيماهم ؟ فوق الذعر في قلوبهم وهرعوا الى  
موسى يصرخون فزعاً :

— أنا لمدركون .

فقال موسى في ثبات :

— كلا ان معى ربى سيهدين .

وتقدم الى البحر وأواجه تتلاطم كالجبال ، وقال :

— ههنا أمرت .

وجعل بعض ارجال يقتحمون بأفراسهم البحر مراراً  
ليسلكه ، ولكنهم كانوا يرتدون خائبين ، وتفاقم الأمر ،

واقترب فرعون وجنوده فى جدھم وحدهم وحديدھم وغضبھم  
وحنقھم ، وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعند ذلك  
أوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر ، فلما ضربه  
انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، فانهدر بنو اسرائيل فيه  
مسرعين ، فلما جاوزوه وخرج آخرھم منه ، وكان ذلك عند قدوم  
أول جيش فرعون اليه ، فأراد موسى أن يضرب البحر بعصاه  
ليعود سيرته الأولى ، فأوحى الله اليه :

— واترك البحر رهوا ، انھم جند مفرقون .

واقبل فرعون وهو على حصانه حتى وقف على شفير  
البحر ، فلما رآه منفلقا وقف ينظر مدهوشا ، وفكر فى أن  
يحجم ، ولكنه لم يشأ أن يظهر أمام جنوده رعيدا ، فاقترح البحر  
وانطلق وتدفق جنوده خلفه ، حتى اذا كانوا جميعا فى البحر ،  
ارتطم البحر كما كان ، وأخذت الأمواج تتقاذف الجنود ، ورفعت  
فرعون وخفضته ، حتى اذا أدركه الفرق قال :

— آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا  
من المسلمين . وآمن ولم يكن ينفعه إيمانه ، وكان هو وجنوده  
من المفرقين ، وابتلعهم اليم ، فما بكت عليهم السماء والأرض ،  
وما كانوا منظرين .

—•••••

## - ١٤ -

انتقم الله من فرعون وجنوده ، فأغرقهم فى اليم ، لأنهم كذبوا  
بآياته ، وكانوا عنها غافلين ، وجاوز بنو إسرائيل البحر فأتوا  
على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فجاءوا الى موسى وقالوا له :  
— اجعل لنا الها كما لهم آلهة .

فغضب موسى وقال لهم :

— انكم قيم تجهلون ، ان هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل  
ما كانوا يعملون .

أغير الله أبغىكم الها وهو فضلكم على العالمين ؟ !

وسار موسى بقومه صوب بيت المقدس ، انه لا يستطيع أن  
يدخلها حتى يقاتل أهلها ، فقال :

— يا قوم ، اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ،  
وجعلكم ملوكا ، وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ، يا قوم  
ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ، ولا تتردوا على  
أدباركم ، فتنقلبوا خاسرين .  
قالوا :

— يا موسى ، أن فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى  
يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما :

— ادخلوا عليهم الباب ، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ،  
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

قالوا :

— يا موسى ، اننا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنتـ  
وربك فقاتلنا اننا ههنا قاعدون .

قال :

— رب ، انى لا أملك الا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين  
القوم الفاسقين .

قال :

— فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ،  
فلا تأس على القوم الفاسقين .

وبقى بنو اسرائيل فى التيه ، فى صحراء سيناء القاحلة.  
المالحة ، وراحوا يبحثون عن الماء ، فلم يجدوه ، فجاءوا الى  
موسى فيزعون اليه ، فاستسقى موسى لقومه ، فقال الله  
له :

— اضرب بعصاك الحجر .

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وكان أسباط اليهود  
اثنى عشر سبطا ، فكان لكل سبط عين تنبجس . وأحسوا  
الجوع ، فهرعوا الى موسى يلتمسون الطعام ، فدعا موسى  
ربه أن يطعمهم فأنزل عليهم المن والسلوى ، وضجر كثير من  
بنى اسرائيل بحياتهم الجديدة ، فجاءوا الى موسى ،  
وقالوا له :

— يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا  
ربك أن يخرج لنا مما تثبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها  
وعدسها وبصلها .

فغضب موسى ، وقال لهم فى سخرية :



— أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصرا  
فإن لكم ما سألتكم .  
فما إن صكت سخريته آذانهم ، حتى زاغت أبصارهم ثم  
أطرقوا فى خجل شديد .

## — ١٥ —

وواعد الله موسى ثلاثين ليلة وأتمها بعشر ، فتم ميقات ربه  
أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون :  
— اخلفنى فى قومي وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين .  
وانطلق موسى لميقات الله الى جبل طور سيناء ، فكلمه  
ربه ، فناداه ونجاه ، وقربه وأدناه ، فطمع موسى فى أن يرى  
الله ، فقال :

— ربى ، أرنى أنظر اليك .  
قال :

— لن ترانى ، ولكن أنظر الى الجبل ، فإن استقر مكانه  
فسوف ترانى . فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى  
صعقا ، فلما أفاق قال :

— سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين .  
قال :

— يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ،  
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين .  
وكتب الله له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا

لكل شيء ، وتناول موسى الألواح ، وراح يقرأ ما كتب فيها  
وقد أرهفت حواسه : ان الله يأمره أن يسبحه ويقدهه  
لا اله الا هو ، ولا يشرك به شيئاً ، ولا يقتل النفس التى  
حرم الله ، ولا يحلف باسمه كاذباً ، ويأمره بالمحافظة على  
السبت ، وأن يكرم أباه وأمه ، ليطول عمره فى الأرض ،  
ولا يقتل ، ولا يزنى ، ولا يسرق ، ولا يشهد على صاحبه  
شهادة زور ، ولا يمد عينه الى بيت صاحبه ، ولا يشتهى  
امراً صاحبه ، ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ،  
ولا شيئاً من الذى لصاحبه .

وقال الله لموسى :

— ما أعجلك عن قومك يا موسى ؟

قال :

— هم أولاء على أثرى ، وعجلت اليك رب لترضى .

قال :

— فانا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى . فرجع  
موسى الى قومه غضبان أسفا .

## — ١٦ —

ذهب موسى ليقابل ربه ، وكان موسى قد وعدهم ثلاثين  
ليلة ، فلما انقضت تلك الليالى ولم يعد ، جاء السامرى  
وقال لهم :

— ان موسى قد احتبس عنكم ، انه ليس برابع اليكم ،  
فينبغى لكم أن تتخذوا الها .

وفكر بنو اسرائيل فيما يقول السامرى ، انهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم الها كما للأقوام الذين مروا بهم آلهة ، ولكن موسى أبى وها هو ذا موسى قد ذهب ، فما الذى يحول بينهم وبين صنع الاله ، وأعجبتهم الفكرة ، فوافقوا السامرى على أن يصنعوا بأيديهم الها (١٠)

كان السامرى صائفا ماهرا ، فأخذ منهم الحلى التى استعاروها من المصريين ، وصنع لهم عجلا له خوار ، فاجتمع القوم يعبدونه ويقولون :

— هذا الهكم واله موسى منسى .

فقال لهم هارون :

— يا قوم . انما فتنتم به ، وان ربكم الرحمن (١١) ، فاتبعونى واطيعوا امرى .  
قالوا :

— لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى .

ورجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، فبلغ سمعه أصوات عزف ، فانطلق الى الصوت ، فاذا القوم يعزفون ويرقصون حول العجل : فصاح فى غضب :

— بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم .

والقى الألواح وقال :

— يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم ، فأخلفتم موعدى !  
قالوا كاذبين :

— ما أخلفنا موعداك بملكانا ، ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم ، فقذفناها .

فتضايق موسى من هؤلاء الذين تحرجوا من تملك حلى

المصريين التى سلبوها ، ولم يتخرجوا من عبادة العجل ،  
وذهب يبحث عن هارون ، فلما وجدته أخذه برأسه يجره اليه  
ويقول :

— يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن ،  
أف عصيت أمرى ؟

— يابن أم ، ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ،  
فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .

وجره موسى من شعره وهو يقول :

— هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على  
كفرهم ؟

— يابن أم ، لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ، انى خشيت أن  
تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى .

فرفع موسى وجهه الى السماء وقال :

— رب اغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك وأنت ارحم  
الراحمين .

وبعث الى السامرى ، فلما جاء قال له :

— فما خطبك يا سامرى ؟

قال :

— بصرت بما لم يبصروا به ، بصرت بجبريل ، فقبضت  
قبضة من أثره ، فنبذتها وطرحتها فى العجل ، فأصبح له  
خوار .

— ولماذا فعلت ذلك ؟

— كذلك سولت لى نفسى .

قال :

— اذهب ، فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس . وإن

لك موعدا لن تخلفه ، وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ،  
لنحرقنه ، ثم لننصفه فى اليم نسفا .  
ونسف موسى العجل وقال لقومه :  
— انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شىء  
علما .

وأطرق بنو اسرائيل خجلا ، فقال موسى لهم :  
— يا قوم ، انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا  
الى بارئكم ، فاقتلوا انفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم .  
فأصبحوا وقد أخذ من لم يعبد العجل فى أيديهم السيوف ،  
ثم مالوا على عابديه فقتلوه . ولما سكت عن موسى الغضب  
أخذ الألواح ، وفى نسختها هدى ورحمة للذين لربهم يرهبون .  
ورأى بنو اسرائيل أن يستغفروا ربهم ، فكلما موسى ،  
فاختار موسى سبعين رجلا من علماء بنى اسرائيل ،  
وانطلقوا ليعتذروا عن بنى اسرائيل ، واقتربوا من الجبل ،  
فصعد موسى يكلم ربه ، وصعد بنو اسرائيل يسمعون ،  
وجعل موسى يعتذر عن عبادة العجل ، ثم رجع الى قومه ،  
فقالوا له :

— لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .

فانقضت عليهم صاعقة من السماء ، فماتوا جميعا . فقال  
موسى لربه :

— رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أهلكنا بما  
فعل السفهاء منا ، ان هى الا فتنتك ، تضل بها من  
تشاء ، وتهدى من تشاء ، أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا  
وأنت خير الغافرين .  
قال :

— عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل  
شئ .  
وظل موسى يناجى ربه حتى بعثهم من بعد موتهم .

## — ١٧ —

أصبح القوم فاذا بشيخ مقتول ومطروح فى مجمع  
الطرق ، واذا بناس ملتقون حوله يتخاصمون فيه ، كل  
منهم يدعى أن الآخر قتله ، وجاء ابن أخيه يصرخ ويتظلم ،  
فقالوا :

— مالكم تختصمون ولا تاتون نبي الله ؟  
فجاء ابن أخيه ، وشكا أمر عمه الى موسى ، فقال  
موسى :

— أنشد الله رجلا عنده علم من أمر القتل الا أعلمنا به .  
فلم يقل أحد شيئا ، وحار الناس فى أمر القتل ،  
فقالوا لموسى :

— يا موسى ، اسأل ربك فى هذه القضية .  
وذهب موسى يناجى ربه ، ثم عاد الى قومه وقال :  
— ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .  
قالوا :

— اتخذنا هزوا ؟

قال :

— أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ؟

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ،  
خافعلوا ما تؤمرون .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها !

قال :

— انه يقول انها بقرة صفراء ، فاقع لونها تسر  
الناظرين .

قالوا :

— ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، ان البقر تشابه علينا ،  
وإننا إن شاء الله لمهتدون .

قال :

— انه يقول انها بقرة ، لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى  
الحرث ، مسلمة لاشية فيها .

وراحوا يبحثون حتى وجدوها ، قالوا :

— الآن جئت بالحق .

فذبوها وهم مترددون ، ثم أمرهم أن يضربوا القتيل ببعضها ،  
فلما ضربوه ببعضها أحياء الله تعالى ، فقام وهو تشخب  
أوداجه ، فسأله موسى :

— من قتلك ؟

قال :

— قتلني ابن أخي هذا الذي يصرخ ويتظلم ، قتلني لبرث  
مالى ، وسقط ميتا كما كان .

## — ١٨ —

قام موسى خطيبا في بني اسرائيل ، فسئل :  
— أى الناس أعلم ؟  
فقال :  
— أنا .  
فعتب الله عليه ، وأوحى الله اليه :  
— ان لى عبدا بمجمع البحرين ، هو أعلم منك .  
— يا رب وكيف لى به ؟  
— تأخذ معك حوتا ، فتجعله بمكث ، فحيثما فقدت الحوت ،  
فهو ثم .  
فأخذ حوتا فجعله بمكث ، ثم انطلق وانطلق معه فتاه ،  
حتى اذا أتيا الصخرة وضما رأسيهما فناما ، واضطرب  
الحوت في المكث ، فخرج منه وسقط في البحر ، فاتخذ سبيله في  
البحر سربا ، واستيقظا فانطلقا حتى اذا أحسا تعباً ، قال  
موسى لفتاه :  
— آتينا غدائنا ، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .  
فذهب فتاه ، فلم يجد الحوت ، فعاد اليه وقال :  
— أرايت اذ أويانا الى الصخرة ، فأتى نسيت الحوت ،  
وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره ، واتخذ سبيله في البحر  
عجبا .  
فعلم موسى أن ذلك المكان هو الذى سيجد عنده الرجل .  
الصالح ، فقال :



— ذلك ما كنا نبيغ .

فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة ، فاذا رجل  
مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى ، فقال الرجل :

— وانى مقرئك السلام .

— أنا موسى .

— موسى نبي اسرائيل ؟

— نعم ، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا .

قال :

— انك لن تستطيع معى صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط  
بـه خبرا ؟

قال :

— ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا .

قال :

— فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه  
ذكرا .

فانطلقا يمشيان على شاطئ البحر ، فمرت سفينة ، فركبوا  
فيها ، فقص الرجل العالم الى لوح من الواح السفينة وقلعه ،  
فقال له موسى :

— قوم حملونا بغير نول ، عمدت الى سفينته فخرقتها ،  
لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا .

قال :

— ألم أقل لك أنك لن تستطيع معى صبرا ؟

قال :

— لا تؤاخذنى بما نسيت ، ولا ترهقنى من أمرى  
عسرا .

وجاء عصفور ، فوقف على حرف السفينة ، فنقر فى البحر  
نقرة ، فقال الرجل العالم :

— ما علمى وعلمك فى علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور  
من هذا البحر .

ثم خرجا من السفينة ، فبينما هم يمشيان على الساحل،  
اذ بصر الرجل بسلام يلعب مع القلمان ، فأخذ رأسه بيده فقتله ،  
فقال له موسى :

— أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا .

قال :

— ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ؟

قال :

— ان سألتك من شيء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من  
لدنى عذرا .

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن  
يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ، فأقامه فقال  
له موسى :

— قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، ولو شئت لاتخذت  
عليه اجرا .

قال :

— هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم  
تستطع عليه صبرا : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون  
فى البحر ، فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل  
سفينة غصبا ، اذا مر بها يدعها بعيبها فاذا جاوزهم  
أصلحوها فانتفعوا بها . أما الغلام فكان أبواه مؤمنين ،  
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما

خيرا منه زكاة وأقرب رحما . وأما الجدار فكان لفلامين  
يتيمين فى المدينة ، وكان تحتها كنز لهما ، وكان أبوهما  
صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ، ويستخرجا كنزهما  
رحمة من ربك ، وما فعلت شيئا من تلقاء نفسى ، وما فعلته  
عن أمرى ، بل بأمر ربك . ذلك تأويل ما لم تستطع عليه  
صبرا .

## - ١٩ -

وكان قارون من قوم موسى وكان حسن الصوت ، اذا  
قرأ التوراة خشعت له القلوب ، وكان مؤمنا ، فأعطاه الله  
من فضله ، وآتاه من الكنوز ما أن مفاتحه لتتوء بالعصبة  
أولى القوة ، وأحب ماله ، فشغل به عن العبادة وبغى .

وفى يوم خرج فى موكب عظيم ، فى ثياب فاخرة ، تجرى  
أمامه المراكب ، ويحف بموكبه الخدم والحشم ، فنظر الناس اليه  
مدهوشين ، وقال الذين يريدون الحياة الدنيا :

— يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم :

— ويلكم ! ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها  
إلا الصابرون .

وجاء أناس صالحون من قومهم فوجدوه عاكفا على الشراب  
وتحصيل اللذات ، فقالوا له :

— لا تفرح بما أوتيت ، وتفخر على غيرك ، ان الله لا يحب  
الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين .

فقال لهم قارون :

— انما أعطانى الله هذا لعلمه أنى أستحقه ، وأنى أهل له ، ولولا أنى حبيب اليه لما أعطانى هذا المال الوفير .

— ان الله قد أهلك من قبلك من هو أشد منك قوة ، وأكثر جهما .

وظل قارون يخرج على قومه فى زينة يفتنهم ، وظل فى لهوه وعبه ، فراح موسى يؤنبه ، ويدعوه الى انفاق ذلك المال فى سبيل الله ، ولكن قارون صم أذنيه عن أن يسمع نصحه ، وضاق بذلك النصح ، فراح يفكر فى القضاء على موسى ، فاستدعى امرأة بغيا ، وأعطاهها مالا ، على أن تقول لموسى وهو فى مالا من الناس : انك فعلت بى كذا وكذا .

وجاءت اليه المرأة وهو قائم فى قومه ، فقالت له :

— يا موسى ، لقد جئت أشكو الى الناس ما فعلته بى .

فقال لها موسى :

— وماذا فعلت بك ؟

— فعلت بى كذا وكذا .

فأرعد موسى من الفرق ، وظل فى اضطرابه فترة ، ثم أقبل عليها يستحلفها ، ويسألها عما حملها على افتراء ذلك البهتان الكبير ، فقالت المرأة فى ندم :

— يا موسى ، حرضنى على ذلك قارون .

فخر موسى الله ساجدا ، ثم انطلق الى قارون وقال له :

— ما حملك على هذا ؟

— يا موسى ، أما لئن كنت فضلت على بالنبوة ، فلقد

ففضلت عليك بالمال ، وما أنت بخير منى ، ولن شئت لتخرجن  
فلتدعون على ، ولادعون عليك .

فخرج موسى فى قومه ، وخرج قارون فى قومه ، فقال له  
موسى :

— تدعو أو أكون أول من دعا ؟

فقال قارون :

— أدعو أنا .

ووقف قارون يدعو الله أن ينزل غضبه بموسى وقومه ، فلم  
يستجب الله دعاءه ، فقال موسى :

— أدعو ؟

قال :

— نعم .

فقال موسى :

— اللهم من الأرض فلتطغ اليوم .

فخسف الله به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه  
من دون الله ، وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون :

— ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ،  
لولا أن من الله علينا لخسف بنا ! ، ويكأنه لا يفلح الكافرون .



## — ٢٠ —

بقى اليهود في التيه لا يفكرون في الدخول الى الأرض المقدسة ، فانها محرمة عليهم أربعين سنة ، وموت السنون ، فمات هارون ، فحزن بنو اسرائيل عليه ، فقد كان عليهم لنا ، ومات بعده موسى ، فشق ذلك عليهم ، وراحوا يبيكونه ، والتفوا حول فتاه يوشع بن نون ، وما انقضت سنون التيه حتى قادهم يوشع لحرب الجبارين والدخول الى أرض فلسطين .



## داود

( وانكر عبدنا داود ذا الأيد أنه أواب «  
انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي  
والأشراق ، والطير محشورة كل لله أواب .  
وشددنا ملكه ، وآتيناه الحكم وفصل الخطاب {  
« قرآن كريم »

### — ١ —

خيمة الرب التي يعبد فيها يهوذا اله اسرائيل غارقة في  
الدنس ، فالكاهن على اتخذ خدمة المعبد تجارة لجمع الأموال ،  
ووقف أبناؤه ببابها لتحصيل اللذات ، أنهم يترصدون الفتيات  
الاسرائيليات الجميلات ليضاجعوهن قبل الدخول للعبادة  
والاستغفار ! وان على ليعلم بما يأتيه أبناؤه ، فلا يزجرهم  
وقد تفشت الفاحشة في بني اسرائيل ، وصارت طابع  
الجميع ؟ !

وكان يعيش في تلك الخيمة شمويل ، ذلك الغلام الهابط  
من نسل النبوة ، الذي وهب حياته لعبادة الله ، فكان يدعو  
بقلب طاهر ، ولولا ذلك الغلام المبارك لأنزل الله عذابه بالخيمة  
الغارقة في المعاصي والمنكرات .

وفي ذات ليلة دخل شمويل لينام الى جنب الشيخ

عالى ، وفيما هو غارق فى نومه ، بلغ سمعه صوت أشبه بصوت  
الشيخ يدعوهُ :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا أبتاه ! دعوتنى ؟

فنظر الشيخ الى الغلام فى انكار ، ثم قال له :

— يا بنى أرجع فثم .

فرجع شمويل فنام ، واذا بصوت الشيخ يدعوهُ :

— شمويل .. يا شمويل .

فهب الغلام فزعا الى الشيخ فقال :

— يا أبتاه ! دعوتنى ؟

فقال له الشيخ وهو نائم :

— أرجع فثم ، فان دعوتك الثالثة فلا تجبنى .

فرجع شمويل وما ان داعبه النوم حتى سمع صوتا أشبه  
بصوت الشيخ يدعوهُ :

— شمويل ... يا شمويل قم .

فقام ونظر أممه فاذا بجبريل يحادثه :

— اذهب الى قومك ، فبلغهم رسالة ربك ، فان الله قد

يجمعك فيهم نبيا .

وظل جبريل يوحى اليه ما شاء الله ان يوحى اليه .

وأصبح الصباح فقال تعالى لشمويل :

— ماذا حدث البارحة ؟

فقال شمويل :

— لقد أوحى الله الى أنه سينزل غضبه عليك وعلى بيتك %



- جزاء لسكوتك على ما يفعله أبناؤك من المنكرات .
- فأطرق الشيخ مليا ثم قال :
- أتوب الى الله ، وأقرب له قربانا .
- لن يكفر عن خطاياكم شيء .
- فقال عالي نى استسلام :
- هو الله ، يفعل ما يشاء .

## — ٢ —

صار شمويل نبيا للهيود ، يدعوهم الى عبادة الله ،  
وهجر السيئات ، فكانوا يصفون الى دعوته ويعجبون بها ،  
ولكنهم ما كانوا يعملون على اتباعها ، فقد غرتهم الدنيا ، وصاروا  
عبدا للذات .

وكانت العداوة قائمة بين الفلسطينيين وبنى اسرائيل.  
فكانت الحرب تنشب بينهما فى كل حين ، تاهب الفلسطينيون  
لقتال اليهود ، واستعد بنو اسرائيل للنزال ، ودارت معركة  
بين الجميع ، فانهزم اليهود وانكسروا ، وقتل منهم خلق  
كثير .

واجتمع شيوخ اليهود يفكرون فيما أدى الى هزيمتهم  
الذكراء وأخذوا يتشاورون ، فأرجعوا سبب تخلى الله عنهم  
الى أنهم خرجوا للقاء أعدائهم دون أن يأخذوا معهم التابوت  
المبارك ، الذى وضعوا فيه الآلواح المقدسة ، وبقيّة

مما ترك موسى وآل هارون . انهم ما حاربوا أعداءهم  
ومعهم التابوت الا أيدهم الله بنصر من عنده ، فبعثوا  
الرجال ليحضروه ، ليبدل خوفهم أمنا ، ويقلب الهزيمة  
نصرا .

وجيء بالتابوت ، فدبت الحماسة في صدور اليهود ،  
غثتوا مستبشرين ، فتجاوب الهتاف في أرجاء المكان ، وبلغ  
مسمع الفلسطينيين ، فاشاع الخوف بينهم ، وزاد في  
خوفهم علمهم أن اليهود قد أحضروا التابوت الذي به  
ينصرون .

وقام رجل بين الفلسطينيين يحمسهم ويحضهم على  
القتال ، فقال لهم :

— يا قوم ، لقد جاءكم أعداؤكم بالهجم لقتالكم ، فاذا  
أصابكم الوهن ، فستهزمون وتصبحون عبيدا لليهود بعد  
أن كانوا عبيدا لكم ، فحاربوا عن نسائكم وأبنائكم وأعراضكم .

وهجم الفلسطينيون على الأعداء هجوم الليوث ، ففر اليهود  
مفزوعين ، فقد كانت قلوبهم خواء ، وما كانت هتافاتهم المدوية  
للتابوت الا صيحات جوفاء ، أطلقتها الحناجر لتذهب في الهواء .

تداعى اليهود قتلى تحت سيوف الفلسطينيين ، ونجا بجلده  
من أطلق ساقية للريح ، وسقط التابوت غنيمة باردة في أيدي  
الأعداء ، واستمر الهاربون في جريهم ، حتى ابتعدوا عن ميدان  
الطعن والنزال .

ودخل رجل المدينة وهو ممزق الثياب ، يعلو رأسه التراب ،  
وفي وجهه هلع واضطراب ، فقام الناس اليه يسألونه :  
— ماذا وراءك ؟

فقال وهو يتلفت كأنها يعدو خلفه مارد جبار :

— الهزيمة والانكسار .

فارتجت المدينة بالصياح ، وبلغت الأصوات مسامع على ،  
فقال :

— ماذا جرى ؟ ماذا جرى ؟

وكان الرجل قد وصل الى على ، فقال للشيخ الجالس على  
كرسيه :

— هزمنا هزيمة منكرة .

— وماذا فعل الناس ؟

— قتل منهم الآلاف .

— وأبنائى ؟

— قتلوا جميعا .

— والقبوت ؟

— أخذها الأعداء .

وبان فى وجه الشيخ القهر الشديد ، وعلاه عبوس ، ومال  
الى الوراء فى ضيق ، فسقط عن كرسيه ، فوقع على رأسه ودقت  
عنقه أمام خيمة الرب ، فى نفس المكان الذى كان يضطجع فيه  
أبناؤه مع فتيات إسرائيل الجيالات ، الوافدات للعبادة  
والاستغفار !!



## - ٣ -

ومرت السنون ، وشمويل يدعو اليهود الى الله ، وفى ذات يوم جمعهم ، وقال لهم :

— توبوا الى الله ، وأخلصوا له ، وانزعوا من عبادة البعليل والعشتاروت والآلهة الغريبة التى لا تنفعكم ولا تضركم ، واعبدوه وحده يخلصكم من أعدائكم ، وينصركم عليهم .  
فقالوا له :

— تبنا الى الله وأنبنا .

فأمرهم أن يصوموا ذلك اليوم ، تطهيرا لنفوسهم ، وتقربا الى الله ، ليؤيدهم بنصر من عنده ، ودارت المعارك بين بنى اسرائيل وأعدائهم ، فانتصر اليهود ، لأن شمويل طهرهم من رجسهم ، وبث فيهم روح التضحية والاقدام . وأصبح شمويل شيخا ، فاجتمع اكابر بنى اسرائيل يديرون قداح الراى بينهم ، ثم ذهبوا الى نبيهم وقالوا له :

— يا شمويل ، أصبحت شيخا وقد جئناك لتدعوا ربك ، ليجعل علينا ملكا يحكمنا ويجمعنا حوله ، لكل شعوب الأرض ، ويقودنا لنقاتل فى سبيل الله .

فقال لهم شمويل :

— اننى ان ذهبت أترككم الله وهو خير راع لكم .

فقالوا له :

— يا شمويل اننا نعلم ذلك ، ولكننا نريد ملكا يلم شملنا ، ونلتف حوله .

فقال لهم شمويل ليردهم عن رأيهم :

— اعملون ماذا يفعل الملك فيكم ؟ سيأخذ أبناءكم ليركضوا أمام مراكبه ، ويجعل لنفسه آلاف الخدم والعبيد ليحرقوا أرضه ، ويحصدوا حصاده ، ويأخذ بناتكم سرارى وحظايا ، ويستولى على أجود أراضيك ليمنحها عبيده ، ويسخر عبيدكم وجواريك ليعملوا فى أرضه ، وستصبحون جميعا عبيدا له ، وستضرعون الى الله أن يخلصكم منه ، ويومها لن يسمع الله دعاءكم .

فقالوا له :

— يا شمويل ، اننا نعلم كل ذلك ، اننا نقبله . ان كل ما نبغيه أن يكون علينا ملك ، يجمع كلمتنا ، ويقودنا لقتال أعدائنا الذين أذلونا .

فقال لهم شمويل :

— هل عسيتم أن كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ؟

فقالوا له :

— وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا .

وراح شمويل يصرخ الى الله ويدعوه أن يجيب رغبة قومه ، وفيما هو فى دعائه أوحى الله اليه أنه سيجعل طالوت عليهم ملكا ، فخرج شمويل الى قومه ، وقال لهم :

— يا قوم ، ان الله استجاب لدعائنا ، وسيبعث لنا ملكا .

فقالوا له فى لهفة :

— من هو ؟

فقال شمويل فى هدوء :

— طالوت .

فانبعث من الناس أصوات استنكار ، فقد كان طالوت رجلاً فقيراً ، وقال بعضهم :

— كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟

قال شمويل :

— ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يعطى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم .

وقال قائل منهم :

— وما أدراك ان الله اختار طالوت ليكون ملكا علينا ؟

فقال لهم نبيهم :

— ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت ، فيه سكنة من ربكم ، وبقيّة ما ترك آل موسى وال هارون ، تحمله الملائكة ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين .

وانظر بنو اسرائيل آية الله ، واذا بهم يجدون التابوت أمامهم ففرحوا وهتفوا بحياة طالوت ، الملك الجديد .

— ٤ —

جمع طالوت بنو اسرائيل حوله ، وراح يقودهم من نصر الى نصر ، وجاءه شمويل يوماً وقال له :

— ان الله يأمرك أن تذهب الى العماليق وأن تحاربهم ، فاذا انتصرت عليهم فاذبح رجالهم ونساءهم وأطفالهم وأبقارهم وجمالهم وحميرهم ، ولا تدع لهم شيئاً .

فجمع طالوت جموعه وانطلق لقتال العماليق ، فهزمهم ،  
وأسر أجاج ملكهم ، ودخل اليهود مدنهم ، فلما وجدوا الأبقار  
والجمال والخراف تحرك فيهم طمعهم ، وعز عليهم أن يقتلوا  
هذه الأنعام تنفيذا لأمر الله ، فراحوا يقتلون الأغنام الهزيلة ،  
ويسوقون أمامهم العجول الحنيذة ، والأبقار الجسيمة ، والجمال  
الكريمة ، والخراف السمينة .

وجاء شمويل ودخل على طالوت ، فقام طالوت إليه ،  
وقال له :

— أنت رجل مبارك ، أمرتني بما أوحى الله اليك ، فخرجت  
الى المعالجة وهزمتهم ، وففذت ارادة الله .

فقال شمويل :

— ولكذك لم تنفذ أوامر الله ، اننى أسمع رغاء الإبل ؛  
وثغاء الشاء .

— لقد أخذ الشعب هذه الأغنام لتذبح تقربا لله .

— أن تصدع لأوامر الله خير من أن تتقرب اليه بذبيحة .

— اننى أتوب الى الله .

— وأجاج ملكهم ، لماذا أسرته ولم تقتله .

— وجدت أن فى أسره اذلالا له .

— اقتله ، اقتله الآن .

— أفعل .

— أصبحت ملك اسرائيل يوم كنت متواضعا فى نفسك ،

فما الذى غرك لتعصى أوامر الله ؟

— سأنتزع الى الله أن يغفر لى خطيئتى ، تعال ابتهل اليه

معى أن يعفو عني .

فقال شمويل :

— لا اذهب مع من عصى أوامر الرب .  
وأراد شمويل أن ينصرف ، فأمسك طالوت بذيل جيبته  
فتمزق .  
فقال شمويل :  
— يمزق الله مملكة بى اسرائيل عنك .  
فقال طالوت متوسلا :  
— لقد أخطأت ، والآن فأكرمنى أمام شيوخ شعبي ،  
وأمام اسرائيل ، وارجع معى فأسجد لله وأدعوه أن يغفر  
ذنبى .  
وسجد شمويل وطالوت لله يلتمسان غفرانه .

— ٥ —

دخل طالوت قصره ، فأحسن انتقاضا ، ان كلمات  
شمويل لترن فى اذنيه موحشة مخيفة : « يمزق الله مملكة  
بنى اسرائيل عنك » ماذا لو استجاب الله دعاء نبيه ؟ انه  
كان رجلا فقيرا وأن الله أكرمه حتى صار ملكا ، وأنه قد الف  
عيشة الملوك ، وأنه ليحز فى نفسه أن تزول عنه أبهة الملك  
والسلطان .  
وبقى طالوت قلقا حزينا ، فلما دخل عليه غلمانهم أنكروه ،  
وقالوا له :  
— روح عن نفسك يا مولانا .  
فقال طالوت :  
— ان الأفكار السود تعبت بى .



— ابعث الى رجل يحسن الضرب على العود ، يبدد من حورك هذه الكآبة .

فقال أحد الغلمان :

— أعرف غلاما يرمى الغنم ، يحسن الضرب على العود ؛ اذا غنى أصغى الكون ، وخشعت القلوب ، ان صوته عذب لا يحاكيه صوت فى الوجود .

— على بهذا الغلام ؟

فخرج العبيد يبحثون عن داود حتى اذا عثروا عليه عادوا به الى الملك ، وراح طالوت ينظر اليه ، فارتاح الى منظره ، كان أشقر جميلا ، وكانت عيناه زرقاوين ، وكان فى وجهه صفاء يعكس صفاء نفسه ، وكان قصيرا ولكنه ما كان قميئا .

وأخذ داود يضرب على العود ، وما انبعثت الأنغام حتى احس طالوت كأنما السحر يسرى فى الهواء ، وشعر بالضيق يجلو عن صدره ، وبالنشوة تمشى فى أوصاله ، وارتفع صوت داود العذب الحنون يمجّد الله :

يا رب ! ما أعظم أسمك فى الأرض  
ويا لروعة جلالك فوق السموات  
الأطفال والرضع يسبحون بحمذك  
وطيور السماء تقدس لك  
والقمر والنجوم صنع يمينك  
يا رب . ما أجد اسمك فى الأرض

واذا بطالوت يشعر بروحه تهيم فى ملكوت السماء ، انه يحس كأنما خلق خلقا جديدا ، فالراحة تلفه ، والنشوة تسكب فيه ، والطمأنينة تغشاه .

## - ٦ -

أمر طالوت بنى إسرائيل أن يستعدوا لقتال أعدائهم ، فتأهب اليهود للقتال ، وخرج فيمن خرج أخوة داود ، أما هو فبقى يرمى غنم أبيه ، وقبل أن ينطلق الجيش ، قال طالوت لجنوده :

— ان الله مبتليكم ببحر ، فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى ، الا من اغترف غرفة بيده .

وسار الجيش حتى اذا وصلوا الى النهر ، راح الرجال يشربون منه ، وعصوا أمر طالوت الا قليلا منهم ، فأمر طالوت من عصوه أن يقتلوا راجعين ، لأنه لا خير فى جنود لا يطيعون أوامر قائدهم .

وعبر طالوت والذين معه النهر ، وأصبحوا أمام جيش جالوت حاكم الفلسطينيين ، فلما رأوا جيش جالوت النجار ، مشى الرعب فى أوصالهم ، وقالوا :

— لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .

فقال المؤمنون الذين يظنون أنهم ملائكة الله :

— كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين . وانطلق جيش طالوت حتى أصبح أمام جيش جالوت ، فدعا المؤمنون ربهم :

— ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

بدأت المناوشات بين الجيشين ، فكان الرجال يخرجون

للرجال ، وبرز من بين صفوف الفلسطينيين ملكهم جالوت ،  
وكان طويلا جدا ، فى وجهه صرامة ، يبعث منظره الرعب فى  
القلوب ، ويزلزل الأرض تحت أقدام الأبطال الصناديد .

ووقف يتألق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خوذة  
من نحاس تتألأ فتنبعث منها أشعة تشيع فى صفوف بنى إسرائيل  
وعبا شديدا ، وكان يخيل لبنى إسرائيل أن درعه النحاسية حصن  
منيع ، وكان فى يده رمح هائل يترجح على سنانة المنون ، وصاح  
فى صوت يقصف كالرعد :

— يا طالوت لم يقتل قومى وقومك ، اخرج لقتالى أو اخرج  
لى من شئت ، فان قتلتك كان الملك لى ، وان قتلتنى كان  
الملك لك .

وساد فى ميدان القتال سكون رهيب ، ولف الخوف  
معسكر اليهود ، فما كان أحد منهم يجرؤ على أن يفكر فى  
التقدم لقتال ذلك الجبار الرهيب ، وصاح طالوت فى  
جنوده :

— من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرج أحد ، فما كان أحد ليرمى نفسه فى احضان  
الموت عن طواعية . وتقدم جالوت صوب صفوف اليهود ،  
فتأخروا مرعوبين ، فضحك جالوت ، وجلجلت ضحكاته ،  
وانبعثت الهتافات من صفوف جنوده ، وتطايرت عبارات الزراية  
والاستخفاف .

ومرت الأيام وجالوت يبرز كل يوم بين الصفوف يدعو  
الرجال للنزال ، فلا يجرؤ أحد على أن يخرج له ، فحز  
ذلك فى نفس طالوت ، وأراد أن يشجع الرجال على الخروج

لقتال ذلك الطاغية الذى يسخر منهم كل يوم ، فصاح فى جنوده :

— من يقتل جالوت كرمته وزوجته ابنتى ، وجعلت بيت أبيه حرا فى اسرائيل .

فلم يفر ذلك الوعد احدا من بنى اسرائيل ، فقد كانوا على يقين من أن من يخرج لقتال جالوت سيزف الى الموت قبل أن يزف الى ابنة طالوت .

وانقضى اربعون يوما على الحرب وجالوت يخرج كل يوم بين الصفوف يتألق فى الشمس فى زهو ، وعلى رأسه خوذته المتألثة التى تبعث الرعب فى قلوب بنى اسرائيل ، وفى يده رمحه الهائل الذى يترجح على سناناه المنون ، ويصيح بالرجال الصناديد أن يخرجوا لقتاله ، فلا يجرؤ احد على الخروج . كانت سخرية جالوت بهم مريعة ، تحز فى نفس ملكهم طالوت .

ترك داود غنمه ، وذهب ليرى اخوته المحاربين ، ويطمئن عليهم ، ويقدم لهم بعض الطعام ، وبلغ داود ساحة القتال فوجد الجيشين قد اصطفا للنزال ، وقد برز جالوت بين الصفوف ، وأخذ يصيح فى زراية واعتداد :

— أما من أحد يريد أن يقاتلنى ؟

انكمش اليهود ، ولم يتقدم منهم أحد ، فأحس داود دماءه تثور فى عروقه ، وتتدفق حارة الى رأسه ، فما بال هؤلاء الرجال يحجمون عن قتال ذلك الرجل ، فانطلق داود من بين الصفوف كعاصفة مزجرة ، وصاح :

— أنا اقاتلك .

فهرع أخوة داود اليه ، وصاحوا به :

— أمجنون أنت ؟ انه جالوت .  
 — ان من هو أقوى من جالوت يؤيدنى .  
 — عد الى غنمك يا داود ، انك تقدم على الانتحار .  
 وتقدم طالوت منه وقال له :  
 — انك غلام وهو رجل حرب منذ صباه .  
 — دعنى يا مولاى أقتله ، ان الله معى ،  
 فقال له طالوت :  
 — اذهب والله يرفعك .  
 وألبس طالوت داود ثيابه ، وجعل خوذة من نحاس  
 على رأسه ، وألبسه درعا ، وقلده سيفا ، وهم داود  
 بالسير ، ولكنه لم يقدر ، فنزعها داود عن نفسه ، وقال  
 لطالوت :  
 — انى أجد استعمال المقلع ، فما صوبته الى شىء  
 الا أصبته .  
 وتقدم داود فلما رآه جالوت غلاما صغيرا ، نظر اليه فى  
 استخفاف وقال له :  
 — يا فتى ارجع ، فانى لا أريد ان أقتلك .  
 فقال داود فى حزم :  
 — لا ، بل انا أقتلك .  
 وساد المعسكرين هدوء ، واشترابت الأعناق ، وشخصت  
 الأبصار ، وأخرج داود من جرابه حجرا ، ووضعته فى المقلع  
 ثم أداره وأرسل الحجر : فأصاب به عين جالوت فسقط ، فأسرع  
 داود اليه ، وقعد على صدره وحز رأسه ، فانبعثت أصوات  
 الهلع من صفوف الفلسطينيين ، وانبعثت أصوات التهليل من  
 صفوف بنى إسرائيل .

قتل داود جالوت ، فزلزل ذلى قلوب الفلسطينيين ، فما  
دار بخلداهم أن غلاما يقدر على ملكهم الجبار العتيد ،  
وبعث ذلك فى صدور بنى اسرائيل الحماسة فشدوا على  
اعدائهم النكير ، واعملوا فيهم القتل حتى فروا من امامهم  
مهزومين .

## — V —

وعاد طالوت منتصرا ، فخرج بنو اسرائيل لاستقباله ،  
وراحت الاسرائيليات يرقصن ويغنين فرحات مستبشرات ،  
واخذن ينشدن أن الملك ضرب أعداءه ، وأن داود استحق  
أن يتزوج ربوات ابنة الملك ، فأحس طالوت بعض الكدر ،  
فما كان داود الا راعيا يرعى الغنم ، لا يليق أن يصاهر  
الملك ، ونسى طالوت أنه كان سقاء قبل أن يختاره الله ملكا لبنى  
اسرائيل !

كان داود متواضعا فى نفسه ، فلم يلتمس أن ينفذ الملك  
وعده ، ويزوجه ابنته ، انه ما خرج لقتال جالوت طمعا فى  
ربوات ، ولكنه تقدم لقتله ارضاء لاله اسرائيل .

وعين طالوت داود قائدا لجيوشه ، فكان لا يخرج الى  
غزوة الا عاد منها منتصرا ، واشتهر داود وعلا ذكره ،  
أحبه الشعب حبا جها ، ورأى الملك أن يصاهره ، فبعث اليه من  
قول له :

— ان الملك يوافق على أن يعطيك ابنته ميرب لو طلبتها  
زوجة لك .

فقال داود فى صدق :

— ومن أنا حتى أصاهر الملك ! ؟

وتزوجت ابنة الملك الكبرى من رجل آخر ، واستمر داود

فى غزواته ، ودخوله وخروجه أمام الشعب ، فأصبح محط آمال  
الاسرائيليين ، وشغفت ميكال ابنة الملك به حبا ، فأرسلت الى  
أبيها من يذكر له أن ميكال ابنته تهوى داود ، ولا تطيق العيش  
بعيدة عنه ، فبعث طالوت اليه الرسل يقولون له :

— ان الملك يحبك وتقدر ، وانه يرى أن يزوجك ابنته ميكال  
اظهارا لأعجابه بك ، ومكافأة لك على الوفاء والاخلاص .

فقال داود :

— ومن أنا حتى أصاهر الملك ؟ !

— انك قائد المظفر ، الذى يسير النصر فى ركابه ، انك  
طالع السعد فى مملكته .

— اننى رجل فقير ، وليس من الهين على رجل مثلى أن  
يصاهر الملوك .

— انك رجل حرب قدير ، وبمثلك توطد العرش .

واستمر الرسل فى اقناع داود بقبول الزواج من ميكال التى  
تحبه ، حتى اقتنع ، وتم الزواج ففرحت ابنة الملك العاشقة ،  
وزاد داود بتلك المصاهرة علوا ورفعة فى أعين بنى اسرائيل .



## - ٨ -

زاد داود علوا ورفعته فى عين بنى اسرائيل ، وزاد حبه الشعب له ، فأحس طالوت عواملى الغيرة تتحرك فى نفسه ، وأخذت الغيرة تزدد حتى فكر طالوت فى قتل داود .

كانت تلك الفكرة تراوده وتستولى عليه وتستبد به ، وفى ذات ليلة أفضى الى يونانان ابنه وولى عهده ، أنه سيقتل داود ، ليبقى على الملك فى أسرته ، فداود أصبح خطرا على العرش ، ان قلوب الشعب تلتف حوله ، وان الزمن حليفه ، فإذا ما ترك حيا فلن يحول بينه وبين الملك حائل .

كان يونانان يحب داود حبا جما ، ويقدر مواهبه ، فهرع اليه وقال له :

— أبى يلتمس الليلة قتلك ، فاهرب من وجهه الى الخلاء ، واختبئ فإذا أسفر الصبح عن وجهه ، خرجت أنا وأبى الى قرب مخبئك وتحادثنا عنك فتسمع ما يدور بيننا من حديث .

وهرب داود من وجه طالوت ، فلما أصبح الصبح خرج طالوت وابنه وأقبلا حتى وقفا بالقرب من مخبأ داود ، وقال يونانان :

— ليت الملك لا يخطئ فى حق عبده داود ، لأن داود لم يخطئ فى حقك ، انه لبيذل قصارى جهده ارضاء لك ، لقد شهر نفسه فى يدك سيفا على أعدائك ، وانزل بهم



الهنائم ،- انك لا ترضى أن تريق دما بريئا . تذكر أن الرب  
الذى اختارك ملكا على هذا الشعب يرقب أعمالك ، ويعرف  
ما تخفيه فى صدرك .

فأطرق طالوت قليلا وقد أحسن ندما على ما فكر فيه ،  
فقال :

— أقسم أن لا أمد يدي إلى داود بأذى ما حييت .  
وعاد طالوت وابنه إلى القصر يتسامران ، وخرج داود  
من مكمنه وانطلق إلى الملك ، فقابله باثنا مرحبا .

وخرج داود لقتال الفلسطينيين ، فضربهم وانتصر عليهم ،  
وعاد إلى بنى إسرائيل مظفرا ، فاستقبلوه استقبالا فخما رائعا ،  
وبلغت مسامع طالوت هتافات الجماهير ، فتحركت الغيرة فى  
صدره ، وراحت تعذبه وتضنيه .

وجلس داود يوما إلى الملك يشجيه بصوته الحنون ،  
وكان الملك مطرقا وفى يده رمح ، لم يكن يصفى إلى الصوت  
العجيب الذى ينفث السحر ، بل كان يصفى إلى شيطانه  
الذى كان يوسوس له أن يقتل من سلبه حب شعبه ، ورفع  
الرمح وطعن داود ، ولكنه أخطأه ، فنهض داود وفر من  
وجهه .

هرب داود إلى بيته ، وذهب إلى ميكال ، يقص عليها  
خبره ، فقالت له ميكال :

— اننى أعرف أبى ، أهرب بنفسك الليلة ، لأنه سيعذب  
فى أثرك من يقتلك .

وهم داود بالخروج ، فقالت له ميكال :

— لا تخرج من الباب ، أن عبيد أبى يرصدونك ، ويرقبون  
خروجك ليقتلوك ، تعال .

وساعدته على الخروج من كوة فى الحائط ، فانطلق هاربا من الموت الذى ينتظره عند الباب .  
 ووضعت ميكال فى فراش داود تمثالا ، وغطته بغطائه ،  
 لتخدع الرجال الواقفين بالباب يتجسسون . وأرسلت الشمس  
 أشعتها الأولى ، فسمعت ميكال طرقا على الباب فذهبت لتحدث  
 عبيد أبيها ، فلما انفرج الباب قالت للرسل الذين أرسلهم  
 الملك :

— ماذا تبغون ؟

— ان مولانا يطلب داود .

فقالت ميكال فى هدوء :

— ان زوجى مريض .

وعاد الرسل الى الملك ، فأمرهم أن يأتوا اليه بداود فى  
 فراشه ، وقفل الرسل عائدين ، وما دخلوا حجرة داود حتى  
 وجدوا التمثال نى استقبالهم .

واشتد غضب طالوت ، وصاح بابنته :

— لماذا اطلقت عدوى حتى فر من يدى .

فانبرت الزوجة المحبة تدافع عن زوجها ، ولكن ذلك  
 الدفاع لم يذهب بغضب الملك ، فبعث رسله ينقبون عن  
 داود .

وجاء اليه رسله يخبرونه بمكانه ، فخرج اليه فى  
 جنوده ، وما أن وصل الى حيث كان حتى وجده والنبي  
 شمويل يصليان الله فى خشوع ، ويشع من المكان نور الهى  
 عجيب ، وتطوّف به نفحات ربانية تغمر بالايمان القلوب ، فانقشع  
 الحقد عن صدره ، وهبت عليه نسائم من الرحمة ، وتذكر ما فعله  
 الله له ، وانه أكرمه وجعله ملكا على شعبه ، فخلع ثيابه ، وذهب  
 يصلّى الله ، يدعو فى ذلة وانكسار .

## — ٩ —

- قابل داود يونانان وقال :
- ماذا جنيت حتى يلتبس أبوك قتلى ؟
- فقال له يونانان :
- سامحك الله ، ان أبى قد عفا عنك .
- اننى أحس الشر يحيط بى من كل مكان .
- ان أبى لا يفعل شيئا الا أخبرنى به ، فلو كان ينوى قتلك حدثنى عن ذلك .
- لقد علم أبوك حبك لى ، فأخفى عنك عزمه .
- فأطرق يونانان قليلا ثم قال :
- وماذا ترى ؟
- ان غدا أول الشهر ، وان على أن أشارك الملك فى مجلسه فى الوليمة التى يعدها كل شهر ، ولكننى أرى أن أتخلف عن هذه الوليمة ، فإذا سأل أبوك عنى ، فقل له : ان داود استأذنى فى الذهاب الى بيت لحم ، ليقدم قربانا الى الرب ، فإذا قال الملك : « حسنا » ، كان ذلك دليل الرضا والسلام ، أما اذا غضب وثار كان ذلك آية على ما يضر لى من شر .
- واتفقا على أن يختبئ داود حتى يكشف يونانان خبيثة نفس أبيه ، ويخبره بما يضر له . قال داود لصديقه :

— أخشى اذا جئت الى أن يبعث الملك رجاله في أثرك  
 ينعقبونك ليهدتوا الى مكانك .  
 فقال يونانان وهو يفكر :  
 — فماذا نفعل ؟

فقال داود وهو يضغط على يد صديقه في ولاء : والله  
 لا أدري .  
 فقال يونانان :

— أخرج مع غلام من غلماني فإذا كان الملك راضيا عنك ،  
 فسأرمي سهمي وأمر الغلام أن يلتقط السهام القريبة منه .  
 أما اذا كان الملك حاقدا عليك ، فأمر غلامي أن يلتقط السهام  
 التي تجاوزته .

وانطلق داود يختبئ ، وذهب يونانان الى القصر ، ووافى  
 معاد الوليمة ، فجلس الملك في صدرها ، وجلس كل في مكانه ،  
 وبقي متعده داود خاليا ، ومر اليوم الأول ، ولم يقل الملك شيئا ،  
 وجاء اليوم الثاني ، وجلس كل في مكانه ، وبقي متعده داود خاليا ،  
 فقال الملك :

— أين داود ؟ غاب اليوم ، وغاب الأمس .  
 فقال يونانان :

— التمس داود مني أن أسمح له بالذهاب الى بيت لحم ،  
 ليقدم الى الرب قربانا . وسألني أن يذهب ليرى أخوته ،  
 فاذنت له .

فغضب طالوت غضبا شديدا ، وصاح بآبائه :

— يا أحمق ، ألا ترى أنه ما دام داود يمشي على وجه  
 الأرض ، فلن تبرع يوما على عرشك ؟ أبعث من يأتي به ،  
 الأقتله .

— كيف تقتله ولم يفعل ما يوجب القتل ؟ حرام أن تهدر  
دما بريئا .

— اننى أقتله من أجلك .

— لا أرضى أن تسفك الدماء باسمى .

— عزيز على أن أرى الملك يفلت من بين أصابعك ، وأنا  
أنظر لا أفعل شيئا .

— أين ذهبت حكمتك . . أنسيت أن الله يعطى الملك من  
يشاء ؟

— ان حكمتى تهيب بى أن أقتله ، اذا تربع على العرش ،  
فلن يتركك تمشى فى الأرض يوما ، سيقنتك ويقتل أسرتك جميعا ،  
فما كان للملك جديد أن يترك أحدا دون ذبح من أسرة من سبقه ،  
اننى سأقتله لأحييكم جميعا .

فقال يونان وهو يغادر المكان :

— لن أسمح بذلك ما دام فى عرق ينبض .

وانقضت الليلة ، وبزغت الشمس تريق ضياءها على الكون ،  
وخوج يونان و غلام صغير يحمل قوسه وسهامه ، وما ان  
بلغ مكان اختفاء داود حتى تناول القوس ، ووضع فيه السهام ،  
وأطلقها بعيدا ، وصاح بغلامه :

— التقط السهام التى تجاوزتك ، أسرع ، اركض ، لا تقف .  
وفهمها داود ، فخرج على حذر ، وانطلق وهو ينرقب ، فالملك  
حاقد عليه يريد اغتياله ، لقد أصبح طريد القانون ، فراح يحدث  
الخطا هاربا بحياته .



## - ١٠ -

أصبح داود طريد القانون ، انه عرضة للقبض عليه في أية لحظة ، وتنفيذ القتل فيه ، وان من ييذى له صداقته يعرض نفسه للمهالك ، واستمر في فراره حتى وصل الى نوب مدينة الكهان ، ودخل على أخيك الكاهن ، فاضطرب الكاهن لما رأى داود قد دخل عليه وحيدا ، فما اعتاد أن يراه الا في جنده وابتهه ، وأوجس خيفة ، فقال له في ريب :

— لماذا انت وحدك ؟

فقال داود في همس كأنما يفيض الى الكاهن بسر :

— أمرنى الملك أمرا وأوصانى الا يعلم به أحد ، لذلك خرجت وحدى ، حتى لا يظن أحد الى خروجى .  
وتلفت داود ثم قال :

— أيمكنك أن تمدنى بطعام ؟

— ليس عندى الا الخبز المقدس .

وقدم له من الخبز الموضوع على مذبح يهوذا ، فلما تناول الخبز قال :

— أيمكنك أن تمدنى بسلاح ، لأننى خرجت على عجل دون سيف أو رمح ؟

فقال كاهن نوب :

— ليس عندى الا سيف جالوت الذى قتلته ، فان رأيت أن تأخذه فخذ .

فقال داود :

— على به ، انه سيف بتار .

وخرج داود لينضم الى أهله ، وما درى أن أحد خدم طالوت كان فى المعبد يسترق السمع ، ويعد عليه حركاته وسكناته .

وانضم الى داود أهله ورجاله والساخطون الثائرون على الحكم ، وراح الرجال يتقاطرون عليه حتى اثتند ساعده ، واحتفى بالجبال ، فلما بلغ طالوت خروج الرجال الى غريمه ، وقف فى رجاله وقال لهم :

— ما لقلوبكم قد تغيرت على ، وما بالكم تخفون عنى أن ابنى قد تعاهد مع داود ، ما بال أفئدكم قد تحجرت ، أيمنحكم داود جميعا حقولا وكروما ، وينصبكم رؤساء على الجند ؟ ! ماذا فعل لكم داود حتى أصبحت قلوبكم معه .

فتقدم الخادم الذى رآه فى المعبد ، وقال فى هدوء :

— رأيت داود فى نوب يتحدث مع أخيك ، وقد أعطاه الكاهن مؤونة وسيف جالوت .

فبعث الملك من يحضر له أخيك وجميع أهل بيته ، فلما مثلوا أمامه ، قال الملك للكاهن فى غضب :

— ما الذى جعلك تتأمر على ، وتتحالف مع عدوى ؟

— حاشاى أن أفعل ذلك يا مولاي .

— منحت داود طعاما ، وأعطيته سيفا ، ونفحته ببركتك .

— من من رعاياك أكثر إخلاصا لك من داود ! انه زوج ابنتك .

.. انه عدوى .

— ما كنت أعرف يا مولاي شيئاً من ذلك .  
ولم يصغ طالوت اليه ، وقال فى غضب :  
— فلتمت أنت وأهل بيتك .  
وصاح طالوت فى خدمه :  
— اقتلوا هؤلاء الذين تأمروا على الملك مع داود .  
وقف الخدم مشدوهين ، فما كانوا يظنون أن يأمر طالوت بقتل  
رهبان الرب ، وفطن طالوت الى ترددهم ، فصاح بهم :  
— اقتلوهم .  
ولكن أحداً من الخدم لم يتقدم ، فصاح فى الخادم الذى  
أفشى سر داود :  
— اقتلهم أنت .  
وتقدم الرجل يقتل أخياك وأهل بيته ، ولم يشف ذلك  
الدم المسفوك غليل الملك ، فبعث جنوده الى نوب مدينة الرهبان ،  
فيضربوا أهلها بالسيف ، فسقط الرجال والنساء والأطفال  
صرعى ، ولم ينج الا غلام انطلق يخبر داود بما حل بنوب : مدينة  
الرهبان .

## — ١١ —

وترامى الى داود أن الفلسطينيين قد أغاروا على قعيلة ،  
الواقعة على الحدود بين أراضى إسرائيل والفلسطينيين ،  
فقال لرجاله أن يتأهبوا للخروج لقتال الفلسطينيين ، فقال له  
رجاله :  
— اننا ها هنا خائفون نترقب ، نخشى أن يهبط علينا طالوت



وجنوده ، فكيف تريد أن نذهب الى قتال الجبارين ؟

فقال داود لرجاله :

— سنخرج للقتال ، وسننتصر على أعداء اسرائيل .

فقال الرجال فى اضطراب :

— كيف نخادر الحصون لنذهب الى مدينة لها أبواب وأسرار ؟

— أوحى الى أننا منتصرون .

وخرج داود وضرب أعداءه ، وساق امامه الغنائم والأسلاب ، وبلغ طالوت أن داود ورجاله الثائرين قد دخلوا قعيلة ، فأيقن أنهم قد وقعوا فى يده ، فما أيسر أن يحاصروهم فى مدينة ذات أسوار وأبواب ، ولكنه ما أن بلغ المدينة حتى ألقى داود ورجاله قد خرجوا منها هاربين .

واحتفى داود فى الغاب ، وإذا برجل غريب قادم ، فامتدت الأعناق ، وشخصت الأبصار ، وإذا بصائح يصيح .  
— انه يونانان .

فهرع داود للقاء صديقه الحميم ، وتعانق الصديقان ، وقال يونانان :

— لا تخف ، ان يد أبى لن تصل اليك ، وستصبح ملك اسرائيل ، وسأصبح خليفتك .

وتعاهد الصديقان أمام يهوذا أن يخلص كل منهما لأخيه ، ثم قفل يونانان عائدا الى القصر ، وبقي داود هائما فى الغاب .  
كان داود ورجاله يسكنون الكهوف ، وفى ذات يوم خرج طالوت فى ثلاثة آلاف رجل يطلب داود ، واستمر فى تنقيبه حتى بلغ الكهوف ، وأحس التعب يمشى فى أوصاله ، فدخل الى كهف ونام .

كان داود ورجاله فى ذلك الكهف ، فلما رأوا طالوت نائما  
قالوا لداود :

— هذا هو طالوت فد ساقه الله اليك ، ثم فاقطله .

فقال داود فى اخلاص :

— حاشى أن أقتل رجلا اختاره الله ملكا لبني اسرائيل .

وهم الرجال بالانقضاء على ملكهم ، فقال لهم زاجرا :

— حذار أن يمسه أحدكم بسوء .

وسار داود على حذر حتى اقترب من طالوت الغارق فى  
سباته ، قطع طرف جبته ، ثم عاد الى مكانه ينتظر استيقاظ  
الملك .

قام طالوت من رقاده ، و انطلق صوب باب الكهف ، وما ان  
خرج منه ، حتى مس أذنيه صوت يناديه :

— مولاي ! مولاي .

فقال طالوت فى عجب :

— هذا صوت داود . أنت داود ؟

— أنا داود عبدك المخلص ، لماذا تلقى السمع يا مولاي الى  
من يوسوسون لك أننى أبغى أن أمد لك يد الأذى ، ان الشر  
يا مولاي لا يصدر الا عن الأشرار ، اننى لا أحمل لك الا الحب  
والاخلاص ، لو كنت أريد بك شرا ، فقد كنت اليوم تحت  
رحمتي ، فما كان أيسر أن أقتلك ، ولكنى ما كنت أمد يدي الى  
من اختاره الله ملكا علينا . انظر يا سيدى الى طرف جبتي ،  
قطعته لذلك على ولائى ، كانت روحك تتأرجح على طرف  
سيفي ، فوهبتها لك ، وأنت تقطع القفار ، وتتجشم المتاعب  
لتسلبنى روحى وما أسأت اليك . انى أتركك لله يحكم بيننا وهو  
خير الحاكمين .

فانهمرت دموع طالوت وقال :

— انت أبر منى يا داود ، ظفرت بى وعفوت ، قابلت الاساءة  
بالحسان . يا للروح الخبيثة التى حلت بى ، كانت تهتف بى  
أن أقتل داود ، ولكن ماذا فعل داود ؟

اننى أسأت البك يا ولدى ، وان الغضب أعمانى حتى قتلت  
رهبان الرب دون ذنب ارتكبه . سأبتل الى الله ، ، وادعوه  
عله أن يغفر لى ذنبى .

ووقع فى قلب طالوت التوبة ، وندم وأقبل على البكاء وكان  
كل ليلة يخرج يبكى وينادى :

— انشد الله عبدا علم أن لى توبة الا أخبرنى بها .

فقال له قائل :

— هل تدري ما مثلك ، انما مثلك مثل ملك نزل قرية  
عشاء ، فصاح الديك نتطير منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية  
ديكا الا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام ، قال : اذا صاح الديك  
سأيقظوننا حتى ندلج ، فقالوا له : وهل تركت ديكا يسمع صوته ،  
وانت هل تركت عالما فى الأرض تسأله هل لك من توبة ؟  
فازداد حزنه ، وانطلق يسح دموع الندم .



## - ١٢ -

وخرجت جحافل الفلسطينيين لقتال اسرائيل ، وتأهب  
طلالوت وجنوده للحرب ، ودارت المعركة رهيبة قاسية ،  
طلالوت يقاتل في حرارة ، ليكفر عن ذنبه ، انه كان متأهباً  
بوجود بدمه ، لعل الله يغفر له دماء الرهبان الزكية ، التي  
سالت كالأنهار في نوب .

وانخلعت قلوب بني اسرائيل امام هجوم الفلسطينيين  
الرهيب ، فولوا مدبرين ، وثبت طالوت وأبناءؤه للقتال ، وراح  
يوناثان يحارب في قوة ويأس ، يذب عن أبيه .

سقط يوناثان صريعاً ، فأحس طالوت كأن خناجر تمزق  
فؤاده ، وسقط أبناءؤه حوله يخطبون في دمائهم ، فراح يئن  
كوحش جريح ، وأصابه سهم في عنقه ، فسال دمه غزيراً ،  
فالتفت الى حابل سيفه وقال له :

— استل سيفك وأطعنى به ، فإنه أكرم لى أن أموت بسيفك  
من أن أموت بسيوف هؤلاء الأوغاد .

فقال له الرجل وقد اتسعت عيناه رعباً :

— مولاي ، حاشاي أن أفعل ما يؤذيك .

فصاح به طالوت :

— اضرب .

فقال الرجل في فزع :

— لا أستطيع .

فأخذ طالوت منه السيف ، وثبته في الأرض ، وجعل

حرفه المديب في قلبه ، ثم ألقى بنفسه عليه ، غلظت نفسه  
الأخير ، ورأى حامل السيف ما حل بمولاه ، فألقى نفسه على  
سيفه ، فسقط الى جواره . يشاركه الممات .

وجاء الفلسطينيون . يبسلون القتلى ، فوجدوا طالوت  
صريعا ، فحزوا رأسه ، ونزعوا سلاحه ، وراحوا يطوفون  
بالرأس في الأسواق ، وهم يتصايحون فرحا ، وفي ذلك  
الوقت كان رجل من الاسرائيليين يفر مذعورا كأنها يقتفى أثره  
الشياطين .

أقبل الرجل وقد شق ثيابه ، يحثو التراب على رأسه ،  
غهرع داود اليه وقال له :

— من أين أنت ، ؟

— هربت من عسكر اسرائيل .

— كيف خلفتهم ؟

— فر الناس من المعركة مهزومين ، وقد سقط الرجال قتلى ،  
وصرع طالوت وابنه يونانان .

وشعر داود بالحزن يعتصره ، وفاضت في نفسه مشاعر  
الحب للملك الراحل ، ولليونانان الصديق ، فراح يندبهما في صوت  
حزين :

مجدك يا اسرائيل صريع على شوامخك .

كيف سقط الجبابرة !

لا تذكروا هذا النبأ في جيت .

ولا تذبعوه في شوارع أشقلون .

لئلا تفرح الفلسطينيين .

لئلا تشمت بنات الأجلاف .

يا جبال جبلوع .

لا تدعى الطلل ولا المطر تتساقط عليك .  
ولا المرامي تنبت على سفوحك .  
لأن هناك ألقى مجن الجبابرة .  
مجن طالوت دون أن يمسح بالدهن المقدس .  
ان الحبيبين طالوت ويونان لم يفترقا فى حياتهما .  
وها هو ذا الموت يجمع بينهما .  
كانا أخف من النسور ، وأشد من الليوث .  
يا بنات اسرائيل ابكين على طالوت بالدمع الهتون .  
طالوت الذى دثركن فى الديباج .  
وجعلكن ترفلن فى ثياب موشاة بالذهب .  
كيف سقط الجبابرة فى وسط المعمة .  
يا يونان ، ي من قتلت مل .  
ان حزنى عميق عليك يا يونان .  
كنت لى حبيبا .  
وكان حبك لى عجيبا :  
يفوق حب النساء .  
كيف سقط الجبابرة .  
وتكسرت أدوات القتال ؟ !

— ١٣ —

السنون تمر ، وداود فى عاصمة ملكه حبرون يحكم  
عشيرته ، وابن طالوت على بنى اسرائيل ، وفى ذات يوم جاء  
الناعى ينعى اليه ابن طالوت ، فعلم داود أن موعد تنصيبه ملكا  
على اسرائيل كلها قد حان .

وجاء أكابر بنى اسرائيل اليه يدعونه ، ليكون ملكا على كل الأرض ، ونودى به على اسرائيل ، ولما كانت حبرون لا نصح لتكون عاصمة للمملكة كلها ، خرج داود وزوجاته ورجاله وجنوده وانطلقوا الى حصن اورشليم .

وأوحى الله اليه :

— يا داود ، انا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ، بما نسوا يوم الحساب .

وقسم داود الدهر ثلاثة أيام ، يوما يقضى فيه بين الناس . ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوما يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وفى ذات يوم خلا بنفسه يتعبد ، فراج بقرا الصحف الاولى فوجد فيها فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب . فرفع وجهه الى السماء وقال :

— يارب ارى الخبر كله قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى ، فأعطنى مثل ما أعطيتهم ، وافعل بى مثل ما فعلت بهم :

— ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبطل بها ، ابتلى ابراهيم بذبح ابنه ، وابتلى اسحاق بدهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وانك لم تبطل من ذلك بشيء . فقال داود فى ابتهال :

— يا رب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطنى مثل ما أعطيتهم . واستأنف داود حياته ، وخرج يوما الى سطح القصر . فابصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجل النساء خلقا ، فحانت منها التفاتة ، فابصرته ، فألقته

شعرها فاستترت به ، فزاده ذلك فيها رغبة ، وشغل داود بها ،  
وسأل عنها ، فعلم انها زوجة أوريا الحثي ، وهو قائد من  
قواده ، وراحت صورة المرأة الفتانة تلح على مخيلته ، وهو  
يحاول أن يطردها ، وأخذ يشغل نفسه بالعبادة ، ولكن هيهات  
أنه غارق في بحر لحي من التصورات التي تدور حول المرأة  
الجبيلة التي انطبع في حسه .

وتوافدت الأفكار الى رأسه متدفقة مذبذبة ، وهمس في  
نفسه هامس : لو قتل ذلك القائد في معركة من المعارك ،  
أصبحت المرأة له . واستولت عليه تلك الفكرة ، واستبدت به ،  
فبعث الى صاحب المسلحة التي يعمل بها أوريا ، وأمره أن  
يبعثه لقتال عدو شديد البأس .

خرج أوريا للحرب ، ودار القتال ، واشتدت وطأته ،  
وحمل وطيسه ، وانجلت المعركة عن انتصار أوريا ، وعودته  
منصورا ، فبعث داود الى صاحب المسلحة أن ابعثه الى عدو  
آخر أشد بأسا ، فخرج أوريا للحرب وما هي الا أيام حتى عاد  
منتصرا ، فكتب داود الى صاحب المسلحة أن ابعثه ليفتح حصنا  
من حصون الأعداء ، فذهب أوريا الى الحصن المتين وعند  
أسواره سقط مقتولا .

بلغ داود نبا مصرع أوريا ، فأخذ زوجته التي فتنته وتزوجها ،  
ليعيد الى نفسه الهدوء والاطمئنان !



## - ١١٤ -

عادت الطمأنينة الى داود بعد أن أكمل زوجاته مئة ، وعادت حياته الى ما كانت عليه ، ولكن ذلك الهدوء لم يدم طويلا ، ففى يوم عبادته دخل الى محرابه بمجد الله بصوته الذى تخشع له الأئمة والطيور والوحوش فى الغاب وجاء رجلان يلتمسان مقابلته . فقال لهما الحراس :

— انه لا يستطيع أن يقابلكما اليوم ، لأنه فى يوم عبادته .  
فانطلق الرجلان الى السور وتسلقاه ، ودخلا على داود وهو غارق فى عبادته ، فما شعر الا وهما جالسان بين يديه ، فخاف منهما ، فقالا له :

— لا تخف ، نحن خصمان بقى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق .

قال لهما وقد انرخ روعه :

— قصا على قصتكما .

فقال أحدهما :

— ان هذا أخى ، له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فهو يريد أن يأخذ نعجتى فيكمل بها نعاجه مائة .

فقال داود للآخر :

— ما تقول ؟

— ان لى تسعا وتسعين نعجة ، ولأخى هذا نعجة واحدة ،

فأنا أريد أخذها منه ، فأكمل بها نعاجى مائة .

— وهو كاره ؟

— وهو كاره .  
 — اذا لا ندعك وذاك .  
 — ما أنت على ذلك بقادر .  
 — فان ذهبت تروم ذلك ، ضربنا منك هذا وهذا .  
 وأشار الى طرف الأنف والجبهة ، فقال الرجل :  
 — يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا ، فان لك  
 تسعا وتسعين امرأة ، ولم يكن الأوريا الا امرأة واحدة ، فلم  
 تزل به تعرضه للقتل حتى قتل ، وتزوجت امرأته .  
 فنظر داود فلم ير شيئا ، فعرف أنهما ملكان أرسلنا ليفهما  
 ما قد وقع فيه وما ابتلى به ، فخر ساجدا يبكى وينتحب ، ويقول  
 في حزن .  
 — زل داود زلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب ، رب ان  
 لم ترحم ضعف داود ، وتغفر له ذنبه ، جعلت ذنبه حديثا في  
 الخلائق من بعده .

## — ١٥ —

اشتد حزن داود ، وشفه الأسى ، وراح ضميره يعذبه  
 ويضنيه ، وفرائصه ترتعد رهبة من خشية الله ، فكان يخلو  
 بنفسه في محرابه ، ويخر ساجدا لله ، يدعو ويبتهل اليه  
 أن يرحم ضعفه ، وأخذ ينادى ربه وقد زلزلت نفسه :  
 سبحان الملك الأعظم الذي يبتلى الخلائق بما يشاء  
 سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين القلوب  
 الهى ! خلّيت بينى وبين نفسي ، فزلت بى قدمى .

الهي ! تبكى الشكلى على فلذة كبدها اذا فقدته ،  
ويبكى داود على خطيئته .

سبحان خالق النور ، يغسل الثوب فيذهب درنه  
أما خطيئتي فلاصقة بى ، لا تذهب عنى .  
الهي ! الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقتال هذا  
الخاطيء !

الهي ! بأى عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر  
الظالمون من طرف خفى .  
الهي ! كانت نجوم السماء تؤنسنى ، وها هى ذى  
خطيئتي تكتنئنى .

الهي ! انا الذى لا أطيق وعدك ، فكيف أطيق وعيدك !  
الهي ! الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب .  
الهي ! رق القلب وجهدت العينان من خشية اللقاء .  
سبحان خالق النور ! اللهم برحمتك أغفر لى ذنوبى  
ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى ، فانك أرحم الراحمين .  
الهي ! انى أعوذ بك ، وبنور وجهك الكريم من ذنوبى  
التي أوبقتنى .

الهي ! فررت اليك من ذنوبى ، واعترفت بخطيئتى ،  
فلا تجعلنى من القانطين ، ولا تخزنى يوم يبعثون .  
وظل داود يبكى خطيئته ، ويدعو الله أن يغفر له ذنبه ،  
ويتوب عليه ، وكان لا يرفع رأسه الى السماء حياء ! وكان الناس  
يعودونه فيظنون أنه مريض ، وما به الا الحياء والخوف .  
ومرت الأيام والليالى وهو فى سجوده ، لا يرقا له

دمع . وفى ليلة هادئة نام الناس ، وبقي داود وحده يناجى ربه .

— يا رب ، قرح الجبين ، وجمدت العين ، داود لم يرجع اليه فى خطيئته شئ .

ونحب نوبة شقت سكون الليل ، فأوحى الله اليه :

— يا داود ارفع رأسك ، فقد غفر الله لك .

## — ١٦ —

ورزق داود بسليمان من بتشيع ، زوجة أوريا ، ومرت السنوات وداود يغزو أعداءه ، وينزل بهم الهزائم القاصمة ، وكبر داود وشاخ ، كان يجلس للناس يحكم بينهم ، وفى ذات يوم جاء رجلان يختصمان ، قال أحدهما :

— ان غنم هذا الرجل دخلت حقلى ، أكلت ما فيه من الزرع .

وسأل داود صاحب الغنم :

— هل فعلت غنمك هذا ؟

— نعم .

قال داود :

— يأخذ صاحب الحقلى هذه الغنم ، مقابل زرعه الذى

فسد .

وكان سليمان حاضرا ، وكان غلاما فى الثانية عشرة من عمره ، فقال :

— غير هذا يا نبي الله .

فالتفت داود الى ابنه وقال له :

— ماذا ترى يا سليمان ؟

— يأخذ صاحب الغنم الحقل ليصلحه ، ويأخذ صاحب الحقل الغنم ، لينتفع بلبنها ونتائجها ، حتى اذا عاد الحقل كما كان ، اخذ صاحب الحقل حقله ، واخذ صاحب الغنم غنمه .

وتهللت أسارير داود لحكمة ابنه ، وقضى بها قاله ، ولما انفض مجلسه ، ودخل الى أهله ، وأقبلت بتشيع اليه ، أخبرها أنه سينصب ابنها سليمان ملكا من بعده .

وفكر أدونيا بن داود في أنه وارث العرش بعد أبيه ، فجهز عجلات وفرسانا ورجالا يجرون أمامه ، ورأى أن أباه قد شاخ ، ولم يعد يصلح للملك ، فعزم على أن ينادي بنفسه ملكا على اسرائيل ، فأعد وليمة فاخرة ، دعا اليها جميع اخوته ما عدا سليمان ودعا خدام الملك ، ليبياعوه بالملك في ذلك الحفل .

ودخل حكيمن من حكماء القصر على بتشيع أم سليمان ، وقال لها :

— أما بلغك ما فعله اليوم أدونيا ؟

فقالت في لهفة :

— ماذا فعل ؟

— دعا اخوته الى وليمة ، لينصب نفسه ملكا على اسرائيل ،

دون أن يعلم داود .

— فماذا افعل الآن .

— أدخلى الى داود ، وقولى له : أما وعدتنى أن يكون سليمان ملكا من بعدك ؟ فما الذى جعل أدونيا يطلب الملك لنفسه ؟ وفيما أنت تحدثين الملك أدخل أنا لأشد أزرك .

ودخلت بتشيع على داود ، وقالت له :

— وعدتنى أن يخلفك ابنى سليمان على عرشك ، ولكن ها هو ذا أدونيا يذبح الذبائح ، ويمد الموائد ويدعو جميع اخوته ليبياعوه بالملك دون علمك ، فماذا أنت فاعل ، ان بنى اسرائيل يتطلعون اليك .

ودخل حكيم القصر وقال :

— أنت أمرت أن يكون أدونيا ملكا من بعدك ؟

— ادع لى الكاهن ، وادع لى رجالى .

ودخل الكاهن ورجال داود المخلصون ، فقال لهم داود :

— أركبوا سليمان على بغلتي ، وانفخوا فى الأبواق واهتفوا :

يحييا الملك سليمان . لقد نصبته ملكا على يهوذا واسرائيل .

وركب سليمان بغلة داود ، ونفخ فى الأبواق ، فجاء الناس من كل فج عميق يهتفون بحياة الملك الجديد .

وصكت الهتافات آذان من دعاهم أدونيا الى الوليمة التى جهزها لينادى بنفسه ملكا على اسرائيل ، فارتعدت فرائصهم ، وانتشر الخوف فى أجوافهم ، فتفرقوا ذعرا ، ودبت الرهبة فى قلب أدونيا ، وخشى أن يفتك سليمان به ، ففر الى المعبد ولاذ به ، وقال : لن أبرح حتى يأتينى الأمان من أخى .

وأمنه سليمان ، فوفد عليه يعرض ولاءه .  
وصعد سليمان الى عرش أبيه ، وتربع في دست الملك ،  
فخر داود ساجدا في فراشه وقال :

— لك الحمد يارب على ما أوليتني من نعم ، الهى اغفر  
لى عجزى الآن بيانى قد قصر عن أن يفصح عما يجيش به صدرى .  
لك الحمد يا رب ، اذ وهبت لى اليوم من يجلس على عرشى ،  
وعيناي تبصران .

—•E%-3+—

## سليمان و بلقيس

- ١ -

الناس يتنفسون فى حذر ، ويتلفتون فى ذعر ، ويتهايمسون فى خوف ، هجرت الطمأنينة سباً بعد أن سادها الطغيان ، ونزل بها الرعب والفرع . ان زلة لسان ، أو اشارة امتعاض ، أو غمغمة استياء . كافية لاطاحة رعوس ، فالذى استلب الملك من ملكهم طاغية قد قلبه من الصخر . كان قاسيا لا يعرف الرحمة ، فأذاق الشعب صنوف العذاب ، وسقاه الذل ، وجرحه الهوان ، انه يلغ فى الدماء ولوغا ، وتستريح نفسه لأنات الألم ، وتأوهات الشقاء .

خيم على سباً سحائب داكنة من الذل والخنوع ، وأحست بلقيس ما يقاسى الناس من كرب بعد موت أبيها ، فتأملت ، وزاد أساها على مر الايام ، فانقلبت حقدا على الطاغية الغشوم . فما كان الشعب الوديع يستحق كل ذلك الاضطهاد .

أطرقت مهمومة تفكر فيما تعلمه لذلك الشعب الذى رماه سوء حظه بحاكم مستبد ظالم لا يطاق ، فالتمعت فى رأسها فكرة ، فبيتت العزم على انفاذها ، لعلها تريح الناس من ذلك الطاغية الجائر ، وتعيد الى القلوب الطمأنينة ، والى سباً العظيمة الأمن والاستقرار .



تزينت وأرخت شعرها السبط الناعم الأسود ، فتهدل رائعا ، وتحلت بأفخر اللآلىء وأكرم الأحجار ، وأبرزت الفتنة ، فكانت آية من آيات الحسن والجمال ، وانطلقت الى قصر الطاغية تسبى العقول ، وتلعب بالأمثلة ، وتأخذ بالالباب .

ودخلت على الملك ، فلان القلب القاسى ، فحقق خفقات ، والتمعت العينان ببريق غريب ، وورنا اليها فى حنان ، وانفجرت شفتاه عن ابنسامة فضحت سر الفؤاد . ودنت منه ، فأجلسها الى جواره ، وأقبل عليها يحدثها فى اشتياق ، فحدثته فى لين ، ونظرت البه فى دلال ، فهفت نفسه اليها ، وما قامت عنه حتى كان أسير العينين المتكسرتين فى اغراء ، والروح الهفافة ، والقدر الحلو المياس .

وترادفت زياراتها للملك ، فهام بها حبا ، كان اذا خلا بنفسه يشاغله طيفها ، فتلوح له فى جاذبيتها وفنتها ، فيخفق قلبه ، ويطلق ليستعيد حديثها ، فيحس سعادة . كان حديثها يدغدغ حواسه ، وطلعتها تزلزل كيانه ، ونظرة منها تدثره بالنشوة ، فعزم على ان يتزوجها ، لتشاركه فى ملكه ، وتملأ قصره حبورا .

وأوفد اليها رسله ، فاستجابت لطلبه ، وأقيمت فى سبأ الأفراح ، وتأهب القصر لاستقبال بلقيس ، الأميرة الجميلة ، ابنة الملك الراحل المحبوب .

ووفدت بلقيس فى ثياب العرس ، فكانت أروع من الزهر ، وأندى من الفجر ، وأحلى من الربيع ، فهرع اليها الملك وفى صدره لهفة ، وفى عينيه حب ، وانطلقا الى صدر المكان لتجرى المراسيم .

وانقضت الحفلات ، فنهض الزوجان الى غرفتهما  
وانصرف المدعوون ، وساد القصر هدوء . ورنا الملك الى  
بلقيس الجميلة ، فتحركت مثاعره ، وهم بالدنو منها ،  
فقدمت اليه كأس خمر فتجرعها ، فانتشت روحه ،  
واقترب منها فقدمت له كأسا أخرى فعبها ، وراحت تقدم  
له الكؤوس حتى سكر ، فزحف اليها وهو مخمور ، وفتح  
ذراعيه ليضمها اليه ، فاستلت من صدرها خنجرا وغيبته  
فى صدره ، فارتى فى الفرائس يخبط فى دمه ، وقد طوقه  
الموت بذراعيه ، فلفظ أنفاسه التى كان يرجو أن تتردد حارة على  
وجنات عروسه الحسنة .

وسارت بلقيس فى ردهات القصر ثابتة الخطو ، حتى اذا  
بلغت العرش الفت أعوانها يرصدون قدومها فى قلق ،  
فألقت اليهم برأس الطاغية ، واتجهت الى سرير الملك ، وجلست  
شامخة الرأس ، فانطلق أعوانها خفافا ليزفوا الى الشعب النبأ  
العظيم ، نبأ تخلص سبأ من سلطان الجور ، واعتلاء بلقيس  
عرش البلاد .

## - ٢ -

خرج جيش جرار يضرب فى القفار ، حتى اذا نال منه  
التعب ، رأى أرضا بيضاء حسنة تزهر بخضرتها ، أحب النزول  
بها ، فحط الرجال ، والتمس الناس الماء فلم يجدوه ، فتلفت  
سليمان يبحث عن الهدد ، وكان دليله على الماء ، فلم يجده ،  
فقال فى دهش ::

— مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟  
 وطلب عريف الطير ، فأقبل النسر ، فقال له سليمان :  
 — أين الهدهد ؟  
 — أصلح الله الملك ، لا أدري أين هو ؟  
 فغضب سليمان وقال :  
 — لأعذبنه عذابا شديدا ، أو لأذبحنه ، أو ليأتينى بسلطان  
 مبين .  
 ودعا بالعقاب ، وقال لها :  
 — على بالهدهد الساعة .  
 فرمعت العقاب نفسها فى السماء حتى التصقت بالهواء ،  
 ونظرت يمينا وشمالا فاذا بالهدهد مقبل من نحو اليمين ، فانقضت  
 العقاب نحوه وقالت له :  
 — ويحك ! ثكلتك أمك ! ان نبى الله سليمان قد حلف أن يعذبك  
 أو يذبحك .  
 فما ارتفعت فرائص الهدهد ، وطار مطمئنا ، فلما  
 انتهى الى المعسكر تلقاه النسر والطير كله ، وقائلوا له فى  
 اشفاق :  
 — أين غبت فى يومك هذا ؟ فقد توعذك نبى الله سليمان .  
 فظل فى رفقة العقاب منطلقا هادىء النفس ، مستريح البال ،  
 حتى أتيا سليمان ، وكان قاعدا على كرسيه والى جواره وزيره  
 أصف بن برخيا ، فقالت العقاب :  
 — قد أتيتك به يا نبى الله .  
 فالتفت سليمان الى الهدهد ، وفى عينيه غضب ، فرمى  
 الهدهد رأسه ، وأرخى ذنبه ، وأخذ يجر جناحيه على الأرض  
 تواضعا ، فمد سليمان يده الى رأسه فجذبه منه وقال :

- أين كنت ؟ لأعذبك عذابا شديدا !  
فقال الهدهد فى استعطاف :  
— مهلا يا نى الله .  
— ما الذى ابطأ بك عنى ! ؟  
— احطت بما لم تحط به .  
فالتفت سليمان الى آصف ، وقال فى دهش :  
— ما هذه الدعوى العريضة ؟  
فقال الهدهد فى تأكيد :  
— جئتك من سبأ نبأ يقين .  
— ما هو ؟  
— انى وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شىء ، ولها  
عرش عظيم .  
— حقا ؟  
— وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .  
— سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين .  
وذهب الهدهد ليدل الناس على الماء ، وكتب سليمان بكتابه  
لبليث ، ثم طلب الهدهد ، والبسه التاج على رأسه ، ووضع  
الكتاب فى منقاره وقال له :  
— اذهب بكتابتى هذا فאלقه اليهم ، ثم تول عنهم ، فانظر ماذا  
يرجعون .  
فطار الهدهد والطيور حوله ، ثم انطلق رسول سليمان وحده  
الى سبأ حاملا الكتاب الكريم .



### - ٣ -

أغلقت بلقيس عليها باب مخدعها ، ومضت الى فراشها ، واستلقت وقد ثبتت عينيها فى سقف الغرفة ، كانت تفكر فى أمور ملكها ، وفيما هى فى سباحات خيالها أقبل الهدهد ، ودخل الى مخدعها من كوة كانت تتسلل منها الشمس ، فالتقى الكتاب على نحرها . فانتبهت ، وأخذت الكتاب فى عجب ، فمالأ عبير المسك خياشيمها ، وقلبت فى يدها ، فرأت الخاتم فبهرها ، ولحت الهدهد فى انسحابه فغمغمت :

— ان ملكا تكون رسله الطير ملك عظيم !  
وفضت الكتاب وقرائنه ، فأطرقت ساهمة ، ورأت أن تجمع خواصها وأهل مشورتها ، لتعرض عليهم أمر هذا الكتاب الغريب ، فبعثت فى طلبهم ، حتى اذا اكتمل عقدهم خرجت اليهم وقالت :

— يا أيها المألا ، انى القى الى كتاب كريم ، انه من سليمان ،  
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، الا تعلقو على وأتوني مسلمين .

وصمتت قليلا ، ونقلت عينيها فى وجوه الموجودين ، فلمحت الاهتمام العظيم . فقالت :

— يا أيها المألا ، أفتونى فى أمرى ، ما كنت قاطعة أمرا  
حتى تشهدون .

— نحن اولو قوة واولو بأس شديد ، والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين .

فأطرقت بلقيس تفكر ، وتمعن فى التفكير ، فرأت أن فى الحرب دمارا وخسرانا مبينا فقالت :

— ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون .

ودعت بلقيس المنذر بن عمرو ، وكان رجلا من أشرف قومها ، وقالت له :

— سأبعثك الى سليمان بهذه الهدايا .

وقدمت له لبنات من ذهب ، ولبنات من فضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت ، وأوعية ملئت بالمسك والعنبر ، وحقنة مغلقة ، وقالت للرسول :

— سله أن يخبرك بها فى الحقنة قبل أن يفتحها ، فاذا أخبرك سله أن ينقب الدرة ثوبا مستويا ، وأن يدخل خيطا فى الخزة .

— أفعل .

— انظر الى الرجل اذا دخلت عليه ، فان نظر اليك نظرة غضب ، فاعلم أنه ملك ، فلا يهولك منظره ، واذا رأيته رجلا بشا لطيفا ، فاعلم أنه نبي مرسل ، ورد على الجواب كما تسمعه منه .

وخرج رسول بلقيس الى سليمان يحمل الهدايا فى ركب فاخر عظيم ، وطار الهدد رسول سليمان يحمل أنباء ما جرى فى قصر بلقيس الفاتنة ، التى كانت أنصر من ورد الربيع .

## - ٤ -

أمر سليمان الجن أن يعملوا لبنات من ذهب وفضة ،  
 ويفرشوها على طريق وفد بلقيس ، وأمرهم أن يجعلوا بين  
 اللبنة موضعاً خالياً على قدر اللبنة التي يحملها رسول  
 الملكة الساحرة ، فراح الجن يعملون ، والجنود يهيئون  
 مكان الاستقبال ، ومطابخ سليمان تظهو لذلك الجيش  
 الجرار الطعام فتذبح آلاف الأغنام والعجول ، وتجلب  
 مقادير هائلة من الفواكه ، حتى إذا وافى ميعاد الغداء ،  
 مدت الموائد الى مسافات بعيدة ، وأقبل الجنود يلتهمون  
 الطعام .

وقعد سليمان على كرسيه والى جواره وزيره ، وأحاط  
 به خلق كثير ، وأمر الجن أن يأتوه بأحسن الدواب ،  
 فيجعلوها عن يمين الديوان وعن شماله ، وأقبل رسول  
 بلقيس ، ومن على تلك اللبنة الذهب والفضة ، ورأى ملك  
 سليمان ، فتقاصرت إليه نفسه ، ورأى المحل الخالي بين  
 اللبنة فخاف أن يتهم فوضع ما معه من لبنات في ذلك المحل ،  
 وما زال سائراً على استحياء ، حتى وقف بين يدي سليمان  
 مضطرباً ، ولكن بشاشة الرجل وتطلق محياه ، أعادت إليه  
 هدوءه وأطمئنانه .

وجلس الرسول يقلب ناظريه فيما حوله من عجائب وهو مأخوذ ، ووقف غلمان حسان على رأس سليمان بأطباق من ذهب ، وهى مملوءة من المسك السحيق ، وفيها صحائف من الياقوت الأحمر ، وفيها شيء من ماء الورد ، وفوقها طيور صغار ترفرف بأجنحتها ، وتنزل فى ماء الورد ، وتتبرغ فى ذلك المسك ، وتطير وتنتفض على الحشد الهائل ، فتعقب المكان بشذا لطيف . وانتهى سليمان من قراءة كتاب بلقيس ، فقال للرسول :

— أين الحقة التى معك ؟

— ها هى ذى .

فقلبها بين يده وقال :

— فيها درة ثمينة من غير ثقب ، وفيها خرزة من جزع وهى معوجة الثقب .

— صدقت . فاثقب الدرة ، وأدخل الخيط فى الخرزة .

فتناول سليمان الدرة وقال :

— من لى بثقبها ؟

فتقدمت أروسة ، فأخذت شعرة فى فيها ، ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر ، ورسول بلقيس ينظر فى ذهول ، وتناول سليمان الخرزة وقال :

— من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط ؟

فقالت دودة بيضاء :

— أنا لها يا نبي الله .

فأخذت الدودة خيطا فى فمها ، ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر . وقدم الرسول ما بقى معه من هدايا ،



فلم يقبلها سليمان : فما كان ليقبل منهم الا أن يهجروا عبادة الشمس الى عبادة الله ، فقال :

— اتمدوننى بمال ؟ ! فما آتانى الله خير مما آتاكم ، بل انتم بهديتكم تفرحون .  
— مولاي !

— ارجع اليهم ، فلنأينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون .

وعاد الرسول الى بلقيس وقد ملئ عجباً ، وجعل يقص عليها ما رأى فى ملك سليمان العريض . فغمغت :  
— والله ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة .

## — ٥ —

تاهبت بلقيس للانطلاق ، وخشيت على عرشها العظيم ، فأغلقت دونه الأبواب ، ووكلت به حراساً شديداً ، ولما تم كل شئ أذن بالرحيل ، فمُشخصت الملكة الجميلة الى سليمان فى ركب هائل ، وتقتضت ليالى وأيام ، وفى ذات يوم خرج سليمان وجلس على سرير ملكه ، فرأى هرجاً قريباً منه ، فقال :

— ما هذا ؟

— بلقيس يا رسول الله .

— وقد نزلت منا بهذا المكان ؟

— نعم .

فأطرق سليمان يفكر ، ان الهدهد وصف له عرشها  
فأسهب فى الوصف ، فلو أنه أحضره أمامها الساعة لكان فى  
ذلك آية عظيمة ، ودليل على قدرة الله الفائقة ، فرفع رأسه  
وقال :

— يأيها الملأ ، أياكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى  
مسلمين ؟

قال عفريت من الجن :

— أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى  
أمين .

وقال آصف :

— أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك .  
— حقا ؟

— انظر يا نبى الله الى جهة اليمين .

فنظر ، فما رجع نظره حتى رآه مستقرا عنده . كان  
مقدمه من ذهب مطعم باليواقيت الحمر ، والزمرد الأخضر ،  
ومؤخره من فضة ، مكلل بالألوان الجواهر ، وله أربع قوائم ،  
قائمة من ياقوت أحمر ، وقائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة  
من زمرد أخضر ، وقائمة من در أصف ، وكانت صحائف السرير من  
ذهب خالص ، كان عرشا رائعا ، فشعر بشكر % ونكس رأسه  
فى تواضع وقال :

— هذا من فضل ربى ، ليبلونى الشكر أم أكفر ، ومن شكر  
فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم .

— نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين  
لا يهتدون .

فأخذوا يزيدون فيه وينقصون منه ، محاولين أن يخفوا بعض معالمة ، وأمرهم ببناء صرح ، فبنوه من زجاج مستور .

وأقبلت بلقيس رائعة الحسن ، شديدة الأسر ، تهفو اليها القلوب ، وما ان رأى جمالها حتى مال اليها ، واستقبلها باشا وكانت فى ذهول ! رأت فى ملكه عجباً لم تر مثله ، يأخذ بالآباب ، ويحير العقول . وقادها الى حيث كان عرشها ، وقال :

— أهكذا عرشك ؟

فقلبت نظرها فيه فى دهش ، وقالت :

— كائنه هو .

وقادها الى الصرح ، وقال لها :

— ادخلى .

نظرت الى صقال الصرح فرأت الأشياء معكوسة فيه فحسبته لجة ، فكشفت عن ساقبيها الرائعتين البديعتين ، ففض سليمان من بصره ، وقال :

— انه صرح مجرد من قوارير .

وعاشت بلقيس عند سليمان أياماً تقضت كحلم جميل ، رأت فيها عجائب وأسراراً ، وأشياء تحير العقول ، فأيقنت أن سليمان نبي كريم ، فأمنت به ، ورفعت رأسها الى السماء وقالت :

— رب ، انى ظلمت نفسى وأسلمت لله رب العالمين .



## استر

قصة استر الواردة فى التوراة كتبها  
مردخاى نفسه ، ولما كان أحد أبطال القصة فقد  
كتبها من الزاوية المشرقة ، وقد عالجتها علاجاً  
يختلف عن التوراة .

### — ١ —

قصر هائل عظيم ، يوحى بالفخامة والسروعة والغنى ،  
انه قصر الملك احشويروش الذى انتشر سلطانه على الهند  
وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، انه قصر أغلق أبوابه على  
روائع وبدائع ، انه كنز احتوى فى بطنه كنوز .

والتف بالقصر حراس شداد ، حراس يغدون  
ببروحون ، حراس واقفون لا يتحركون . ووقف مردخاى  
أمام باب القصر الهائل ، وقد ارتدى ثياباً مزركشة ، وتصرم  
قت وهو منتصب كتمثال ، لا تختلج فيه خالجة ، وان  
نت الذكريات تتتابع فى رأسه ، فتوحى اليه التأمل والتفكير .

راحت ذكريات الايام الخوالى التى امضاها فى اورشليم

تفد الى ذهنه ، انه يرى نفسه فى المعبد بين قومه يعبد اله اسرائيل ، فيشيع فى صدره حنان ، ولكن سرعان ما ينمحي ذلك الاحساس ، لينتشر احساس آخر يضيق صدره ، ويحرك أشجانه ، فقد قفزت الى رأسه مشاهد اجتياح جيوش بختنصر لبلاده ، انها لتندفق تندفق السيل العارم ، مخلفة وراءها الخراب والدمار ، ورأى بعين خياله دماء اليهود تجرى فى الطرقات ، وقد تناثرت أجساد القتلى أشلاء ، ورأى نفسه يسقط فى أيدي الأعداء ، ويساق مع الأسرى زمرا ، حتى اذا بلغ الساحة ألغى يكنيا ملك اليهود فد جىء به أسيرا ، ورأى نفسه وبني اسرائيل وهم ينطلقون كتطيع من الأنعام ، منكسى السروعوس ، يحدوهم الذل ، ويعلوهم العار حتى خرجوا من فلسطين ، ليشتتوا فى الأرض مفرز فرقة خرجت من قلب حزين .

وسمع وقع أقدام ، فانتبه الى ما حوله ، فرأى أميرا من الأمراء قادما ، فحياه ، وما غاب الأمير فى القصر حتى عاد مردخاى الى ما كان فيه .

رأى نفسه وهو يباع بأسواق الرقيق بفارس الى رجل فقير ، لم يكن صاحب ضياع أو قصور ، بل كان صاحب عمل ، فاشتراه ليعاونه فى عمله ، ورأى نفسه وهو يعمل لذلك الرجل ، حتى كسب ثقتة ، ثم كاتبه على أن يهب له حريته لقاء مبلغ كبير . ولما كان مردخاى يهوديا ، كان قادرا على كسب الأموال ، فراح يعمل حتى ادخر ما يفك به رقه ، ويعيد اليه حريته .

واستمر مردخاى يفكر ويقلب الفكر ، حتى انتهت نوبته ، فدخل غرفة من غرف القصر الكثيرة التى خصصت لمن يعملون فيه .

## - ٣ -

دخل مردخاي غرفته ، فألقى استر تتطلع الى صورتها  
فى المرأة ، وقد لاح فى وجهها الرضا ، كانت رائعة الحسن ،  
شديدة الأسر ، عيناها تلمعان ببريق يخطف القلوب ، شعرها  
الأسود الجميل المسترسل خلفها ، يزيدها روعة وحسنا .  
كانت فى السابعة عشرة ، يتدفق فيها الدم الفوار ، ويزينها  
تاج الشباب .

رماها بنظرة خاطفة ثم قال لها :

— تفتحت يا استر ، تفتح الأزهار فى الربيع ، ما أجمل  
حسنك !

فقال استر فى دلال :

— أنا جميلة حقا ؟

فقال مردخاي وقد شرد بصره :

— ما خلق الله هذا الجمال عبثا ، لابد يا استر أن يبذل لمصلحة  
بنى اسرائيل .

فقال له استر :

— ماذا نستطيع أن نفعل ؟

— الجمال يا استر يفعل بالرجال الأعاجيب ، انه يلين  
أقسى القلوب ، واننى لأرجو أن أستطيع بهذا الجمال الساحر أن  
أصون مصالح شعبنا ، اننا يا استر شعب مبغض ، يكرهه كل  
الشعوب ، لأن الله فضلنا عليهم ، جئنا الى هنا ونحن أسرى

وعبيد ، ولكن بجندا اغتنيينا وأصبحنا أصحاب الثروات فى هذه البلاد ، ان فارس والهد وكل هذه البلدان أصبحت فى قبضة يدنا .

فقال استر وهى تميل برأسها الى الوراء ، وتنظر الى صقال المرأة .

— هذا جميل .

فقال مردخاى :

— هذا جميل ما دامت الغشاوة على أعين الناس ، اما اذا انتشعت تلك الغشاوة ، ورأوا أننا نستولى على منابع الثروات ثاروا علينا ، ويا ويلتنا اذا ثار الناس علينا ! ستراق دماؤنا ، وتترك أجسامنا للكلاب . كنت يا استر يوم غزا بختنصر بلادنا صغيرة ، ولو كنت عاينت ذلك اليوم الرهيب ، لما غادرت عينيك مشاهد ذلك اليوم المشؤم .

فقال له استر :

— أظن يا عمى أن يعود علينا يوم شديد كذلك اليوم ؟

— هذا رهن بأن يفطن رجل واحد الى ما أصبحنا فيه ، ثم يقوم بتأليب الناس علينا ، ان الشعوب تبغضنا يا استر ، تبغضنا من أعماق قلوبهم ، كأنما بيننا وبينهم ثارات .

فقال استر وهى تنظر اليه بعينيها النجلاوين الساحرتين :

— مصائرنا هنا معلقة بخيط واه .

فقال مردخاى مؤمنا :

— وستظل معلقة بذلك الخيط الضعيف ، الا اذا استوليتنا

على هذا القصر .

فقال فى دهش :

— نستولى على هذا القصر ؟

— أجل يا استر نستولى عليه ونحكم فيه .

- من ذا الذى يستولى عليه ؟ !
- أنا وأنت يا استر ، أنا بدهائى ، وأنت بجمالك ، اننى ما جئت الى هذا القصر الا لاتسلط عليه ، وأحرك رجاله ، ليعملوا على ما فيه مصلحتنا نحن اليهود .
- فقالت له استر وهى ترمقه بنظرة فاحصة :
- هذا حلم لذيذ ، وما أحسب أن ذلك ميسور .
- فقال وقد انفرجت شفتاه عن ابتسامة خبيثة :
- ما أيسر ذلك على من ينفق الأموال ، ويقدم مثل جمالك الفاتن البديع .
- وصمت مردخاى قليلا ، ثم قال :
- أتعرفين مموكان حكيم المملكة ، الذى لا يقطع الملك أورا الا اذا استشاره ؟
- نعم أعرفه .
- انه طوع بنائى .
- وبماذا استملت ذلك الشيخ الفانى ؟
- أغرقته بهداياى .
- فقالت وهى تضحك :
- أنت الحكيم يا عماه .
- انه ليس وحده الذى استملته الينا ، فهناك الخصيان السبعة ، الذين لا يغادرون الملك فى الليل أو فى النهار .
- ورمقته من طرف عينها ، وقالت له فى خبث :
- أتحسب أننا ننجح فى استمالة كل الرجال بالمال ؟
- فقال لها مردخاى وهو يبتسم فى زهو :
- من لم يأسره المال يأسره الجمال .



### — ٣ —

تأهب القصر للوليمة الكبرى ، التى أعدها الملك أحشويروس  
للأمراء ، وأشرف قومه ، ورؤساء مملكته ، وكان هدف الملك  
من هذه الوليمة أن يظهر للناس عظمته ، ليزداد فى أعينهم رفعة ،  
لذلك أنفق على هذه الوليمة بسخاء .

وتوافد الأمراء والأشراف الى حديقة القصر الهائل ، وأقبل  
الملك يتألق كجوهرة ، وبدأ الحفل ، وجاء الخدم يحملون كنوس  
الذهب والفضة ، ينطلقون بين أعمدة الممر الهائلة ، التى كسيت  
ستائر بيضاء وخضراء وزرقاء ، وينسلون الى حيث جلس  
الدعوى ، يقدمون لهم الخمر ، وراح الجميع يعبون الشراب حتى  
ملثوا نشوة .

وانتضى الليل والجميع فى حبور ، حتى اذا قام الملك انصرف  
الجميع ليعودوا الى الوليمة فى اليوم التالى . واستمرت وليمة  
الأمراء والأشراف مائة وثمانين يوما ، الموائد تمتد ، والخمر تصب  
فى البطون ، فتدبر الرؤوس .

وأعدت الملكة وشتى وليمة للنساء ، فما كان الرجال  
والنساء يجتمعون فى مكان واحد ، واستمرت هذه الوليمة  
أياما وأسابيع وشنهورا .

واراد الملك أن يشرك عامة الشعب فى الاعجاب  
بعظمته ، فدعا الشعب الى قصره ، ودعت الملكة وشتى  
النساء الى جناحها ، وراح الخدم يصبون الخمر حتى جرت  
أنهارا .

وانتشى الملك ، ولعبت الخمر برأسه ، فقال للناس :  
— ان امرأتى أجمل امرأة فى هذه البلاد .  
وصمت الناس ولم ينبس أحدهم بكلمة ، فقال الملك :  
— ألا تصدقون ؟ سترونها الآن ، وستحكمون أنها أجمل امرأة  
فى الوجود .  
ونادى الملك خصيائه :  
— بزتا . حربوتا اذهبا الى الملكة وقولا لها اننى أطلبها  
هنا ليرى الناس جمالها البديع .  
وذهب بزتا وحربوتا ، وكان مردخاى حاضرا هذه الولىمة ،  
فلمعت فى ذهنه فكرة ، فاقترب من الخصى كركس ، وهمس  
فى أذنه :  
— هذا فظيع . ليت الملكة ترفض الحضور . كيف تحضر الملكة  
الجليلة الى هؤلاء السكارى ؟ انها لو جاءت لسقطت هيبتها ،  
من يدري ماذا تفعل الخمر برعوس هؤلاء الحمقى ، ما كان لمولانا  
أن يفعل هذا .  
وصمت قليلا ، ونظر الى الخصى ، ليرى اثر كلامه فيه ،  
فألقى على وجهه دلائل الحيرة والتفكير ، فقال همسا :  
— لو كان لى من الأمر كثير أو قليل ، لذهبت اليها أشير  
عليها بعدم المجيء .  
ولاح فى وجه الخصى العزم ، ثم انطلق الى جناح الحريم ،  
ومردخاى يرمقه ، وقد انتشرت فى صدره نشوة ، فقد بدا  
ينفذ الخطة التى نسجها شيطانه ، وتلفت يبحث عن مموكان  
الحكيم حتى وقعت عيناه عليه ، فذهب منسلا اليه ، فلما رآه  
مموكان حياه فى حرارة وترحيب .

ووقف مردخاى يقدح ذهنه ، وينتقى الألفاظ التى يوحى بها  
الى مموكان دون أن يثير ريبه ، وبقى يترقب ، حتى اذا ما لمح  
الخصيان عائدين ، وسوس لمموكان :

— انظر ! انهم يعودون خافضى الرعوس ، يخيل الى أن  
الملكة رفضت المجيء ، فلو أنها رفضت اطاعة الملك لكان فى  
ذلك اهانة لا للملك وحده ، بل للشعب جميعا .

وانتقل مردخاى من جواره بعد أن وسوس له بما يريد ،  
واندس بين الجموع .

وتقدم الخصيان الى الملك وقالوا :

— رفضت جلالتها الاذعان لأوامركم يا صاحب الجلالة ،  
وقالت أنها لا تقبل أن تجيء تعرض نفسها على سكارى يترنحون .  
وارتفعت اصوات استنكار ما لبثت أن خفتت وزالت ، لما هب  
الملك غاضبا يصيح :

— أين مموكان ليرى رايه فى هذه العاصية ؟

وتقدم الحكيم من الملك وهو يحنى رأسه ويقول :

— مولاي ؟

— ما رأيك يا مموكان فيما أنته الملكة الآن ؟

— ان ما فعلته يا مولاي ليس جريمة فى حقكم وحدكم ،  
يا صاحب الجلالة ، ولكنه جريمة فى حق الشعب جميعا ،  
لقد سمع جميع النساء المدعوات الى وليمة الملكة وشتى بذلك  
الرفض ، وما هو الا الغد حتى يكون نبأ هذا الرفض قد مالا  
البلقاع ، وبلغ مسامع النساء فى مشارق مملكتم ومغاربها ،  
فاذا ما أمر رجل امرأة أمرا رفضت طاعته تشبها بالملكة وشتى  
التي رفضت طاعة الملك .

ان الأمر أخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك يحتاج

فى معالجته الى قسوة وحزم حتى تعيد يا مولاي الى الرجال  
هيبتهم وكلمتهم المسموعة .

ان الأمر أخطر من ظواهره يا صاحب الجلالة ، لذلك تطرد  
من القصر ، لتكون عبرة للنساء اللاتى يداخلهن الغرور ، فيعصين  
أوامر أزواجهن ، وليكتب بذلك الى جميع عمالك يا مولاي ، ليذاع  
على الشعب ، مؤكدا أن الرجل هو رب البيت ، الأمر وحده فيه .

فأعجب الملك برأى حكيمة ، فقال :

— على بالكتاب ، ليكتبوا الى أقطار مملكتى ، أن الملك  
أحشويروس قد طلق الملكة وشتى ، لعصيانها أوامره ، فما كان  
لأمرأة أن تعصى زوجها ، لأنه وحده الحاكم فى بيته .

وخرجت الأوامر الملكة الى فارس والهند والبلاد الممتدة  
الى كوش ، وخرج الناس من الوليمة يتحدثون فى هذا الأمر  
الخطير ، وأسرع مردخاى الى أستر ابنة أخيه يزف إليها نبأ  
انتصاره الكبير .



— ٤ —

دخل مردخاي على استر ، فألفاها كعادتها أمام المرأة تتزين ؟  
وتتطلع في اعجاب الى حسننها ، فدنا منها وقال وهو يتفرس  
في مفانتها :

— يا استر آن لهذا الجمال أن يسود .  
ولحت استر تلك الابتسامة العريضة التي ارتسمت في  
وجهه ، فاستدارت وقالت له :

— ماذا جرى يا عمي ؟  
فقال مردخاي وهو يرنو اليها في خبث ، والسعادة تلوح  
في وجهه :

— طلق الملك الملكة ، وطردها من قصره .  
فالت استر وهي تنظر اليه مليا :  
— ومالي أراك سعيدا كأنما عادت السعادة الى شعب  
إسرائيل ؟

فقال مردخاي وهو يمد ذراعه فوق كتفها البديع :  
— أغريرة أنت يا استر أم تتخابئين ؟ أما تدرين أهمية  
ذلك لنا ؟ أن الملك بعد أن طرد زوجته سيحس وحشة ،  
وسيشعر بغراغ ، وسينشد السلوى ، سيبحث عن العذاري  
الفاثات في مملكته ، وهل فيها من هي أفنتن منك يا استر ؟  
سأقدمك اليه لتسلبه قلبه ، وتقويه حيث تقودينه ، ولن تقويه

الا الى ما فيه مصلحة بنى اسرائيل ، ستصحبين مالكة فؤاده ،  
فجمالك أسر قاهر ، تعنو له المهج ، وتذل له أعناق الجبارين .  
انك يا استر درة ، وستكونين أغلى درة فى مملكته ، فما خلق  
الله هذا الجمال الا للملوك .

فقالست استر :

— اتقدمنى يا عمى حظية للملك ؟

— وماذا فى ذلك يا استر ، وهل كان هذا يشين يهودية ؟ !  
على كل يهودى أن يقدم أى شىء وكل شىء فى سبيل بنى  
اسرائيل ، عشت أعمل لهذه اللحظة مضحيا بالعمر كله ، لأجنب  
اليهود نكبة من النكبات التى خصهم بها الزمن ، فاذا لاحت لى  
الفرصة اتحسسين اننى ادعها تمر ؟ لا يا استر ، اننى ربيتك  
بعد موت أخى وزوجته ، واتخذتك بنتا ، وصرت أرعى جمالك  
واتعهده ، لأقدمه قريبا الى اله اسرائيل ، يا طالما فكرت فى  
الطريقة التى أستغل بها هذا الحسن الفتان ، لقد شغلت ذهنى  
آلاف الفكر ، وها هى ذى الفرصة الذهبية تلوح .. لا تحسبى  
يا استر أنها جاءت سهلة هينة ، انها ما لاحت لنا الا بعد كد  
وتدبير ، وامعان فى الكد والتدبير .

وغمغمت استر وقد شرد بصرها :

— حظية الملك .

— أجل ، حظية الملك ، حظية الملك التى تقدم جسدها  
صيانة لمصالح شعبها ، يا لها من تضحية كريمة خليقة بنسا  
يا استر .

وصمت قليلا وفكره بعمل ، ثم قال هامسا :

— غلمان الملك رهن اشارتى ، سأوحى اليهم أن يشيروا  
عليه أن يبعث رسله الى أنحاء مملكته يلتمسون العذارى الفاتنات ،

ويدفعون بهن الى هيجاي حارس النساء ، ويدخلونهن على الملك ،  
فمن راقبت عينيه ، فليُنصَبها ملكة مكان وشتى .

اطمئنى يا استر ، فهيجاي صديقى ، سأسخو عليه ،  
ليُتَفَنَّ فى تطييبك وتزيينك حتى اذا دخلت على الملك سلبته لبه  
وارادته ، فصار أسير جمال بنت اليهود .

فقال استر حاملة :

— لكأنما كل ذلك قد انتهى .

فقال مردخاي وهو يتطلع اليها فى اعجاب :

— انى أراك الساعة يا استر وعلى رأسك الجميل يتألق  
تاج مملكة أحشويروس !

فقال وقد التمتعت عيناها رغبة .

— يا للأحلام العذاب !

## — ٥ —

بعث الملك رسله الى أنحاء مملكته يلتمسون الفتيات الأكار  
الجميلات ، وتوافدت الى القصر فتيات رائعات الحسن ، ممشوقات  
القد ، كن أمشاجا من الروعة والجمال ، ودفع بهن الى هيجاي  
حارس النساء ، ليُطَيِّبهن بالعطور والأدهان .

وفى ذات يوم همس مردخاي فى أذن هيجاي ، أنه عثر  
على تحفة من تحف الجمال ، وطلب من صديقه أن يأتى معه  
ليراها ، فانه على ثقة من أنها ستبهر الخصى الخبير فى  
النساء !

وانطلق هيجاي ومردخاي الى حيث كانت استر ، فلما وقعت  
عيننا هيجاي عليها ، وهى تتأللاً وتلمع ، لاح فى وجهه الاعجاب  
وهمس :

— يا للجمال ! انها كنز يا مردخاي .

فقال مردخاي وهو يحنى أمام الخصى :

— اننى اضع هذا الكنز بين يديك يا هيجاي . .

فقال هيجاي ، وعينه الفاحصة تجول فى مفاصل الفتاة :

— جمال طاغ ، لا يستطيع أن يثبت أمامه انسان ، ابعث  
بها الى بيت النساء ، وسأزلها فى أفخم مكان ، اننى لم أنتخب  
من بين مئات الوافدين الى القصر الا سبع فتيات ، سأضم اليهن  
استر .

فقال مردخاي وهو فرحان :

— غدا سأبعث بها اليك .

وخرج هيجاي ، واقبل مردخاي على استر يضمها اليه نشوان  
بخمر النصر ، وراح يهمس فى انفعال :

— غدا يا بنت أخى يفضح جمالك جمالهن ، كما يفضح نور  
الصباح أضواء السرج .





## - ٦ -

تأهبت استر للانطلاق الى بيت النساء ، فاقترب مردخاي منها وقال لها :

— تذكرى يا استر وصاياى لك ، اياك أن يعرف أحد أنك يهودية ، لأنه اذا انكشف هذا الأمر فقدنا عطف الناس ، تذكرى يا استر أنك ما دخلت هذا القصر الا لتسهرى على مصالح بنى اسرائيل ، ان قلوب اليهود جميعا ملتفة حولك ، وآمالهم معقودة عليك . مصالح بنى اسرائيل أولا ، ثم يأتى بعد ذلك أى شىء .

واقبل غلام من غلمان القصر ، ليأخذ استر الى بيت النساء ، فسارت متأنقة متألقة ، وقبل أن تغادر المكان قبلت مردخاي ، وانطلقت وهو واقف يرقبها خافق القلب ، فلما اختفت عن عينيه غمغم :

— اذهبى يا استر فى رعاية اله اسرائيل .

ودخلت استر الى بيت النساء ، فألفت فتيات أنضر من الورود ، وأطيب من الأزهار ، فمشت فى صدرها الرهبة ، وكادت تتعثر من الخوف ، ولكنها تذكرت اطراء مردخاي وهيجاي لجمالها ، فاستردت ثقتها ، ورفعت رأسها تيهما بحسنها

ودفع بها الى هيجاي ، فكان يعالجهما بالأدهان والطيب

والعطور الأيام والأسابيع والشهور ، فزادت استر روعة على روعة ، وجمالا فوق جمال .

كان هيجاي يدفع الى الملك بعذراء كل ليلة ، فما تنقضى الليلة ، ويلوح نور الصباح ، حتى يدفع بالمرأة الى حارس السراى ، لتضم الى قطيع النساء المترقيات اشارة من الملك للتسرية عنه ليلة .

كانت استر ترقب العذارى الداخلات الى مخدع الملك اول الليل ، الخارجات منه اول النهار وفى قلبها فرحة ، لأن احداها لم ترق عينى الملك ، فمد ذلك فى حبل الامل امامها ، لانه لو استولت امرأة على قلبه واتخذها ملكة مكان وثتى ، قبل أن تدخل هى عليه ، لكان فى ذلك تحطيم لآمالها ، وانهيار للرؤى العذاب التى تتراعى لها ، ولكن ما كانت تلك الفرحة تدوم ، بل كانت تغيب اذا ما خطر على بالها أن مصيرها قد يكون كمصير الأخريات ، اللاتى كان كل حظهن فى هذا القصر ليلة واحدة فى فراش احشويروس ، ليلة دافئة مليئة بالأحلام ، تعقبها ليال طوال باردة ، كلها سأم وملل وفراغ .

وجاءت الليلة المرتقبة ، ليلة دخول استر على الملك ، فأخذ هيجاي يتفنن فى تزيينها ، حتى كانت آية من آيات الحسن والابداع ، وقبل أن تدلف الى مخدع الملك ، راح يوصيها بما تفعل ، لتنال فى عينى الملك حظوة .

وانقضت الليلة كحلم بهيج ، حلم كله نشوة ، واقبل الصبح ، فذهبت استر الى حجرتها ، واستلقت مسترخية على فراشها ، وأطلقت الأفكار العنان . راحت مشاهد الليلة الماضية تمر أمام أعين مخيلتها ، أنها لترى الملك يدنو منها متدلها ، وأنها لترى نفسها وهى تتثنى فى دلال ، يا لها

من ليلة ! ترى أنطفئوا ذكرها في رأس الملك أم ترسب ،  
كآلاف الليالي التي أمضاها غارقا في اللذة ؟ ٢

ومر النهار واستر تترجح بين اليأس والرجاء ، وما وائى  
الليل ، حتى كان هيجاي عندها يزف إليها البشرى الغالية ،  
ان الملك يطلبها ليلة ثانية .

وتصرمت الليالي ، والملك يطلب استر كل ليلة ، فقد شغف  
بها حبا ، وفي ليلة من الليالي لعبت به الخمر وأفانين المرأة .  
فوضع التاج على رأس استر البارعة .

وأعد الملك وليمة هائلة ، دعا إليها الأمراء وأشراف القوم  
ورؤساء العشائر ، وأعلن أنه اتخذ استر له زوجة ، وانتهت  
وليمة استر ، وقد أصبحت بنت اليهود ملكة على البلاد ، بينما  
كان مردخاي الذي فكر ودبر واقفا بباب القصر ، تشيع في صدره  
نشوة عارمة .

## — ٧ —

أصبحت استر سيدة القصر ، ومردخاي حارس بابه ،  
وعلى الرغم من ذلك كانت الرسل تمشي بينهما ، كانت تصل  
إليه أنباؤها ، وتصل إليها أنباؤه .

وفي ذات يوم ، لاح في ذهنه خاطر ، ان استر أصبحت  
ملكة ، فما يدريه أنها قد تستمرىء هذه الحياة ، وتنسى حكمة  
دخولها القصر ، فاذا وقعت لبني اسرائيل محنة ، تراخت في  
مد يد العون إليهم ، فتكون الطامة العظمى ، أثقله ذلك خاطر ،  
وراح يقدح في ذهنه حتى اهتدى الى أن خير ما يفعله ، أن

يتقرب هو نفسه الى الملك ، فهو يثق فى نفسه أكثر من ثقته فى غيره ، ولو كان ذلك الغير استر نفسها .

وقر رأيه على ان يعمل ليتقرب من أخشويروش ، ولما كان يعلم أن القصور مسارح للدسائس والمؤامرات ، أخذ يتحسس لعله يتبع على مؤامرة يرغع أمرها الى الملك ، فتنبه القرب والحظوة .

راح مردخاى يسترق السمع لكل حديث ، ويحصى حركات رجال القصر وسكناتهم ، وفى ذات ليلة رأى غلامين من غلمان الملك يتستران بالظلام ، ويتسللان الى ركن قصى يتناجيان ، فانطلق خلفهما كطيف ، ووقف قريبا منهما يحتمى بالجدران ، يتسمع .

كان الغلامان غاضبين حائقين ، فراحا يتآمران على الملك ، وما انتهيا من بثهما ونجواهما ، حتى انطلقا الى القصر على حذر ، ولو التفتا خلفهما لتيقنا أن سرهما قد افترضح .

وبعث مردخاى الى استر أن ترفع الى الملك أن مردخاى قد قد وقع على مؤامرة دنيئة بيئت بليل ، أن بغثان وترشى خصمى الملك ، حارسى الباب يدبران اغتياله ، فهرعت استر الى الملك تنبئه بالخبر .

وقبض على الغلامين ، وجزت محاكمتها ، فثبتت ادائتهما . وحكم عليهما بالقتل والصلب ، أما مردخاى فقد فكر الملك فى مكافأته .

كان الملك يثق فى هامان ، لأنه كان حصيف الرأى ، بعيد النظر ، فكان يستشيرهم فى كل أموره ، فبعث اليه ، وقال له :

— ان مردخای اُنْتذ حیاتی ، وانی أفکر فی ان أدنیه منی ،  
فماذا ترى ؟

فقال هامان :

— اننی یا مولای أرى ان تمنحه جائزة ، وأن تدعه حیث  
هو .

— لماذا یا هامان ؟

— لأنه یهودی ، والیهودی لا یخلص الا لنفسه .

وطالب الملك استر ، فدخلت علیه ، وجعلت تداعبه فی رقة  
ودلال ، ثم قالت له :

— ماذا فعلت لمردخای یا مولای ؟

فقال أحشویروش وهو یضحك :

— أعطیته ما یتمنی ، قیل لی ان غایة ما یتناه یهودی ان  
تملاً جیوبه ذهباً .

وأحست استر قهراً ، ولم تعترض خشية ان تكشف عن  
خبیئة نفسها ولكنها رأت ان تفعل شیئاً ، قد تستغله یوماً ،  
فقالت :

— ان ما فعله مردخای یتحق ان یسجل یا مولای .

فقال الملك :

— هذا حق .

وأمر أن یدون ذلك نى سفر أخبار الأيام .

—•••••

## - ٨ -

كان اسجاب الملك بهامان يزداد يوما بعد يوم ، فقد أثبت  
فى أكثر من مناسبة اخلاصه للعرش وللبلاد ، أراد الملك أن  
يكافئه ، فرقاه ، وجعله وزيره الأول .

وفى ذات يوم دخل هامان على الملك ، وقال له :

— ان اليهود العبيد الذين وفدوا الى بلادنا سبيا من اورشليم ،  
قد عظم نفوذهم فى البلاد ، أثروا واغتنوا واصبحوا أسياد المال  
المتحكمين فى الأسواق والأقوات والأرزاق ، انهم يتسلعون  
بالأسعار ، ويمتصون دماء شعبك يا مولاي .

ولاح فى وجه أخشويروش الاهتمام ، فراح هامان يقول  
فى اخلاص :

— لو كان نفوذهم قد قصر على دنيا المال لهان الخطب ،  
ولكن نفوذهم تغلغل فى كل مكان ، علموا الرؤساء الرشوة ،  
وبذروا فى قلوبهم الطمع ، وغرسوا فى النفس الاحتقاد  
ليشغل الشعب بأحقاده عنهم ، فيسلبوه هئاء وهم آمنون غضبه ،  
انهم يا مولاي أس كل البلايا فى البلاد . انهم ....

وصمت هامان فجأة ، فقال فى لهفة :

— انهم ماذا يا هامان ؟

فقال هامان وهو يتحامى أن تتلاشى عيناه بعينى الملك :

— معذرة يا مولاي ، انهم لو قدروا على أن يقوضوا عرشكم  
تحتكم لتوضوه .

فبان الغضب فى وجه الملك ، وقال :  
— انهم أخبث أهل الأرض ، ماذا ترى أن نفعل فيهم ؟  
فقال هامان فى حماسة :  
— نستأصلهم ، نقتل أطفالهم وغلماهم ، وشبابهم ونساءهم ،  
ورجالهم وشيوخهم ، فنستريح من شرورهم .  
فقال الملك فى انفعال :  
— هذا هو رأى يا هامان .  
فقال هامان فى حماسة :  
— اننى على استعداد الآن أضع لمن يقومون بقتلهم عشرة  
آلاف وزنة من الفضة ، يؤتى بها الى خزائن الملك .  
فقال الملك وهو يخلع خاتمه :  
— أبقي الفضة لك ، خذ خاتمى ، وأصدر الى الولاة أمرا بقتل  
كل يهودى فى ولاياتهم .  
ودعا هامان كتاب الملك ، وأمرهم أن يكتبوا الى الدهاقنة  
والولاة بقتل جميع اليهود فى ولاياتهم ، فى الثالث عشر من  
شهر آذار ، ولما تمت كتابة الرسائل ، ختمت بخاتم الملك ،  
وانطلق الرسل الى الولاة والحكام .

## — ٩ —

علم مردخاى بالأمر الملكى القاضى بآبادة اليهود فى فارس  
والهند ، والبلاد الممتدة الى كوش ، فشقق ثيابه ، وانطلق  
الى ميدان القصر يصرخ وينوح ، وراح يحثو التراب على  
رأسه ، ورأى جوارى اسير ما حل بمردخاى ، فدخلوا عليها ،  
وقالوا لها :

— ان مردخاى فى ميدان القصر يصرخ ، وقد ارتدى ثيابا دهليمة ، فاغتمت استر ، وبعثت اليه ثيابا جديدة ليرتديها ، فرد اليها الثياب ، وأرسل لها مع رسول :

— ان هابان قد اسنحدر أمرا بقتل جميع اليهود فى الثالث عشر من شهر آذار ، لقد نزلت المحنة بشعب اسرائيل ، فوجب عليها ان تهد يد العون الى شعبها الذليل ، صار عليها ان تدخل على الملك ، مستقلة سلاح جمالها ، ملتزمة منه الرأفة بأهلها ، فبعثت اليه مع الرسول :

— أنسيت يا مردخاى تقاليد هذه البلاد ؟ كيف أدخل على الملك دون أن يدعونى ، ان كل من يدخل عليه دون دعوة نصيبه القتل ، الا من يهد له الملك قضيب الذهب ، ماذا يكون حالى لو دخلت عليه ، ولم يقدم الى قضيب الأمان ؟ ! سيكون مصيرى القتل يا مردخاى ، وان مما يزيد فى مخاوفى أن الملك لم يطلبنى منذ ثلاثين يوما .

فبعث اليها مردخاى :

— لا تحسبى يا استر أنك ستنجين من هذه المذبحة ، لأنك زوجة الملك . انك يهودية يا استر قبل أن تكونى ملكة ، وما أيسر أن يبلغ الملك ذلك ، انك ستقتلين حتما اذا أحجمت عن الدخول عليه ، أما اذا أقدمت ودخلت على أخشويروش العاشق الولهان ، فمن يدري ؟ فقد يكون فى ذلك حياتك وحياة شعبك ، ائنى على يقين يا استر أن فى اقدامك بركة ، فنشجعى وأقدمى انقاذا لنفسك ، ان لم يكن انتقاذا لحياتنا .

نظرت استر الى المرأة ، فحز فى نفسها أن يكون ما لـ



جمالها الرائع العدم ، انها لو استكانت لكان فى ذلك القضاء  
الأخير ، وانه لعزيز عليها أن تستسلم للموت دون أن تدفعه  
عن نفسها ، وعزمت على أن تدخل على الملك دون أن  
يدعوها ، فقد يكون فى الاقدام على الموت دفع له ، وابعاد  
لخطره .

وراحت استر تتأهب للمعركة القادمة ، المعركة الفاصلة  
بين الحياة والموت ، فجعلت تشحذ سلاحها ، فراحت تتفنن  
فى ابراز مفاتنها ، ثم تقدمت الى قاعة العرش ، ومشاعر الرهبة  
تنبثق من أعماقها .

نظرت استر ، فرأت الملك جالسا على عرشه ، وهامان  
وبعض الوزراء واقفين خائشين ، فخلق قلبها فى شدة ،  
ولكنها لم تنكص على عقبيها ، بل تقدمت وقد رفعت رأسها ،  
وانطلقت وكل خالجة فيها تنتفض رهبة . وثبتت عيناها على  
يد الملك ، وأرهفت حواسها .

تقدمت رويدا رويدا ، ولحها الملك فلمعت عيناه سرورا ،  
ورفت على شفتيه ابتسامة ترحيب ، ورفع يده بقضيب الذهب ،  
فأسرعت استر وقد ردت اليها روحها ، فقد رضى عنها الملك ،  
ووهب لها حياتها .

واقبل الملك عليها ، وقال لها فى بشاشة :

— ماذا تطلبين يا استر ، لك أن تسألينى نصف مملكتى .

فقال استر فى رقة :

— كل ما أتمسه أن يشرفنى مولاي وهامان بالمجىء اليوم  
الى الوليمة التى أعددتها لجلالكم .

فقال الملك وهو يرنو اليها فى شغف :

— سنحضر يا استر .

وأعدت استر وليمة فاخرة ، وتأهبت لمقابلة الملك وهامان عدوها الخطير . وجاء الملك ووزيره ، وبالغت استر فى اكرامهما ، ولما دارت الكؤوس التفت الملك إلى استر وقال لها :

— ماذا تطلبين يا استر ؟ لك أن تسألينى نصف مملكتى .

فقالت استر فى دلال :

— ان كل ما أطلبه هو رضى مولاي ، وانه ليدخل على قلبى البهجة لو شرف مولاي وهامان الوليمة التى أعدها غدا لجلالتكم .

وانصرف الملك وهامان ، وهما يحسان نشوة ، الملك تلعب به نشوة الخمر ، وهامان تلهو نشوة الزهو ، فمقد خصته الملكة بدعوتها مع الملك ، وميزته عن سائر الأمراء !

ودخل الملك الى جناحه ، واستلقى فى الفراش الوثير . وحاول أن يغمض عينيه ، وإذا بصورة استر تحتل رأسه ، انه يراها بالفرة الروعة والجمال وهى تقتحم عليه قاعة عرشه وانه ليراه نابضة بالحياة وهى تسقيه اليوم كؤوس النشوة ، وأحس حنيناً إليها ، وهفت روحه الى لقاءها ، فبعث يدعوها اليه .

وجاءت استر ، وهى آية فى السروعة والحسن ، فراح الملك يضمها اليه فى وله وهيام ، وتقضى الوقت بهيجا ، وتمددت استر فى اغراء ، وقالت :

— ان أروع لحظات حياتى يا مولاي هى تلك اللحظات التى أقضيها معك ، وتلك السويغات التى أخلو فيها بنفسى لأفكر فيك .

فقال الملك وهو يرمقها فى اعجاب :

— جميل يا استر أن يستطيع الانسان أن يعيش فى ماضيه  
السعيد .

ورأت اسنر أن الفرصة مواتية لتنفيذ الى غرضها ،  
فقالت :

— ما ألدّ تقليب صفحات الماضى يا مولاي ، ان بعض  
الحوادث اذا عشنا فيها بأفكارنا لثملؤنا نشوة أكثر من تلك  
النشوة التى شعرنا بها يوم عشنا مع تلك الحوادث فى واقع  
حياتنا .

فقال الملك وهو يعبث بيده فى شعرها السبط المتناثر على  
الوسائد فى روعة :  
— هذا حق يا استر .

فقالت استر وقد أفتر ثغرها من ابتسامة رقيقة :  
— ما رأيك يا مولاي فى أن نمضى ليلتنا فى ماضينا ؟  
— ماذا تقصدين يا استر ؟

— أن نمضى هذه الليلة فى قراءة سفر الأيام ، فنبعث الى  
الحياة تلك الوقائع الرائعة التى طواها الزمن .  
— فكره جميلة .

وأمر الملك غلمانه أن يحضرو سفر أخبار الأيام ، فلما اتوا  
به تناولته استر وأخذت تقرأ فيه ، والملك يصغى اليها  
شارد الفكر ، يتذكر حوادث الأيام . واستمرت استر فى  
القراءة حتى اذا بلغت قصة مردخاي وتلك المؤامرة التى  
كانت تدبر لاغتبال الملك تمهلت فى قراءتها ، حتى اذا انتهت  
منها قالت :

— هذا رجل أسدى الى الدولة أجل خدمة .  
فقال الملك :

- هذا حق .
- ماذا فعلت له يا مولاي ؟
- لا أذكر يا استر أننا فعلنا له شيئاً ، كل ما أذكره أننا منحناه بعض المال ، ماذا يقول الناس عنا ، أننا أخطأنا في حقه ولا شك ، رجل ينقذ حياتنا ولا نكرمه ولا نطعمه ، هذا نكران !
- فقالت استر وهي تطوقه بذراعها :
- ليت الذين حولك يا مولاي مثل هذا الرجل الذى أضعم قلبه بالاخلاص .
- وأحس الملك حرارة أنفاسها ، فقال فى حماسة :
- غدا سنفكر ، أنا وهامان فى تكريم هذا الرجل .
- فقالت استر ، وقد اختلطت أنفاسها بأنفاسه :
- لى رجاء يا مولاي .
- ماذا يا استر ؟
- اذا أردت أن يكون رأى من تستشيرهم خالصاً ، فلا تذكر له اسم من تريد تكريمه .
- فما أذكر له ؟
- سله عما يشير بفعله لرجل يسر الملك أن يكرمه .
- أدار عبير أنفاسها رأسه ، فقال :
- غدا يا استر نتحدث فى الأمر .
- فغمضت استر :
- فى وليمة الغد .
- وغابا عن كل شىء الا عن نفسيهما .

— ٩٠ —

وافى ميعاد الوليمة التى أعدتها استر ، فأقبل أخشويروش وهامان . وما أدارت استر عليهما كئوس الخمر ، حتى تذكر الملك ما كان فى الليلة الماضية ، فقال لهامان وهو يرنو الى استر :

— بماذا تشير علينا يا هامان فى رجل يسرنا أن نكرمه ؟  
كان هامان يشعر بحب الملك له ، فحسب أن الملك ينوى تكريمه لاخلاصه وتفانيه فى عمله لمصلحة الدولة ، وأنه ما سألته هذا السؤال الا ليترك له فرصة الانصاح عما يحب وما يشتهى ليحققه له ، فقال هامان :

— أرى يا مولاي أن يكلف أحد الأشراف باللباس ذلك الرجل اللباس السلطاني ، وأن يقدم له فرس الملك ليركبه فى ساحة المدينة ، وأن ينطلق الشريف أمامه يهتف : « هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه » .

فقال استر فى فرح :

— هذا هو رأى يا مولاي ، يا لرجاحة عقل هامان !

وابتسم هامان فى خيلاء . وقال الملك :

— خذ اللباس والفرس يا هامان ، واذهب الى مردخاي ، ذلك اليهودى الجالس ببابى ، وافعل به كل ما ثلثته ، انه يسرنا ان نكرمه .

واحس هامان انقباضا ، فبا كان يدور بخذه أن يكرم  
الملك يهوديا بعد أن أهدر دم يهود مملكته جميعا ، وفطنت  
استر الى عبوسه ، فافتزت شفتها عن ابتسامة خبيثة ، وقالت :  
— ماذا يا هامان ؟ لكأنما أمر مولانا أدهشك ؟

فقال وهو يكتم غيظه :

— سأفعل ما أمرنى به مولاي .

خرج هامان وفى صدره أتون نار ، وذهب الى مردخاى ،  
واللبسه لباس الملك ، واركبه فرسه ، وانطلق أمامه ينادى :

— هذا جزاء من يرضى الملك عنه ، ويأمر بتكريمه .

وتجهر اليهود فى ساحة المدينة يهتفون فرحا ، وسار  
هامان يترنح يمكاد يموت من الكمد .

ووفد الليل بهدوئه وسكونه وأسراره . بعث الملك فى طلب  
استر ، فأقبلت تخطر رقيقة كالنسيم ، ناعمة كالأنفى ، وارتمت  
فى أحضانها ، كأنها تلوذ به وتحتفى فيه ، فمرر يده على  
عنقها العاجى وعلى جسدها الترب ، وهمس فى وجد :

— ما أروع هذا العنق البديع !

— هذا العنق البديع يا مولاي يستعمل فيه السكاكين .

فقال أخشويروش مرتاعا :

— من الذى يجرؤ أن يمسه ؟ !

— من أساء استغلال عطفكم ورعايتكم .

— من يكون ؟

— هامان يا مولاي ، هامان الذى حرضكم على اليهود ،  
الذين أخلصوا لكم ، والذين ما كان لهم هم الا توطيد دعائم  
ملككم ، والذين لم يرتكبوا اثما ، ولم يفعلوا ذنبا الا أنهم أحبوكم .  
فقال أخشويروش :

— انى لا أفهم شيئاً ، وما علاقتك أنت بهامان وبأمره بقتل اليهود ؟

— اننى يهودية يا مولاي ، فاذا نفذت أمر القتل فيهم قطعت رأسى معهم . بحق حبى يا مولاي أستوهبك حيساتى وحياة شعبى .

ولفحت وجهه أنفاسها الحارة ، ورنّت اليه بعينيها الجذابتين اللتين أصبح عبدا لهما ، فتحرك حبه ، فضمها اليه ، انه لا يطيق النأى عنها ، فمن هو هامان الذى يريد أن يفرق بينه وبينها ؟ ونسى الملك الغارق فى الخمر والشهوة ما أسداه هامان اليه وإلى مملكته ، فصاح بغلمانه :

— اذا جاء هامان المعتوه ، فأدخلوه على .

## — ١١ —

وأقبل هامان ، فأسرع اليه أحد أعوانه يفضى اليه أن الملك حاقطد عليه ، فعجب هامان ، واشتد عجبه ، فما دار بخلده أن يحقد الملك عليه ، ورأى أن يدخل على استر يسألها سبب ذلك الانقلاب ، وانه ليرجو أن يجد عندها عوناً ، فقد أكرمتها واصطفته على سائر الأمراء .

انطلق الى جناح الملكة ، واستأذن فى الدخول ، فأذنت له بعد أن بعثت الى الملك من يوسوس له أن هامان فى جناح الملكة . ودخل هامان وهو مضطرب ، وما ان وقع بصره على استر حتى قال فى صوت ينم عن المشاعر المشتعلة فى جوفه :

— بلغنى يا مولاتى أن الملك حاقد على ، ولا أدرى لغضبه  
سببا .  
وصمت وانتظر أن تتكلم الملكة ، ولكنها لم تنبس بكلمة ،  
بل رمته بنظرة لم يرتح لها ، فملك نفسه ، وقال :  
— ليتنى أعرف ذلك الذى مشى بالبهتان بينى وبين  
مولاي .  
فهبت كنبرة ، وقالت فى قسوة :  
— أنا يا هامان .  
بهت ، والجمته المفاجأة ، وطارت نفسه شعاعا ، وقال فى  
اضطراب :  
— أنت ، أنت يا مولاتى ؟ !  
— نعم أنا يا هامان ، أنا استر اليهودية التى وسوست للملك  
أن يببدها ويببدها شعبها ، حتى استجاب لوساوسك .  
— مولاتى ، ما كنت أعرف أنك يهودية ؟  
فقالت له فى سخرية :  
— آه ! لو كنت تعرف ذلك لفرشت طريق اليهود  
بالورود .  
— لا ، ما كنت أفعل إلا ما فيه مصلحة مولاي ومصلحة  
بلادى .  
— وماذا كنت تفعل ؟  
— كنت أشير عليه أن يببدهم ، الآن فى إبادتهم حياته وحياة  
شعبه .  
— يا عدو اليهود أمقتك من كل قلبى ، أمقتك بكل جارحة  
من جوارحى ، أمقتك مقتى للموت .  
— يحز فى نفسى أن سقط الملك فى حبائك ، انى حزين ،



حزين حتى الموت ، لأن أعداء هذه البلاد تسلطوا عليها . وأصبح  
عبيد الأُمس السادة الحاكمين .

— لن يطول حزنك يا هامان ، سَأريحك من آلام نفسك  
الخبِثَة .

ودنا هامان منها ، وهو ينظر إليها شزرا ، فصاحت به :

— ابتعد عني ، يا أبغض من وقعت عليه عيناى ، ابتعد .

وفتح الباب ، ودخل الملك وصوت استريرن فى اذنيه .

فثارت ثأثرته ، ورأى هامان بالقرب ممن شُفّف بها حبا ،  
فتمحكت غيرته ، فصاح :

— يا للثيم الذى أكرمته فكفر بنعمتى ، ودخل على أهلى

فى غفلة منى .

فهتف هامان فى توصل :

— مولاي ، أتوصل اليك أن تصفى الى .

— أخرس يا فاجر .

ودنت استر حتى التصقت بأخشويروش ، فصاح :

— ما كان لمن يتنكر لى أن يعيش .

— اننى يا مولاي خادملك الأمين .

ونادى الملك رجاله ، وصاح فيهم :

— خذوا هذا التذر واقتلوه .

— مولاي ! مولاي .

وانقض الرجال على هامان الأجاجى ، وخرجوا به ، فمغميت

استر فى راحة :

— الى الجحيم يا عدو اليهود .

—•••—

## - ١٢ -

قتل هامان ، فخلا الجو لاستر ، فأصبح الملك أطموح لها من بنائها ، تحركه كيف تشاء ، فكانت تنفذ أهدافها بين رشف الكتوس ، ورشف الثفور ، فمكنت لمرخادى فى القصر ، وقربته من الملك ، حتى أمر بمنحه ضياع هامان وقصره وأملاكه .

وظلت استر به حتى أقنعتة أن ينقض أمره القاضى بقتل اليهود ، فدفع الملك بخاتمته الى استر ومردخاى ، فبعثا الى كتاب الملك وأمرهم أن يكتبوا الى الولاة أن الملك العادل أحشويروش قد عفا عن اليهود وأكرمهم ، وخصهم برعايته . وخرج الرسل على الخيل والبغال ، وانطلقوا الى الهند وفارس والبلاد الممتدة الى كوش ، يحملون أوامر من أصبح العوبة فى أيدي اليهود .

ولم تقتنع استر بما نالته ، فحقدتها على هامان لم يطفىء لهيبه الموت ، انها تحس رغبة فى أن تبطش بكل ما يمت بسبب اليه ، فراحت تحرض الملك على قتل أهل هامان . فاستجاب لها الرجل المسلوب الارادة ، وبطش بأهل من كان أخلص الناس اليه .

وتحركت فيها روح الشر ، فجعلت تحرض اليهود على التنكيل بأهل البلاد ، لتنزل الرعب بقلوبهم ، فتمكن لأهلها فى الأرض ، فقام فى مملكة أحشويروش عهد من الارهاب ، فى ظل استر ومردخاى ، وفى غفلة من الملك اللاهى عن شعبه

بالجسد الترب ، الذي يحوى بين جنبيه روحا تهفو الى سفك  
الدماء .

وراح مردخاى يقدم إلى الملك اسرابا من العذارى ،  
ليشغله باللذة عن المظالم الواقعة فى ملكه ، فصارت المملكة  
المهائلة الممتدة من الهند وفارس وكوش مرتعا خصبا لليهود ،  
فرضوا عن اسستر وقدسوها ، ودونوا قصتها فى الكتب  
المطهرة !



## سـالـوى

( ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون  
النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون  
بالنفس من الناس فيبشرهم بمذاب اليم ، أولئك  
الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم  
من ناصرين ) .

« قرآن كريم »

— ١ —

الهدوء يلف كل شىء ، حتى كان زفيف النسيم يسمع ،  
والضوء الخافت المنبعث من ذبالة ضعيفة ، يبدد الظلام ، ويفرش  
المكان بنور واه لطيف ، نرتاح اليه النفوس ، وكان للمكان قدسية  
وجلال ، انه محراب نبي من أنبياء الله .

ولاح فى الضوء الخافت اللطيف شبح فتاة ترتدى البياض ،  
كعت فى خشوع تبتهل الى الله ، وجرت الدموع على خديها من  
لرهيبة والوجد ، وكان فى وجهها نورانية وصفاء . وأقبل  
شيخ يسير الهوبنى ، وقد نال منه الكبر ، يلوح فى وجهه التقى

والصلاح ، ودخل عليها زكريا المحراب ، فوجد عندها فاكهة فى غير أوانها . فتعجب وقال لها :

— يا مريم أنى لك هذا ؟

— هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وراح زكريا يفكر فى أمره ، انه قارب الثمانين ولم يرزق ولدا ، وحز فى نفسه أن يبقى فردا وقد مسه الكبر ، وتمنى أن يهب الله له غلاما ، ولكن ما كان له أن يطمع فى ذلك وامراته عاقر ، ووقع بصره على الفاكهة ، فأحيا ذلك موات الأول فى نفسه ، ان الله الذى يرزق مريم الفاكهة فى غير أوانها ، قادر على أن يهب له ذرية ، على الرغم من أنه شيخ وامراته عاقر .

ودخل محرابه ، وسجد فى خشوع ، وجعل ينادى ربه فى حرارة :

— يارب . يارب . يارب .

وصفت نفسه وفتحت روحه . وأحس كأن ينبوعا من النور تفجر فى جوفه ، فبدد الظلام الذى كان يحتويه صدره ، وشعر كأنما دنا من ربه ، فقال :

— رب ، انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ، ولم اكن بدعائك رب شقيا ، وانى خفت الموالى من ورائى ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا .

وأطرق خاشعا ، وفاض النور فى المحراب ، وسمع حفيضا خفيفا ، فتلفت ، قرأت ملكا كريما يقول فى صوت اخاذ :

— يا زكريا ، انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا .

فرفع زكريا رأسه الى السماء ، وقال :  
— رب ، أنى يكون لى غلام : وكانت امرأتى عاقرا ، وفد  
بطلت من الكبر عتيا ؟ !  
قال الملك :  
— كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم  
تكن شيئا .  
— رب اجعل لى آية .  
— آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .  
وخرج زكريا على قومه فى المحراب ، يفيض وجهه بابشر ،  
ويخفق قلبه من السرور ، ورمز الى قومه أن يسبحوا بكرا  
وعشيا ، فقد استجاب له ربه ، ووهب له يحيى .

## — ٢ —

سار يحيى يقلب وجهه فى السماء ، ويمد بصره الى  
ملكوت الله ، فيحس رهبة وجلالا ، ويخشع قلبه ، ويعمل فكره ،  
كان يرى الله فى كل ما تقع عليه عيناه ، انه شىء فى بيت  
النبوة ، فرأى أباه فى محرابه ، يعبد ربه ويقدس له ، فعرف  
الله ، وصار يهابه ويخشاه .  
وانطلق وهو مشغول الى بيت المقدس ، فلمحه أترابه من  
الصبيان ، فهرعوا اليه ، وقالوا له :  
— يا يحيى اذهب بنا نلعب .  
فقال لهم وهو منطلق فى طريقه :

— ما للعب خلقت .

ودلف إلى بيت المقدس ، فرأى المجتهدين من الأحبار  
والرهبان وعليهم مدارع الشعر ، وبرانس الصوف ، وهم يعبدون  
الله في خشوع ، فتفتحت نفسه ، وهفت روحه اليهم ، ووقف  
ينظر وقد شاعت البهجة فيه ، وسكنت الطمأنينة قلبه ، وأحس  
هدوءا عجيبا .

وبقى في المسجد هائئا ، تهيم روحه بملوكوت السماء ،  
حتى اذا عاد الى داره احتللت رأسه فكرة ، فأتى أمه وقال  
لها :

— يا أماه ، أنسجى لى مدرعة من شعر ، بونسا من  
صوف ، حتى آتى الى بيت المقدس ، وأعبد الله تعالى مع  
الأحبار والرهبان .

فنظرت اليه أمه وقالت :

— حتى يأتى نبي الله زكريا عليه السلام ، فأؤامره في  
ذلك .

واقبل زكريا ، وتاهب ليدخل محرابه ، فجاءته زوجته  
وقالت له :

— أن يحيى قد طلب منى أن أنسج له مدرعة من شعر ،  
وبرنسا من صوف .

فالتفت زكريا الى ابنه وقال :

— يا بنى ، ما يدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير ؟  
فنظر الصبى الى أبيه بعينين يشع منهما بريق الذكاء  
وقال :

— يا أبت ، أما رأيت من هو أصغر منى ذاق الموت .  
فانشرح صدر زكريا وقال :

— بلى .  
ثم التفتى الى زوجه وقال :  
— انسجى له مدرعة من الشعر ، وبرنسا من الصوف .

### — ٣ —

جلس فيليبس ملك اورشليم على عرشه ، وجلست الى جواره زوجته هيروديا ، وراحت ابنتهما سالومي تنظر من النافذة ، ترقب طرقات المدينة العتيقة . كانت هيروديا رائعة الحسن ، اندى من الندى ، وانضر من ازهار الربيع . كان جمالها اخذا ، يعبت بالأمثدة ، وتهفو اليه القلوب .

واقبل هيرودس أخو الملك ، واخذ بأسباب الحديث ، كان يحادث أخاه ، ويرنو الى هيروديا فى اعجاب ، ويرمقها فى استهزاء ، وكانت عيناه الوالهتان تتلاقيان وعينيها ، فكانت تحس حرارتها ، وتفهم لغتها ، فترقت على شفيتها ابتسامة ، وتتألق عينها ببريق السرور والارتياح .

واقتربت سالومي من هيرودس ، فمد يده وضمها اليه ، وقال وهو يرنو الى أمها فى هيام :

— يا لروعة حسنك ! جمالك يا سالومي قاهر جبار ، يهز أوتار القلوب ، ويزيد خفقات الأمثدة بين الضلوع .

فأشرق وجه هيروديا ، وقال فيليبس وهو يضحك :

— دع يا هيرودس الفتاة ، لكأنك عاشق برح به الغرام .

فقال هيرودس فى حرارة ، وهو ينظر الى وجه زوجته أخيه الفتان :



— انها يا فيليبس قطعة رائعة لأقدر فنان .

وهام هيرودس بزوجة أخيه حيا ، وبادلته هيروديا ذلك  
الفسرام ، فراحا يتلاقيان ، وملك حبسه لها حواسمه ،  
وسيطر عليه ، فلم يطق أن يشاركه فيها انسان ، ففكر ودبر نم  
قابل هيروديا ، ونأجاها وهمس لها بما عقد عليه العزم ، فلم  
تثر ولم تفزع ، بل شجعتته على أن يقدم على انفاذ ما دبر ، فقد  
كانت امرأة تهوى المغامرات .

وفى الليلة الموعودة ، تدثر أعوان هيرودس بالظلام ،  
وانسلوا الى القصر وانطلقوا الى مخدع فيليبس ، فالفوا كل  
شيء هينا ميسورا ، فقد دبرت هيروديا الأمر ، وأحكمت  
التدبير ، كان باب مخدعه مفتوحا ، وما كان هناك أحد من  
الحراس .

وانقض الرجال على فيليبس وشدوا وثاقه ، وقادوه الى  
سجن القصر ، وما تنفس الصبح حتى كان هيرودس مرتبعا  
على عرش أورشليم والى جواره هيروديا .

— ٤ —

راح يحيى يهيم فى البرارى ، يأكل من ورق الأشجار ، ويرد  
ماء الأنهار ، ويتغذى بالجراد ، ويستر جسمه مدرعة من الشعر ،  
وعلى حقوية منطقة من جلد ، وكان يدخل بيت المقدس ينقل الى  
الناس أوامر السماء ، ويبشرهم بقرب ظهور المسيح ، ابن  
الانسان ، منقذ البشرية .

سار فى مسالك المدينة ، وقد التف حوله من صدقه ، وراح يقول :

— توبوا فقد اقترب ملكوت السماء .

وعلم يحيى ما فعله هيرودس بأخيه ، فغضب ، وأخذ يقول ان هيروديا لا تحل له ، واشتد فى تقرير المرأة ، وكان كلما قابل جماعة من بنى اسرائيل أعلن سخطه على ما اقتترف مفتصب الملك والزوجة ، وبلغ هيرودس ما يقول يحيى ، فثار ، ولكنه لم ينفس عن ثورته ، كان يخشى أن يهد يده الى يحيى بأذى ، خشية أن يثور الشعب لنبيه .

وحقدت هيروديا على يحيى ، فطفقت تحرض هيرودس على البطش به ولكنه كان يترث هية منه ، وخوفا من أتباعه ، وفكر فى أنه لو قضى على فيليبس فقد تخفف حملة يحيى الشديدة التى تهدد ملكه ، وترزع سلطانته .

وبعث هيرودس جلاده الى السجن ، وما خرج منه حتى كان فيليبس جثة هامة ، وذاع نبا قتله ، فاشتد يحيى فى لوم هيروديا الفاجرة ، فأخذت تضغط على هيرودس لينتقم لها من ذلك الذى مرغ اسمها فى الأوحال ، فلم يجد مفرأ من أن يذعن لها ، فأرسل جنوده فى طلبه ، فلما مثل بين يديه قال له :

— ألا تكف عنا ؟

— حتى تكف عن معصية الله .

— وكيف ؟

— أن تهجر الفاجرة .

فثارت هيروديا وصاحت :

— اقتلوه ، اقتلوه .

وقال الملك :

— ولماذا اهجرها ؟  
— لأنها لا تحل لك .  
وظهر فى وجه هيرودها الغضب الشديد ، وصاحت :  
— اقتلوه .. اقتلوه .  
وقال الملك لحراسه :  
— القوه فى غيابات السجن .

— 6 —

راحت سالومى تهرج فى القصر كفراشة طليقة ، وفى يوم  
من الأيام بينا كانت بالقرب من السجن ، وسمعت صوتا عميقا يهتف  
فى نبرات تهز القلوب :  
— فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى  
بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور  
حذائه .  
ووقفت سالومى تفكر فى ذلك النبى الذى رمى أمها بكل  
سوء ، فأحسست رغبة فى أن تراه ، ولم تستطع أن تقاوم اغراء  
الفكرة ، فأتجهت إلى حارس السجن ، وقالت له :  
— افتح هذا الباب .  
— لماذا يا مولاتى ؟  
— أريد أن أرى ذلك النبى .  
— محال أيتها الأميرة ، فقد حرم الملك أن يراه انسان .  
— كيف هو ؟ أهو شيخ كبير ؟

- لا يا مولاتى ، انه سَاب رائع الحسن .  
فدنت سالومى من الحارس ، وقالت فى دلال :  
— افتح الأراه .  
— مولاتى .. مولاتى ..  
— افتح ، ولن يعلم الملك شيئا .  
وفتح الحارس الباب ، فهبطت سالومى درجات ، وألفت  
نفسها فى حجرة ضيقة ، وقد وقف فى ركن منها يحيى ، بقامته  
المديدة ، وقسماته الجميلة ، ونظرت اليه ، فبدا فى وجهها  
العجب . كان أبيض البشرة ، واسع العينين ، حسن الصورة ،  
فمس حسنه شغاف قلبها ، فدنت منه خائفة الفؤاد ، فرفع  
رأسه ، وقال :  
— من أنت ؟  
— أنا سالومى ابنة هيروديا أميرة الأردن .  
— ابتعدى عنى ، فقد ملأت أمك الأرض عصيانا .  
— ما أحلى صوتك يا يحيى .  
ودنت منه ، وهى تكاد تلتهمه بعينيها ، فارتد خطوات ، وهو  
يقول :  
— لا تقتربى منى ، اذهبى ، اذهبى .  
وأحسست شغفا فى أن تغرى نبيا ، فقال وهى تتثنى ، وترنو  
اليه فى وله :  
— ما أجملك يا يحيى !  
— غضى من بصرك يا فاجرة .  
ومدت يدها تتحسس وجهه ، ولفحت أنفاسها الحارة جيده ،  
فنفر منها وصاح :  
— ابتعدى عنى ، ابتعدى عنى .

وثبتت عينيها على فمه ، وقالت :

— ما أروع ثغرك يا يحيى ، تعال وضع شفتيك على شفتي .

— اذهبي .. اذهبي .

— أنصت يا يحيى ، أنصت . ألا تسمع دقات قلبي ، ان الفؤاد يخفق بحبك ، وشفتي ترتجفان ، وجسدي استعر نارا ، قبلة واحدة تطفئ اللهب الذي اشعلته عيناك ..

وأشاح بوجهه عنها ، وهي تدنو منه وتقول :

— قبلني يا يحيى .

— اخرجي يا سالومي .. اخرجي ..

— قبلة واحدة تطفئ النار التي تأججت في صدري .

— اغربي عن وجهي يا فاجرة .

وبقيت سالومي تتثنى وتتأود ، ويحيى ينفّر منها ، وخرجت أخيرا مطأطئة الرأس ، منقبضة الصدر ، دامية النفس ، تحس ذلة الانكسار ، وقد اندلعت النار في أحشائها . جاءت لترى النبي الذي تمقته أمها : فخرجت من عنده تحس طعم الصاب في فيها ، فقد أشهت النبي الجميل ، وحاولت أن تضع شفتيها على شفتيه ، ولكنه صدها أقسى صد ، وترك نار الصبابة ترعى في الصدر ، وتضنى الفؤاد .

## - ٦ -

كان اليوم عيداً من أعياد الصوم ، فأتيل الى القصر الاشراف  
وكبار رجال الدولة والاعيان ، وانتظم عتدهم ، فجعل الملك  
وهيروديا وضيوفهما يعبون الخمر ويضحكون ، وجلست سالومي  
ساهمة ، قد غاضت نصارتها ، فقد جرحت مزيتها كبرياءها ،  
وجعلت ابخرة الحقد تنتشر فى صدرها فتخنقها .

وارتفعت ضوضاء المجتمعين ، وراحت ضحكاتهم المخمورة  
ترن فى جنبات القصر ، وبلغ يحيى فى سجنه أن المسيح قد ظهر ،  
وانه احيا الموتى ، وأبرا الأعمى والأصم والأبرص ، فصاح :  
— العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ،  
والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون .

ورن صوته فى القصر ، فصمت الجميع ، وقال أحدهم :  
— ما هذا ؟

فقال هيرودس :

— انه يحيى .

— ماذا يقول ؟

— لا أدري .

فقاتلت هيروديا فى ضيق :

- انه يهرف .
- وبلغ صوته آذان سالومى ، فزاد امتقاعها ، وسرعان  
ما نادى السرىضاء ، وانطلق القوم فى مرحهم .
- ولاحظ هيرودس انطواء سالومى على نفسها ، فقدم اليها  
كأسا من الخمر فرفضتها ، فقال لها :
- اشربى .
- لا يا مولاي .
- اشربى وامرحى يا سالومى ، فالיום عيد .
- فافتتر ثغرها عن ابتسامة باهتة ، فقال لها :
- ارقصى يا سالومى .
- لا اشعر برغبة فى الرقص يا مولاي .
- أرجو أن ترقصى .
- لا أستطيع . . لا أستطيع .
- فقال لها فى اغراء :
- اذا رقصت لى أعطيتك ما تشائين . . .
- فخطرت لها فكرة . انها تستطيع أن تتأثر من ذلك الذى جرعهها  
كأس الهوان ، فرنت الى الملك وقالت :
- حقا ؟
- أقسم لك يا سالومى .
- بماذا تقسم ؟
- أقسم لك بالهتى ما سألتني شيئا الا أعطيتك .
- لقد أقسمت .
- أقسمت يا سالومى وما حدثت فى قسمى قط .
- وغابت سالومى قليلا : وعادت فى غلالاتها السبع

وانسابت الإنعام العذبة ، خراحت ترقص وتغنى فى خفة الطيف .  
وأخذ الجميع يرمقونها نى اعجاب ، وقد حبست الأنفاس .  
كانت ترقص فى حرارة تتدفق فى عروقها نار . وانبسطة  
الأسارير ، وفاض وجه الملك بالبشر ، وسالومى تميل ، فتهيل  
منها الثلوب ، وما انتهت من رقصتها حتى هرعت الى الملك ،  
وانحنى أمامه ، فقال لها فى انشراح :

— انهضى لأمنحك ما تطلبين ، لقد أدخلت يا سالومى على  
نفوسنا السرور . ماذا تريدين ؟

— هدية فى طست من فضة .

فظهرت الدهشة فى وجه الملك ، وقال :

— هدية فى طست من فضة ، وما هذه ؟

— رأس يحيى .

فأربد وجه الملك ، وتهلل وجهه هيروديا ، وقالت :

— أحسنت الاختيار يا فتاتى ، انها خير هدية فى هذا

العيد .

فقال الملك فى جزع :

— لا . لا يا سالومى . لا تسألينى ذلك .

— أريد رأس يحيى نى طست من فضة .

— لا .. لا .

— لقد أقسمت . أقسمت قسما عظيما .

— أقسمت يا سالومى ، ولكن أتوسل اليك أن تسألينى

شيئا آخر .

— لا أريد الا رأس يحيى .

— لا ...



فقال هروديا :

— لقد أقسمت ، بر بقسمك .

— اسكتي .

فقال سالومي في اصرار :

— أرجو رأس يحيى .

— ما هذا يا سالومي الذي تطلبين ؟ ان ما تطلبين  
مربع !

— أعطني رأس يحيى .

وحسبت هيروديا أن سالومي تطلب رأس يحيى اكراما لها .  
فقال :

— أعطها ما طلبت ، أعطها رأس من سب أمها ، ولطخها  
بالعسار .

ونظرت الى ابنتها في شكر ، وما دار بخلدتها أن  
سالومي تطلب رأسه لتنتقم لما نالها من هوان ، لعل النار  
التي استشرت في جوفها تخدم ، ولعل القلب الذي كان  
ينزف حقدا يهدأ ، ولعلها تستطيع أن تلثم الفم البارد الذي عز  
عليها أن تلثمه وهو نابض بالحياة .

وانكمش هيرودس في مرثه ، ونزل به هم ثقيل ، وقال  
لحراسه في صوت خفيض :

— أعطوها ما طلبت .

وخرج الحراس ، وساد القاعة صمت رهيب ، ومر  
الوقت بطيئا بطيئا ، وقد استولى على الجميع رهبة  
وتلق . ثم عاد الحراس يحملون طستا من فضة به رأس  
يحيى بن زكريا ، وقدموه لسالومي . فنظرت الى فمه وقد

اتسعت عيناها ، وأدنت شفيتها لتلثم شفتيه ، ولكن  
الأرض زلزلت ، وانقضت صاعقة من السماء ، فسقطت  
سالومي صريعة ، وسقط الرأس بعيدا ، فقد حرم عليها  
أن تلثم شفتيه حيا وميتا .

# الْقِصَصُ الَّذِي

( قصص من الكتب المقدسة )



## نداء من السماء

— ١١ —

سار « شطا » فى ردهات القصر شارد اللب ، مبلبل الفكر ، منقبض الصدر ، يمد بصره الى لا شيء ، وقد ارتسمت الحيرة فى وجهه . وكان شابا تدل قسماته على الذكاء ورجاحة العقل ، انطلق دون أن يفطن الى الخدم الذين كانوا ينحنون له تحية واکراما اذا ما أقبل أو أدبر ، ودون أن تجذب بصره تلك التماثيل الرائعة الفخمة ، التى كانت تزين ردهات القصر العظيم ، فقد كان واجها منظويا على نفسه ، انه يحس اضطرابا وقلقا ، فقد كره عيشته ، وعانت نفسه كل شيء ، ودلف الى غرفة كانت من أحب غرف القصر الى قلبه ، ولطالما اجتمع فيها بعلماء المدينة ، وطالما أصفى اليهم فى نشوة ، وطالما أخذوا ياهم بأطراف أحاديث لذيذة كانت تنعش روحه ، وتعيد اليه هدوءه .

ألفى العلماء مجتمعين يريدون النقاش بينهم ، فجلس كما اعتاد أن يجلس ، وأعارهم سمعه ، وما انقضى قليل وقت حتى شرد فكره ، وعاد اليه وجومة وحزنه ، وسرعان ما فطن الى شroud ذهنه ، قراح يجمع شتات أفكاره ، ويحاول أن يلتقى السمع اليهم ، وأن يتتبع حديثهم فى

شغف ، ولكن ما مرت لحظات حتى أحس ضيقا وانقباضا ،  
فنهض متبرما وانصرف ساهما مفكرا كما أقبل ساهما مفكرا .

وأغلق عليه بابه ، وراح يفكر فى نفسه وفيما حوله ،  
وأرعى لخياله عنائه ، فالتقى نفسه سجين القيود ، وما  
أبغض القيود الى النفس ، فما تخلف الا القلق والحيرة والفزع  
والخوف والأحزان ، انه يود أن يكون طليقا من كل قيد . فلم  
لا يهجر القصر ، وينبذ المال ، ويدع السلطان ، ليعيش وحيدا  
بعيدا طليقا ، ينعم بالراحة وهدوء البال !

وأقبل البامرك تحف به بطانته ، وسأل عن ابنه ،  
فقيل له انه فى جناحه وقد أغلقه عليه ، فأطرق البامرك ،  
وطافت به سحائب من حزن . فان ابنه قد ركن الى  
الوحدة ، وأصبح يفلق عليه بابه ، لينفرد بنفسه يحادثها  
وتحادثه . ان نفور شطا واعتزاله أصبح يثقله ، وان  
وجوه صار يحزنه ، فلى أن ابنه كان كلداته من الشباب  
بسر بلذات الجسد لهان الأمر ، ولبعث اليه بالجواري  
الغائبات ، وبالسراى اللاتى يأخذن باللب ، ويشغلن  
القلب ، ولكن ابنه أعرض عن كل شيء . وجعل البامرك  
يعجب فى نفسه لوجوم ابنه ، واغراقه فى التفكير ، فما كان  
لثله أن يكتب أو يفكر ، فالدنيا لهم باسمه ، بسطة فى  
العيش ، ومال موفور ، وخدم وحشم ، وسؤدد وسلطان ،  
انسه ابن حاكم دمياط ، وابن خال حاكم مصر المتسوقس  
العظيم !

وسار البامرك حتى اذا ما بلغ باب ابنه طرقه فى رفق ،  
نفتح شطا الباب ، فلما رأى أباه ابتسم ابتسامة ، كانت  
أسمى على قلب الأب من الدموع ، فزادت من آلامه ، فقد

كانت ابتسامة ساهم واجم ، لا تعرف نفسه الراحة او  
الهدوء . واقترب البامرك من ابنه ، ولف ذراعه حوله ،  
ورنا اليه رنوة كلها عطف ، وكلها حنان ، وقال له فى صوت  
متهدج :

— ما بك يا بنى ؟

— لا شىء .

— فما بالك تفر من الناس وتغلق عليك بابك ؟

— ضقت ذرعا بالناس وتفاهاتهم .

— اخرج الى القصر يا بنى واختلط بهم فى تذهب عنك  
وحشتك ، ويعود اليك هدوءك .

— سئمت القصر ومن فيه .

— اخرج الى الصيد وروح عن نفسك تجد لذة وشغفا  
وسعادة .

— هيهات ! ما لى لى اللهو من أرب .

— وما تريد ؟

— أن تأذن لى بأن ابنى صومعة اتفرد فيها .

— تبنى صومعة لتتركنا ؟

— أن روحى تهلو الى شىء ونفسى تنشوف له ، ولكنى  
أدرى ما هو ، وكل ما أدريه أنه ليس هنا فى القصر ، فدعنى  
أحيا حياتى .

— شطا ، ولدى .

— دعنى يا أبت اذهب ، دعنى أن روحى تعذبنى ..

تضلينى .

فضمه البامرك الى صدره فى وله وحنان ، وقال له فى  
توسل :

— لا يا شطا ، لن أدعك أبدا أبدا ، انى لا أطيق فراقك .  
 — انى أحس أن روحى هنا حبيسة ، ولن تهذا حتى تهيم  
 طليقة ، لتتصل بالكون .  
 — ابق من أجلى يا شطا . أما كفانى اليوم أن أعلم أن  
 العاصمة قد سقطت فى أيدي العرب المغيرين ، حتى تأتى أنت  
 لتزيد فى كربتى ؟ !  
 مخفض شطا بصره ، ولم ينبس بكلمة ، ونهض البامرك  
 وجذب ابنه من يده ، ليخرج به الى القصر .

## — ٢ —

انتشرت الجيوش الاسلامية فى ربوع مصر تضع يدها  
 على مدينة اثر مدينة ، بين فرح الاهلين واغباطهم ، فقد  
 كانوا قوما عدلا ، وما كانوا بفاسقين . واخذ الناس يتناقلون  
 القصص العجيبة عن الغزاة الفاتحين ، وانتشرت انبأؤهم  
 حتى بلغت دمياط ، فجعل شطا ينصت الى ما روى عنهم  
 فى اهتمام وانتباه ، ويستفسر عن ذلك الدين الجديد الذى  
 جاءوا به لينشروه على العالمين . انهم قوم متواضعون رحماء  
 لا يريدون عرض الدنيا وزخرفها ، ولكنهم ييغون وجه الله .  
 انهم على تواضعهم اصحاب مثل عليا يخوضون المهالك  
 لتحقيقها ، ويجودون بأرواحهم راضين مطمئنين فى سبيلها .  
 انهم يحبون الموت حبهم للحياة .  
 وأخذ شطا يتقصى أخبارهم فى شغف ، ويفكر فيهم ،  
 وفيما جاءوا به ، فلا يزداد الا عجبا وعاجبا . وفى يوم وفد



الى القصر رجل من رجال المقوقس الذى فروا بعد سقوط حصن بابلين ، فهرع شططا اليه ، ليستمع الى انباء اولئك الذين أصبحوا شغله الشاغل ، وراح الرجل يقص نبأهم ، فما كان لمصر حديث غيرهم ، وشططا يستمع فى رضا . قال الرجل فيما قال :

— انهم فى الليل رهبان ، وفى النهار فرسان ، اذا رأيتهم فى سكون الليل يدعون ربهم ، ويصلون صلاتهم ، حسبتهم ملائكة أبرار ، واذا رأيتهم فى النهار فى حلبة القتال يطلبون الموت ميفر منهم ، حسبتهم شياطين مردة .

وزحفت جيوش المسلمين تطلب دمياط ، فحصن البامرك البلد ، وجمع الجيوش ، وتاهب للقاء ، واجتمع بأرباب دولته ، وكان عندهم حكيم يثقون به وبرأيه ، فأرسل البامرك فى طلبه : فلما جاء قال له :

— ايها الحكيم العالم ، ما الذى تشير به علينا فى أمر هؤلاء العرب ؟

— ايها الأمير ، ان هؤلاء القوم لا تذلل لهم راية ، ولا تلحق لهم غاية ، وقد فتحوا البلاد ، وأذلوا العباد ، واشتهر أمرهم ، وعلا ذكركم ، وفشا خبرهم ، وعلت كلمتهم ، ولانفت بالأرض دعوتهم ، فما أحد يقدر عليهم ، وما نحن بأشد من جيوش الشام ولا أمتع بلدا ، وهؤلاء القوم أيدوا بالنصر ، وان الرحمة فى قلوبهم ، فعاهدتهم ، فما عاهدوا عهدا فغاثوا ، ولا حلفوا يمينا فكذبوا ، وقد بلغك ما هم عليه من الدين والصيانة والصدق والأمانة ، والرأى عندى أن تصالحهم لتتأل بذلك الأمن ، وحقن الدماء ، وصون الحريم ، ودفع الأمر العظيم .

فثارت ثائرة البامرك ، فان الحكيم لبيت روح الهزيمة فى القوم ، فاستل سيفه ، وقطع به رأسه ، وصاح فى القوم أن يتأهبوا للحرب .

وجاء الليل يمد أرديته السود ، وانسل شططا الى معسكر المسلمين ينظر ، فرأى الأعراب فى ثيابهم البيض يرتلون القرآن ترتيلا ، ويبتهلون الى الله فى خشوع ، واستمر يرقب ما يجرى فى المعسكر فآلفى بساطة رائعة تأخذ بمجامع القلوب ، فتفتحت نفسه ، وغشيت طمأنينة وهدوء ، وعاد شططا الى معسكره متسللا تراوده افكار وأحلام .

وطلع الصباح فخرج المصريون للقتال ، وكان البامرك على رأس جيشه ، وعن يمينه شطا يرقب الأعراب كالمشدوه ، واضطربت نفسه ، وخفق قلبه فى صدره ، وشخص الى السماء ببصره فرأى كأنها نور عظيم يسقط على عسكر المسلمين ، فصاح وسقط عن فرسه ، فارتاع أبوه وجميع عسكره من تلك الصيحة ، فلما أفاق قال له أبوه فى اضطراب :

— ما وراءك يا بنى ؟

فقال شطا فى يقين :

— ظهر والله الحق .

وحرك جواده وقال :

— اشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

والتفت الى الرجال وقال :

— من أحببني من رجالى وغلبانى فليتبعننى

وانطلق الى صفوف المسلمين وقد التقى سلاحه ، وأذا

بألف من المصريين يتبعونه ، ويلحقون به ، ويلقون بأسلحتهم .

وتطلع البامرك الى ابنه ورجاله فى ذهول ، ومضت مدة قبل أن يفيق الى نفسه ، ولما استرد ليه الذاهل بعد تلك المفاجأة المباغطة قال :

— والله ما فعل ولدى شطا ذلك الا وقد رأى الحق .  
وحرك جواده ، وسار الى صفوف المسلمين ، فلما نظر أرباب دولته ذلك قالوا :

— اذا كان الأمير وولده قد أسلما ، فما وقوفنا !  
وانتشر الاسلام فى دمياط دون أن تراق قطرة دم .

### — ٢ —

فتحت دمياط ، واعتنق البامرك الاسلام وتعصب له ، وشاء ان يعمل على نشره ، فالتفت الى شطا وقال :

— هذه تنيس بالقرب منا ، وهى جزيرة ، ولا يمكن التوصل اليها الا فى المراكب ، والصواب اننا نكتب صاحبها ابا ثوب ، وندعوه الى الله ، والى دين نبيه ، فان أجاب ، والا قصدناه والله بنصرنا .

فقال شطا :

— هذا هو رأى ، وأنا اكون الرسول اليه بنفسى .

فقال البامرك :

— اعزم يا بنى على بركة الله وعونه .  
وجهازت المراكب وركب شطا وأربعة من غلمانه

الخواص ، فلما نظر ذلك يزيد بن عامر صاحب رسول الله  
قال :

— وأنا أسير معك الى صاحب تنيس ، فانه لو سألك  
عن ديننا ومعاله لم يجد عندك ما يشفى غلته ، ونحن بحمد  
الله ما فينا من يتكبر ولا يتجبر ، وما طلبتنا الا الآخرة ، والعمل  
بما يقربنا الى الله .

واقطع المركب بشططا ويزيد حتى اذا ما اقترب من الجزيرة  
أسرع الحرس اليهما ، فلما راوا فيها بدويا أظهروا عجبهم ،  
وسألوا شطا :

— من أنت ؟

— انا ابن البامرك صاحب دمياط ، ومعنا هذا الرجل من  
أصحاب رسول الله ، وقد جئناكم رسلا .

فأرسلوا واحدا منهم يستأذن لهم ، فأذن لهم أبو ثوب ،  
فنزّلوا في الزورق ، ولما بلغوا اليابسة وجدوا أبا ثوب  
قد أرسل لهم دواب ليركبوها ، فامتنع يزيد من الركوب ،  
ووافق شطا على ذلك ، وساروا كلهم راجلين الى أبي ثوب .

وبلغوا القصر ، فاخترقوا مواره حتى دخلوا على أبي  
ثوب ، واذا به في حشمه وخدمه وزينته ، والحجاب والقلمان  
بين يديه ، فلما رآهم مقبلين نظر اليهم شزرا ، ثم أعرض عنهم  
في عجرمة وكبرياء ، ولم يأذن لهم بالجلوس ، فلم يجسر أحد  
من جماعته أن يأذن لهم ، فلما رأى يزيد بن عامر ذلك لم يغضب  
ولم يثر ، بل قرأ في هدوء : ( ان الأرض لله يورثها من يشاء من  
عباده ، والعاقبة للمتقين ) .

وجلس ، فجلس شطا الى جواره ، وراح يزيد يعرض

على أبى ثوب فى ثقتة : الاسلام أو الجزية أو القتال ، ففضب  
أبو ثوب ، ولكنه كظم غيظه ، وأخذ بأطراف الحديث مع  
يزيد ، واستمر الأخذ والرد ، والجذب والشد ، وأخيرا  
انصرف يزيد هو ومن معه الى دمياط ، وقابلوا البامرك ، فسألهم  
عما فعلوا ، فقال يزيد :

— قال أبو ثوب انه سوف يعرض دين الاسلام على أهل  
جزيرته وأصحابه وأهله ، ويبنى المساجد ، ويأمر بالمعروف ،  
وينهى عن المنكر ، فقلت له : ان أنت فعلت ذلك رشدت ، وان  
نافقت فإن ربك لبالمرصاد .

فأطرق البامرك قليلا ثم غمغم :

— والله لقد خدعكم بخديعته ، ورماكم بسهم مكيدته .  
فقال يزيد :

— ( ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ) .

وانقضت أيام ، ووصل الى علم المسلمين أن أبا ثوب جمع  
جندا من سائر الجزائر وأنه قادم عليهم ، فلما سمع البامرك بذلك  
قال ليزيد :

— ما الذى ترى من رأى فى أمر هذا العدو ؟

— نستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن قاتلنا  
قاتلناه .

وأرسل البامرك شطرا الى البرلس ودميرة وطناح يجمع  
الرجال ، فانطلق شطرا يجند الجيوش ، فجاءوا من كل صوب ،  
وطلب يزيد من عمرو بن العاص مددا .

نفر الى أبى ثوب الحساكر ، فأخرجهم بظاهر تنيس ،  
وعداهم فى المراكب ، وأتوا نحو دمياط ، فألفوا جيش  
البامرك على أهبة القتال ، فوقف الجيشان وجها لوجه ،

وبرز شطا للنزال ، فقتل رجالا ، وجدل ابطالا ، ونشبت المعركة ، واستمرت رهيبة حتى خيم الظلام ، فتحاجز الجيشان ، وراح شطا يصلى الله ، ويدعووه فى حرارة وابتهال حتى مضى اكثر الليل قاضطجع ، فلما كان وقت الفلّس ، وقرب الصبح وتنفس ، استيقظ شطا وهو باكى العين ، فقال له أبوه :

— يا بنى ، ما الذى أبكاك ؟

— انى لك مفارق .

فبان القلق فى وجه البامرك ، وقال :

— اعود بالله يا بنى ، ما هذا الكلام ؟

— رأيت شيئا فى منامى .

— لعله أضغاث أحلام .

— لا والله ما هى أضغاث أحلام . انى رأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت ، وأضواء قد سطعت ولمعت ، ثم رأيت ملائكة سجدوا على جباههم لا يقومون ، وركعوا لا ينتصبون ، وقياموا من هيئة ربهم لا يتعدون ، باكين لا تحف لهم دموع ، ثم رأيت تبة من زمرد أخضر ، وفيها قناديل من الجواهر ، وهى تشع بالأنوار ، وتوقد من غير نار ، وفيها أربعون حوراء ، عليهن حلال ما رأيت قط مثلها ، ولا أبصرت شكلها ، بوجوه مشرقة باسمه ، تفتن من رآها . فصاحت بى لهداهن ، وقالت : يا مفتونا بدار الدنيا ، أما آن لك أن تذكرنا ان مهنا منك الجهاد .

وصبت شطا ، وشخص ببصره الى السماء كأنها يتطلع الى شئ ، وقال البامرك :

— أعلم يا ولدى أن المنام قد يصدق وقد يكذب ، فلا تشغل نفسك بما رايت .

— لا والله يا أبت ، ما بقى لى فى الدنيا طمع .

وصلى شطا فى اطمئنان ، وما طلع الصبح ولاح ، حتى تأهب للخروج الى الحرب ، فتعلق به أبوه دافع العين ، وقال له :

— يا بنى ، بحقى عليك لا تبلنى بفراقك .

— دع منك العتاب .

فضم الباهر ابنه اليه فى وله وقد سحت العيون :  
وخفقت القلوب فى الصدور ، أنه الفراق ، وهمس الباهر فى أذن ابنه فى صوت مخنوق بالبكاء :

— يا بنى ، ان صح منامك فاذكرنا عند ربك .

وبرز شطا للقتال كليث فى أكمة ، ودعا للبراز ، فخرج اليه واحد فقتله ، وثان وثالث حتى قتل اثنى عشر فارسا ، فلما رأى أبو ثوب ما فعل شطا بفارسانه لم يطق صبرا . فخرج اليه بنفسه ، وكان فارسا صنديدا ، ودار القتال بينهما رهيبا ، لا هوادة فيه ولا رحمة ، واستمر نصف نهار ، فمعطش شطا ، ولاح له فى السماء القبة التى رآها فى المنام ، والحوراء التى قالت له : يا مفتونا بدار الدنيا ، أن آن لك أن تذكرنا ، وفى يدها كأس ، وكأنها سمعها تهتف به :

— يا شطا هذا شراب من شرب منه لا يسقم ولا يفيق .

فتوقف عن القتال ، ورفع بصره الى السماء كالمشدوه ،

فعاجله أبو ثوب بطعنة في صدره ، فأطلع السنان من ظهره ،  
فخر صريعا .

رأى البامرك مقتل ابنه ، فأحس نارا تشوى كبده ، وحمل  
على الأعداء حملة منكرة ، تبعه رجاله وأقبل مدد عمرو بن  
العاص ، فانهزم جيش الأعداء ، وأخذ أبو ثوب أسيرا وأتى  
البامرك شطا فاذا به يبتسم ويتطلع الى السماء ، فطأطأ البامرك  
رأسه ودمعه ينهمر . . .





## هـ - أَرَوْتُ وَ مَارَوْتُ

- ١ -

اجتمعت ملائكة فى السماء تتهاشمس ، فطفقوا يتذاكرون ما وقع  
قبل أن يخلق الله آدم .

قال الله للملائكة :

— انى جاعل فى الارض خليفة .

فقال الملائكة :

— أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح  
بحمدك ونقدس لك ؟

قال لهم :

— انى أعلم ما لا تعلمون .

وها هى أعمال البشر تصعد الى السماء دكناء ممعنة  
فى الدكنة ، خبيثة كل الخبث ، محملة بالآثام والأوزار ،  
فقد ساد بين الناس اهراق الدماء والظلم والفسق والكذب  
والرياء ، وها هم خلفاء الله فى أرضه قد أشركوا بربهم ،  
فجعلوا يعبدون أصناما وأوثانا ، يمضون نهارهم فى لغو  
ولعب ، ويقضون ليلهم فى لهو وعبث ، يقبلون على الشهوات  
أقبالا ، ويلغون من الدنيايا ولوغا ، كأنما يتنافسون فى المعاصى ،  
ويتسابقون فى الخطايا .

وظل الملائكة يسخرون وأغرقوا فى السخرية ، وراحوا  
يعيرون بنى آدم بذنوبهم ، ينكرون عليهم فعالهم ، حتى قالوا :  
— هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الأرض واخترتهم فهم  
يعصونك !

فقال تعالى :  
— لو أنزلتكم الى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم ، لفعلتم  
مثل ما فعلوا .

فقالوا فى انكار :  
— سبحانك ربنا ما كُنْ ينبغي أن نعصيك .  
— اختاروا ملكين من خياركم .  
فاختاروا هاروت وماروت وكانا أورعهم وأكثرهم تقى .

## — ٢ —

أبواق موسيقية تنبعث منها أنغام شجية ، وقهقهات  
عالية مخمورة ، وضحكات نسوية ناعمة مثيرة ، وشبابات  
رائعات الحسن يبرزن فتنهن ، فالشعر الأصفر الأخاذ ،  
والشعر الكستنائى الجذاب ، والشعر الأسود السببط  
الطويل يتهدل على الأكتاف العارية العاجية ، يبرز محاسن  
الوجوه الحلوة التى زانتها عيون اذا نظرت سلبت ، واذا  
أسبلت سحرت ، عيون تبعث سهامها الى القلوب ، ثم  
تتكسر فى وهن يزيد النار التى تضطرم بين القلوب ضراما ،  
وأناس يغدون ويروحون يتقدمون خطوة ثم يتلفتون لفتنة  
أو يقفون لحظة ، فهم سى بابل مدينة الترف واللهو والجمال .

وانطلق فى طرقات المدينة الصاخبة شابان جميلان  
تذلقى قسمات وجهيهما بالرجولة والفتوة ، وتشمع عيونهما  
اشعاعات البراءة والظهر ، سارا مرفوعى الرأس ، وأخذت  
الأنغام الموسيقية تداعب آذانهما ، والأجساد النسوية اللينة  
المتئنية تمر أمام عيونهما ، فلا يحفلان بالموسيقى المشجية ،  
ولا بالأجسام المشوذة المغرية . كان جمالهما يأسر  
الأنفذة ويأخذ بالألباب ، فلو أنهما انطلقا فى مدينة أخرى لكانا  
مفتنة ، ولكنهما كانا فى بابل ، مدينة الفتنة والجمال والخمر  
والنساء .

انطلقا يعلوهما مهابة ووقار ، وظلا فى انطلاقيهما يضربان  
فى الطرقات على غير هدى . فأخذ نشاطهما يفتقر ، وتقصد  
العرق ، وبدا عليهما اعياء ، فالتقت أحدهما الى الآخر  
وقال :

— انى أشعر بضيق فى صدرى وارتخاء فى جسمى ودوار  
فى رأسى .

فقال الآخر :

— أحس وهنا فى ساقى ، وأشعر كائى سأنهار .

وكانا قد بلغا مكانا يكسوه العشب الأخضر الندى ، وقاهت  
فيه اشجار كثئت تنشر ظلها ، هنا وهناك ، فارتيا فى ظل  
شجرة ، وتمددا فى تراخ ، وجعلا يملآن صدريهما بالهواء فأحسا  
بعض الراحة ، ولكن استمر الوهن يسرى فيهما ، فقال أحدهما  
وقد وضع يده على بطنه :

— أحس ألما ها هنا .

— انه الجوع .

— أتكابد ما أكابد ؟

فهز الآخر رأسه وقد شخض بصره الى السماء ،  
وعبق المكان برائحة شواء ، وملأت خياشيمهما ، فهما من  
رقدتهما ، واجالا الطرف حولهما ، فلمحا أناسا قد جلسوا  
يشوون صيدا على قيد خطوات ، فهما بأن يهرعا اليهم ،  
ولكن زجرهما زاجر من نفسيهما ، انه الكبرياء ، فلبثا قليلا  
فى مكانهما ، وراح الجوع يععضهما ، ورائحة الشواء تداعبهما  
فتضنيهما ، فدحرت الكبرياء ، فتقدما على استحياء حتى  
وقفوا بالقرب من القوم ينظران ، وأحس الناس وقوفهما ،  
فدعوهما الى الطعام .

جلسا ياكلان حتى اذا امتلآ تطلعا الى القوم ، فرأيا  
رجالا ونساء ، وكان بين النساء امرأة باهرة الجمال ،  
حسنها قاهر ، كانت عيناها فى زرقة السماء ، وكانت  
ساختنين سخونة الشمس ، فما ينبعث شعاعها الى  
انسان حتى يسرى فى بدنه دفء ، وكانت بشرتها ناصعة  
البياض ، أنصع من سحابة . وكان شعرها كجدول من  
الذهب الرقراق ، أما الصدر فقد كان الفتنة والاغراء ،  
فراحا يختلسان النظر اليها ، فيخفق القلب ، ويتوه النكر ،  
ثم يثوبان الى نفسيهما ، فيغضان الطرف فى ندم وحياء ،  
فيهب وسواسهما يوسوس لهما أن يمتعا العين بالجمال الفتان ،  
يرفعان بصرهما اليها وقد تالقت العيون ببريق الرغبة ، ثم  
زجرهما زاجر من جوفهما ، فيشعران بشيء من الندم والخجل ،  
ولكن سرعان ما يذوب الخجل ، ويتبخر الندم ، فيتطلعان ثانية  
فى وله واشتهاء .

والتقت العيون أكثر من مرة ، فحفقت القلوب فى  
الصدور ، واثارت الدماء فى العروق ، واعترى الشابين تبدل

وارتباك ، وخشياً أن يفطن الناس الى ما اعترأها من  
تغير ، أو يبلغ مسامع القلوب خفقان القلوب ، فاستأذنا  
شاكرين ، ونهضاً وقد اسبلاً عيونها ، حتى لا تقع على  
الفتنة الجالسة أمامها ، وما أن ابتعدا خطوات حتى أحسا  
قوة عاتية خفية ترغهما على التلفت ، فالتفتا الى المرأة التى  
أشرق وجهها بابتسامة جذابة تسبى العقول ، فهفت  
نفسهما اليها ، ولو أطاعا قلوبهما لعادا ليتزودا من  
الحسن والجمال ، ولكنهما كبتا عواطفهما ، وانطلقا وفى القلب  
لوعة ، وفى الصدر نار .

سارا صامتين ، وظلا ساهمين ، لا ينطق أحدهما بكلمة ،  
فقد كان كل منهما يفكر فى ذلك الصراع الذى ينشب فى جوفه  
فى كل لحظة وفى كل آن ، والتفت أحدهما الى الآخر ، وقال  
فى جزع :

— ركبت نى نفس خبيثة تدفعنى دفعا الى ما تشتهييه  
ثم تنهانى بعد وقوع المحذور ، وتنهال على باللوم والتقريع ،  
فما أحببت هذه النفس !

— انها نفس من نفوس البشر .

— أتحمس ما أحس ؟

— أحسه وأقاسى منه .

— أخشى يا هاروت أن تذلى هذه النفس .

— لا تخش شيئا ، سنكبح جماحها ، وسندحرها وسنخلصها

من ذلك الحبث .

فقال هاروت فى حرارة :

— سندحرها ما فى ذلك شك .

— ٣ —

وبلغ هاروت وماروت مكانا هادئا بعيدا عن المدينة  
الصاخبة المأجنة ، كان كل ما فيه ينطق بعظمة الخالق :  
فأجلا بصرهما مأخوذين ، فأنزل الفضاء اللانهائى الولسع  
العريض بقلبيهما الخشوع ، وحلت رقعة السماء الصافية  
الزرقاء التى زينها قرص الشمس عقدة لسانيهما ، فسبحا  
لله فى حرارة ، وصفر الريح صفيرا خافتا ، فكان فى آذانهما  
كأهازيج السماء ، واستنمات احساساتهما الفوارة ، وشاع فيها  
طمأنينة وأمن ، وصفت نفساهما ، ورقنت مشاعرهما ، وهامت  
روحاهما سابحتين فى الكون ، فقد كانا فى هذه اللحظة أقرب  
لأهل السماء منهما الأهل الأرض .

وراحت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربى ، وأخذ توهجها  
يخفت ، وخبا بصرها حتى صارت قرصا من عقيق أحمر ،  
وجعلت تغوص فى الأفق البعيد وقد تغير لونها ، وعلتها  
صفرة الاحتضار ، وتأهب الكون للنوم ، ولكن هاروت وماروت  
كانا فى صلاتها غارقين ، وظلا فى تسبيحهما حتى نشر الظلام  
جناحيه ، فحجب كل شئ ، وهبت الرياح فى قوة ، فجعلت تصفر  
فى شدة ، وتزمر فى حدة ، فصار صوتها أشبه بصوت  
العويل ، فأحسا شمسورا غريبا ، أحسا وحشة تسرى فى  
صدريهما ، ورهبة تستولى على مشاعرهما ، فلم يحتملا البقاء  
فى ذلك المكان الهاجع ، فقد كان سكونه يخلع القلوب ، فنهضا

لينصرفا الى المدينة الصاخبة ، لعل الطمانينة تنزل بالقلب  
الواجف ، وما أن ابتعدا عن المكان قليلا حتى سكن روعهما ،  
وهدأت نفساهما ، فعجبا من تلك المشاعر المتضاربة السريعة  
القلب في صدر الانسان !

وراحا يضربان في الظلام ، واستمرا في سيرهما حتى  
عاودهما احساس سبق أن شعرا به ، فقال هاروت :

— أحس جوعا .

فقال ماروت في أسي :

— يا ويلتنا ، صرنا عبيد هذا البطن .

— وما العمل ؟

— ننطلق الى المدينة نبحث عن طعام .

— أنعيش عيالا على الناس ؟

— وما نعمل ؟

— نمارس عملا مما يمارسونه .

— أى عمل ؟

— والله لأدرى ؟

وأطرق هاروت يفكر ، فبان في وجهه الاهتمام ، فقال له  
ماروت :

— فلندع مقاليدنا لله .

ودخلا المدينة وحاما خلالها ، وقد نال منهما الجهد  
والجوع ، فأتيا أناسا يترنحون من السكر ، فرمقاهم  
شزرا ، ولاح في نظراتهما الاحتقار الشديد ، ولحسا جموعا  
تنطلق الى دار فاخرة فذهبا معهم ، واجتازا بعض ممر  
طويلة هائلة ، كل ما فيها ينطق بالفنى ، فوجدا نفسيهما في  
قاعة فسيحة هائلة ، قد مدت فيها موائد عامرة

بالأطعمة الشهية ، والفواكه المنوعة ، فأجالا بصرهما فى المكان ،  
فأريا سيدا يرتدى ثيابا مزركشة فاخرة ، يلوح عليه الهيبة  
والسلطان ، قد جلس عند رأس مائدة كبيرة ، واصطف حول  
الموائد رجال يلوح عليهم الثراء ، فظهر على هاروت وماروت  
الارتباك ، فأتارقا حياء وهما بالانسحاب ، ولكن السيد  
لحهما ، وحزر ما يعانيانه ، فأشار اليهما ، ودعاها الى  
الجلوس .

جلسا يتناولان طعامهما فى صمت ، وقدمت اليهما الخمر ،  
فاعتذرا ، فرمقهما فى دهش ، ولكن سرعان ما عاد القوم الى  
أحاديثهم ، فأسدل ستار على ذيك اللذين ترفعا عن احتساء  
ما قدم اليهما من شراب .

وفطن هاروت ومارت الى أن السيد الجالس عند  
رأس المائدة الكبيرة ، هو حاكم المدينة ، وصاحب الصولة  
والسلطان ، وأن الآخرين خواصه وندماؤه ومستشاروه .  
وتحدث الحاكم فأعاره الجميع سمعهم ، وتعلقت عيونهم  
به ، فراح يبسط نزاعا نشب بينه وبين أحد الموجودين ،  
وما ان انتهى من قوله ، حتى تاهب الجميع ليحكموا  
لصالح السلطان ، وما كان الحق فى جانبه ، ولكنهم اعتادوا  
أن يحكموا لصالح الأقوى ، ولكن الحاكم رنا الى هاروت وماروت  
وقال .

— أحب أن يحكم ضيفانا فى هذه القضية ، فشخصت  
اليهما الأبصار . كان القوم على يقين من أنهما سيحكمان لصالح  
رب الدار ، فهما فى بيته ، وعلى مائدته يطعمان ، ولكن هاروت  
وماروت وان ركبت فيهما غرائز البشر ، الا أنهما لم يتلفتا بعد  
النفاق والرياء ، فحكما بالحق ، وأدانا الحاكم المهيب رب الدار ،



فسرت همهمة وغممة ، وبان فى الوجوه العجب ، ثم انبست  
سيحات انكار ، وتطلع القوم الى الحاكم ، وترقبوا فى لهفة  
ما ينطق به ، وقال الحاكم فى هدوء :  
— قد وليتكما القضاء .

## — ٤ —

خصص لهاروت وماروت جناح فى القصر العظيم ، فدلغا  
اليه مغتربين ، فقد صار لهما عمل يعملانه ، ولن يكونا بعد  
الليلة عيالا على الناس ، وطفقا يصليان لله ، ولكنهما لم يحسا  
صفاء النفس الذى كانا يشعران به لما صليا أول مرة . كان  
فترهما يشرد ، فقد كانا يعرضان فى صلاتهما ما مر عليهما من  
أحداث ، وكان الزهو والغرور والخيلاء تزحف لتحتل الصدر  
النقى لتعكر صفاءه ، وتلوث نقاءه .

ودب التعب فيهما فاضطجعا ، وأحس ماروت بعينيه  
تسبلان برغمه ، ويسرى فى بدنه خدر ، ففتح عينيه فى قزع  
واستمسك قليلا ، ولكن سرعان ما انطبق جفناه ثانية ، فذهب  
مرعوبيا وقال فى رهبة :

— اكتب علينا الموت يا هاروت ؟

— لماذا ؟

— أحس قوة ترغمنى على اطباق عيني ، وأحس عدم قدرة  
على السيطرة على حواسي ..  
— أشعر بما تشعرون به .

— ما أبشع الموت . أنفنى ؟

— لا أظن .

وتشاعب ماروت وهوم فى جلسته ، ثم رقد وهو يتكلم فى  
نعاس ، أخذ صوته يخفت ، حتى صمت راح فى النوم ، فرمقه  
هاروت فى عجب ، فألفاه يتنفس فى هدوء وقد أسبل عينيه ،  
فأطمأن بعض الشيء وغمغم :

— لعله شعور جديد لا ندره .

وأسلم جفنيه للرقاد ، فراح فى سبات .

وتنفس الصبح ، فنظر هاروت الى رفيقه ، فألفى وجهه قد  
أشرق ودبت فيه الحياة ، فغمغم :

— ما الذ الرقاد بعد التعب والجهد !

فقال ماروت وهو يملأ صدره بالهواء :

— أحس كأنى خلقت من جديد .

وجلسا للناس يفصلا فى قضاياهم ، فرضى الناس ،  
وترادفت الأيام وكرت ، وتقضت هادئة لينة لا ينقصها شيء .  
فقد كانا اذا ما انتهيا من عملهما يعتكفان فى جناحهما ، يسبحان  
بحمد الله ويقدمان له ، ودعاهما الحاكم الى ولائمه مرات ،  
فكانا يشاركان فى الطعام ، أما اللهو والشراب فقد كانا يحرضان  
عنهما ، برغم أنهما يهفوان اليهما .

وفى يوم أقبلت الزهرة تعرض عليهما قضيتهما ، فما أن  
أهلت بطلعتها حتى خفق القلب ، وما أن التقت عيونهما  
بعينيها الزرقاوين ، حتى تدفق الدم حارا الى رأسيهما .  
انهما ليذكران ذلك الحسن الرائع ، وهاتين العينين الساخنتين  
الصفائيتين . وأسبلا عيونهما ، ونظرا من خلال

أهدابهما الى الشجر الذهبى ، والجسد العاجى ، والفتنة  
المشرقة ، فأحسا رعدة تسرى فى بدنهما ، وعجب كل منهما  
فى نفسه لذلك التبدل الطارئ ، فقد أرهفت حواسه وشعر  
بروحه تهفو اليها .

انهما قابلاها مرة واحدة قبل اليوم ، كان ذلك يوم هبطا  
الى الأرض ، وهذه هى المرة الثانية ، فما بالهما يتلفنان اليها ،  
وما بال القلب يخفق كل ذلك الخفقان ؟ !

وحسب كل منهما أنه وحده يعانى ما يعانى ، ويحس ما  
يحس ، فرنا كل منهما الى صاحبه ، ليستشف ما يخفى فى صدره ،  
فما التقت العيون حتى أيقن كل منهما أن صاحبه يكابد ما يكابد ،  
وأنه مسرح لاحساسات جبارة عاتية .

وأخذت الزهرة تقص قصتها فى نبرات حلوة ، كانت تدغدغ  
أذانهما ، فتمنيا أن تسترسل فى الكلام ، وجعل كل  
منهما يحاول أن يغض بصره ، ولكن قوة طاغية ترغبه على  
النظر .

وأتمت الزهرة قصتها وهاروت وماروت يعانيان ضغط  
الاحساسات التى ضاق بها الصدر ، وابتسمت ابتسامة زادت  
لهيب القلب ، وقالت فى دلال :

— هذه قضيتى عرضتها عليكم ، وفى انتظار حكمكما  
العادل .

فرفع ماروت رأسه وقال فى صوت متهدج :

— هذه قضية تحتاج الى درس ، فالى الغد . . .

فقال هاروت فى انشراح :

— هذا هو القول .

وقامت الزهرة ورمقتها بنظرة هزت كيانهما ، وانسلت كما  
ينسل الطيف ، وبقي هاروت وماروت فى صمتهما ، واخذت  
الاحساسات تتبخر ، حتى اذا انمحت وصفت النفس ، رفع  
هاروت راسه وقال فى عتاب :

— لماذا اجلت هذه القضية الى الغد ؟

— والله لا درى . نطلق لسانى دون ن يوجهه فكرى .

— اخشى يا ماروت ان تقهرنا هذه النفس .

— دع هذه الوسوس ، هذه تجربة بسيطة واختبار يسير

سنجتازه فى يسر .

فسمع هاروت صوتا ينبعث من جوفه كأنما يأتى من مكان  
سحيق يهمس فى ذهنه : يا ليت !

## — ٥ —

وتنفس الصبح وجلسا للناس وقد ارتسم فى وجهيهما قلق  
ووجوم ، ولبثا صامتين ، ثم قال ماروت :

— ما بك ؟

— ابنى مهموم .

— لماذا ؟

— رايت رؤيا امزعتنى .

فقال ماروت فى صوت خفيض :

— رايت الزهرة ولا ريب .

— وكيف عرفت ؟

— رايت ما رايت .

— يا وليتنا ، هل كنا .

— هلكنا . هذه الرؤيا نذير السماء .  
— لا تقنط ، ولنعمل جاهدين على ألا يحدث فى اليقظة ما قد  
جـرى فى المنام .  
— حاشا لله ما كنا فاسقين .  
— وما ينبغي أن نكون . .  
— وعلام عولت ؟  
— اذا أقبلت هذه المرأة فصلنا فى قضيتها ، وتركناها  
تنصرف .

— فى الحال .  
ودخلت الزهرة عليهما فى خفة الغزال وقد بدت زينتها ،  
فطغى جمالها الساحر ، فما ان وقع بصرهما عليها حتى  
اضطربا ، ولكنهما تجلدا ، وتحديثت وهما فى تكلفهما ،  
واصطناع الوقار ، ولكن ما دار الحديث بينهم حتى نسوا  
أنفسهم ، فاقترب هاروت منها ، فشعر بنشوة ، واخذ  
يدها بين يديه ، فغمره احساس لذيق اطمأن اليه ، ودنا  
ماروت منها ، ومس كتفه كتفها ، فخفق بدنه خفقات ،  
وسرى فيه خدر انشرح له صدره . ورفعت الكفة ،  
وضحكت الزهرة ضحكات نمت عن قلب خلى طروب ،  
ودكت حصونهما . ولحمت المرأة ذلك البريق الذى ولد فى  
عيونهما ، فنفسرت فى خفة ، وابتعدت فى دلال ، فقال  
هاروت :

— الى أين ؟  
— الى المعد ، هيا .  
— وماذا نفعل هناك ؟  
— نصلى للشمس .

— لا . لن يكون ذلك .

— اذن الى الغد .

— الى الغد .

وخرجت الزهرة وتركتهما لنفسيهما ، فهب ذلك الصوت الذى لا يرتفع مزمجرا الا بعد حلول البلاء ليعتب ويؤنب ، ويزجر ويخز النفس وخزات ، مقال هاروت فى التبايع :

— قطعنا فى المعصية شوطا ، فحل علينا العذاب .

— هون عليك ، فما هذه النزوات الا السكين التى تخضع شوكة الزهر ، ان هى الا حطب الایمان ، تزيد حرارتها ، وتؤجج ناره ، اننا نزداد خشوعا فى صلاتنا كلما هفونا هفوة ، لنكفر عن خطايانا .

— بالله دع عنك هذا ، اننا ننزل فى طريق الدنس .

— لا تجزع ، واذكر رحمة ربك ، فقد وسعت رحمة ربك كل شيء .

وتصرم النهار وهما فريسة للوساوس والافكار ، وانقضى شطر الليل وهما فى قلقهما واضطرابهما ، واخيرا مس النوم جفونهما ، فأراحهما من وخز الضمير وشبهات النفس وعذاب الفكر ، وتسلكت اشعة الشمس الى الحجرة ، فهما من نومهما وقد اشرقت نفوسهما ، فقد انجلت المشاعر عن صدريهما ، فعزما على ان يزجرا الزهرة اذا ما اقبلت وحاولت اغراءهما .

ودخلت عليهما ، فنسيا كل شيء الا ذلك الحسن ، وتضعضعت ارادتهما ، وانهارت مقاومتهما . وحلت عقدة اللسان ، فانساب الحديث عذبا شهيا ، وما ان انتهى حتى كان ثلاثتهم فى دار الزهرة .

وجاعت الزهرة بخمر ، وقدمتها الى الرجلين ، فرفضا

ان يمسها ، فأظهرت الاستياء ، فسأهها غضبها ، ولعبت الخمر برأسيهما ، فقاما الى الزهرة وقد التفت عيونهما ببريق الرغبة والاشتواء .

وسمع وقع أقدام فرغ هاروت وماروت رأسيهما فزع .  
وبان في عيونهما الغضب ، وظهر عليهما الارتباك ، فقد رأى الرجل ما يفترقان . لن يكتم الرجل ما رأى ، وسنصبح فضيحتهما على كل لسان ، فلن يستطيعا بعد اليوم أن يمشيا بين الناس مرفوعي الرأس ، وفي مثل لمح البصر خطرت لهاروت فكرة .  
انه يستطيع أن يقتل الفضيحة في صدر ذلك المتطفل الدخيل ، فوثب عليه ، وقبض على رقبته ، وأخذ يحاول أن يكتم أنفاسه ، وهرع ماروت يعاون رفيقه ، وما تركاه حتى كان جسدا بلا حياة .

وطارت الخمر من رأسيهما ، فأثنا الى نفسيهما ، فشمرا برعب شديد ، ونزل بهما هم ثليل ، فتد تلتخا في لحظة بكل الأوزار ، واقترفا ما يفترقه أحقر انسان . واحسا خزيا ، فطأتا رأسيهما ، وعزما على أن ينطلقا الى السماء ، ليكفرا عن خطاياهما ، ولكنهما أحسا بأرجلهما قد شددت الى الأرض ، فنسدت منهما صرخات فسزع ورعب ، فقد ضامبا بين الأرض والسماء .



## رابعة العدوية

— ١ —

أنين خافت ينبعث فى جوف الليل البهيم ، وظلام تكاثفت  
طبقاته وهدوء شامل لا يعكره الا ترديد الأنين ، كانت امرأة  
فقيرة وحيدة تقاسى آلام الوضع ، وما كان يؤنسها الا زوجها  
المهموم ، الذى قبع فى مكانه وقد غشيه قلق ووجوم ، وهتفت  
المرأة فى صوت خفيض :

— اسماعيل ، أوقد القنديل .

فقال الرجل فى نبرات تنم عن الأسف العميق :

— ليس فى الدار زيت .

— سل الجيران .

— لا أسأل أحدا ، لا أسأل الا الله .

وأطرق الرجل ، وزاد الأنين ، ثم وضعت المرأة طفلة ،  
ولولا الظلام لبان فى وجه اسماعيل الأسى والحزن العميق ،  
فله ثلاث بنات يقاسى ما يقاسى فى سبيل القيام بعبثهن ، فقد  
كان فى شظف من العيش شديد ، وبها هى ذى الرابعة جاءت  
الليلة لتزيد فى أعبائه وتقصم ظهره .

وهذات المرأة وضمت وليدتها اليها ، ثم أغفت ، فنام  
اسماعيل وهو حزين ، فرأى فيما يرى النائم رسول الله



ﷺ قد أقبل عليه يواسيه ويقول له : لا تحزن ، قد وهب الله لك أمة من عباده الصالحين ، فقام اسماعيل من نومه منشرح الصدر ، هادئ النفس ، وانطلق الى الوليد ، ونظر الى وجهها الصغير ، فتمحرك حناؤه الدفين ، فابتسم وغمغم :  
ايه يا رابعة .

## - ٢ -

خرج اسماعيل الى أسواق البصرة ، ليكدح في سبيل  
تحصيل قوت عياله ، وخرجت رابعة الى المسجد الكبير ،  
لتندس في الحلقات التي تعقد حول صحابة الرسول واكابر  
التابعين . كانت جارية صغيرة ، مرهفة الحس ، صافية الروح ،  
فكانت تشعر بخشوع ، اذا ما ذكرت قدرة الخالق ، وترتجف  
اذا ما ذكرت النار والعذاب والحساب .

وغابت الشمس ، وسجا الليل ، فقل الناس الى دورهم  
عائدين ، وعاد اسماعيل مكدودا يحمل بين يديه طعاما ،  
وجلس مبهور النفس ، يلتقط أنفاسا متتابعات ، ولما استراح  
جىء بالطعام الذي كدح طوال يومه ليحنيه ، ووضع على  
الأرض ، فتحلقوه وطفقوا يأكلون ، ولكن رابعة شردت بفكرها  
قليلًا ، ثم قالت :

— يا أبت لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه .

فرفع الرجل رأسه . وحدها ببصره ، وقال :

— أرايت ان لم نجد الا حراما ؟

فقالت في ايمان عميق :

— فنصبر فى الدنيا على الجوع ، خير من أن نصبر فى الآخرة على النار .

ودارت عجلة الزمن ، فطوت اسماعيل ، فحزنت رابعة لفقد أبيها ، وقد حل ذلك الحزن بنفس شفافة ، فجعلها تفكر فى الموت وما بعد الموت . وكانت ذكية الفؤاد تكثر من التأمل العلوى ، فراحته تبحث عن المعرفة فى كل ما تقع عليه عيناها .

وما كاد حزنها على أبيها يبلى حتى فجعت فى أمها ، فرسخ فى نفسها أن هذه الدنيا أن هى الا دار زوال ، أنها ممر الى مقر ، فالشقى من شغل بها عن أخراه ، فجعلت تبذل الجهد فى نظام جوارحها عن الشهوات .

ونزلت بالبصرة ضائقة ، وجاء القحط ، ففترقت أخواتها بحثا عن الطعام ، وشغل الناس بأقواتهم ، ولكنها لم تشغل شىء عن الله طرفة عين ، كانت تناجيه بالليل ، وتفكر فيه بالنهار ، حتى صارت لا تحس ثوابه الاجساسات التى يحسها الناس ، فقد ذابت نفسها فى الله .

وخرجت تتأمل الكون ، فما سنع لبصرها صورة الا عبرت الى المصور بصائرهما ، وانطلقت نشوى ، فقد أصبحت من تنسم روح الوصال سكرى ، واصبحت من ملاحظة سبحات الجلال حيرى ، وفيما هى فى هيامها ، لمحها رجل من تجار الرقيق ، فانتقض عليها وخطفها ، فوقعته فى ذل الأسر ، وراحت تحمل صنوف العذاب فى صبر ، ولم تجار بالشكوى فقد كانت فيها زراية لا تليق بها .



### — ٣ —

وخرج الرجل بها الى سوق الرقيق ، فباعها فى قبيلة  
بنى عدى بستة دراهم ، فأصبحت رابعة العدوية مولاة آل  
عتيك ، وكان سيدها جاف الطبع يسومها سوء العذاب  
لأنفسه الأسباب ، فما كانت تفكر فى ذلك الاضطهاد ، فقد  
كانت مشغولة بحبها : لقد ملئ قلبها عشقا لله حتى ناض .

وفى يوم بعثها سيدها لقضاء حاجة له ، فانطلقت  
تهرول فى ازقة البصرة ، ولحها احد المارة ، فاعجبه شبابها ،  
فمرها بنظرة منكرة ، فاضطربت وارتجفت ، وحاولت أن تزور  
عنه ، فزلت قدمها ، وسقطت على الأرض ، فانكسرت  
ذراعها ، ففشى عليها ، لشدة ما أصابها . وبقيت فى غيبوبتها  
لحظات ، ولما استردت صوابها رفعت رأسها خاشعة الى  
السما تناجى ربها : رباه قد انكسرت ذراعى ، وأنا أعانى الألم  
واليتيم ، وسوف أتحمل كل ذلك وأصبر عليه ، ولكن عذابا أشد  
من هذا العذاب يؤلم روحى ، ويفكك أوصال الصبر فى نفسى ،  
منشؤه ريب يدور فى خلدى ، وهل أنت راض عنى يا الهى ،  
هذا ما أتوق الى معرفته .

وأطرقت قليلا ، فغشيها أمن ، ثم نهضت مطمئنة .

وفى ليلة من الليالى أرق سيدها ، فاذا بصوت يرن فى  
أرجاء داره ، فخرج من غرفته يتلفت ويتلمس بمبعث الصوت ،  
وتادته أذناه الى غرفة رابعة ، فظهر فى وجهه العجب ،

ان مولاته تعبد ربها خاشعة ، وقد انهمل دمعها غزيرا ، فوقف  
يرقبها مشدوها ، وخيل اليه ان قنديلا من نور يتألق فوق رأسها ،  
فشعر برهبة ، وصك أذنيه قولها ، ربى انك تعلم أن أشد  
ما أتوق اليه هو عبادتك ، وتأدية ما لك من حقوق ، ولكنى  
أسيرة لا أملك حريتى ، فلا سبيل الى تحقيق هذه الغاية ،  
فلتعزنى با الهى ، فاشتد وجيب قلب الرجل ، وأحس وجلا  
يلفه ، فراح يفكر فى اطلاق سراح مولاته ، فما كان له أن يحبس  
صالحة وهبت نفسها لله .

وما انفلق عمود الصبح حتى بعث اليها ، فلما مثلت أمامه  
قال لها :

— انت حرة طليقة يا رابعة ، ولك الخيار فى ان تمكثى هنا  
او تذهبى الى حيث تشائين :

فخرجت رابعة من دار آل عتيك تستنشق عبير الحرية  
ثانية ، وكان قلبها مفعما بالفرح ، فقد صار وقتها كله فى يدها ،  
فلن يشغلها عن الحبيب بعد اليوم شاغل .

وانطلقت الى الصحراء حيث الصفاء والهدوء ، وهامت  
تناجى ربها ، ولكنها عادت واتخذت لها خلوة متواضعة  
تخلو فيها بالحبيب . ظلت طوال الليل تصلى ، حتى اذا  
ما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود هجعت فى مصلاتها  
هجمة خفيفة ، ثم هبت مذعورة وهى تقول : يا نفس كم  
تنامين ؟ ! والى كم تنامين ؟ ! يوشك أن تنامى نومة ٧  
تقومين منها الا لصرخة يوم النشور . وانهمرت دموعها ،  
وجرت على خدها ، فزفعت رأسها ، ونظرت الى السماء  
من خلل الدموع وهتفت : يا الهى ، أتحرق بالنار قلبا  
يحبك ؟ !

## - ٤ -

واشتهر أمر رابعة في البصرة ، فتطالت اليها الأعناق ،  
وقصدها كبار العلماء ، فوفد عليها حسن البصري التقي  
الشهير ، وشقيق البلخي الصوفي العظيم ، وسفيان الثوري  
المجتهد الكبير ، والملك دينار حاكم الكرج ، وكانوا لا يجدون  
غضاضة في أن يأخذوا عنها أمر دينهم ، فقد أخذ كبار الصحابة  
عن عائشة ثلثي الدين .

حمل الناس اليها هداياهم ، ولكنها كانت ترد عطايا الناس  
وهي تقول : ما لي بالدنيا حاجة .

وزارها أحد التجار يوما ، فوجدها تعيش في دار  
متواضعة تحتاج الى اصلاح وتعمير ، فعرض عليها أن  
يعطيها دارا من دوره حتى يتم الاصلاح ، وما زال بها حتى  
وافقت فانتقلت الى دار الرجل ، فوجدت جدرانها تزدهى  
بزيينات تأخذ بالألباب ، وزخارف تسبى العقول ، وسألت  
قدماءها في طنافس فاخيرة ، ولبست الحرير الهفاهف ،  
فراحت تنقل عينيها فيما حولها وهي حيرى والهة ، انها  
لم تر قبل اليوم مثل هذا النعيم ، فتأملت طويلا حتى  
شغلت به ، وسرعان ما عادت الى طبيعتها فأنكرت على نفسها  
ما هي فيه ، لقد شغلها العرض الزائل عن ذكر الحبيب .  
فانقبضت وأشاحت بوجهها عن التحف المتناثرة ، وخرجت من  
الدار ، فرارا من الفتنة التي كادت تستهويها .

ولحها الرجل وهى خارجة ، فهرع اليها وقال :  
— الى أين ؟  
— الى دارى .  
— انتظرى حتى يتم اصلاحها .  
— لن أعود ثانية الى هذه الدار ، ولو مكثت بها لأتلفت  
نفسى بهذه الأشياء الجميلة ، فيستهوينى لطفها ، فيحول دون  
ما أنا صائرة اليه ، من الأخذ بأسباب الآخرة .

— ٥ —

وانطلقت رابعة شاردة اللب تفكر فى الله ، وكانت زرية  
الحال ، فلقيها سفيان ! الثورى ، فقال لها : يا أم عمرو ، أرى  
حالا رثة ، فلو أتيت جارك يغير بعض ما أرى !  
فقاتلت له فى هدوء : والله انى لأستحي أن أسأل الدنيا من  
بملكها ، فكيف أسأل من لا يملكها .  
فأطرق سفيان ، ثم استأنف حديثه ، فتجاذبا أطرافه ،  
وفيما هو يتحدث قال : واحزنناه !  
فقاتلت فى حزم : لا تكذب بل قل : واقلة حزنى ! ولو كنت  
محزونا لم يتها لك أن تتنفس .  
فأربد وجهه ، ولكن سرعان ما عاد اليه هدوءه ، فقال  
لها : كيف إيمانك يا رابعة ؟ وكم هو مبلغ اعتقادك بالله  
تعالى ؟  
— لا أعبد ربى خوفا من ناره ، أو شوقا الى جنته ، ولكن  
أعبدته لحض المحبة والاخلاص .

ورفعت رأسها الى السماء ، وأخذت تناجي ربها ،  
 الهى احبك لوجهين : احبى وهيامى بك ، والآنك اهل للمحبة  
 والعبادة ، فباشتيأقى ومحبتى أذكر اسمك ، وأشغل بذاتك  
 العلية ، وبأهليتك للمحبة أنال من لدنك مرتبة المشاهدة ، فلا يقف  
 حمدك وثناؤك لأمر منهما ، وانما لك الشكر ، ومنك الفضل  
 للحالين .



وكان أبو سليمان الهاشمى واليا على البصرة ، وكان  
 يريد الزواج ، فبعث الى علماء البصرة يستشيرهم فى امرأة  
 يتزوجها ، فأجمعوا على رابعة ، فكتب اليها ، بسم الله  
 الرحمن الرحيم ، أما بعد فان ملكى من غلة الدنيا فى كل يوم  
 ثمانون ألف درهم ، ولبس يمضى الا القليل حتى أتمها مائة  
 ألف — ان شاء الله — وأنا أخطبك ، وقد بذلت لك من  
 الصداق مائة ألف ، وأنا مصير اليك بعد أمثالها فأجيبينى .

وبلغتها رسالة الوالى ، فلم تجد هوى فى نفسها ، انه  
 يعرض عليها الدنيا وما كانت الدنيا تهمةا ، فسراحت تكتب  
 اليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فان هذا الزهد  
 فى الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم  
 والحزن ، فاذا أتاك كتابى فهبىء زادك ، وقدم لمعادك ، وكن  
 وصى نفسك ، ولا تجعل وصيتك الى غيرك ، وصم دهرك  
 واجعل الموت فطرك ، فما يسرنى أن الله عز وجل خولنى  
 اضعاف ما خولك فشغلنى به عنه طرفة عين ، والسلام .



## - ٦ -

كانت رابعة صائمة : فخلت الى ربها تدعوه وتناجيه ، وغربت الشمس وهى على هذه الحال منقطعة الى العبادة ، وعادت الى نفسها فغمغت : الى متى تعذبين نفسك يا رابعة ، وتحملينها مثيقة ليس بعدها مثيقة ؟

وصك أذنيها طرق على الباب ، فذهبت فاذا برجل فى يده صحن من الطعام ، تركه ثم انصرف ، فتناولت الصحن ووضعتة فى زاوية من الغرفة وتشاغللت بإصلاح القنديل . فدخلت هرة فأكلت ما فى الصحن ، فلما عادت رابعة وجدت الصحن خاويا فقالت فى نفسها : لا بأس ، أفطر على الماء .

وذهبت لتعود بالماء فانطفأ القنديل ، فلم تطق احتمالا ، فقالت : اللهم لم هذا العذاب ؟

وأحسست ندما ، فأطرقت فى استحياء ، وسمعت صوتا آتيا من جوفها كأنها ينبعث من مكان بحقيق يقول : لو شئت يا رابعة وهبنا لك ما فى الدنيا ، ومحونا ما فى قلبك من نار العشق ، لأن قلبا مشغولا بحب الله لا يشغل بحب الدنيا .

أسفت رابعة أشد الأسف لما بدر منها ، فوطنت العزم على ألا تعود فتتمنى سعادة الدنيا .

واقبل الملك دينار ، فوجدها على حصيرة بالية ، وموضع الوسادة قطعة من الأجر ، وتشرب من اناء مكسور ، فقال لها :



— أعرف يا أم الخير أصحابا لى من ذوى اليسار ، فاسمحي لى أن اذهب اليهم ، اطلب اليهم معصونتهم فى أمر رغاهيتك وراحتك .

كان الملك دينار يريد أن يستأذنها فى أن يأتيها ببعض حاجات ، فهو يعلم أنها ترد ما يعطيها الناس ، ولكنها كمادتها لم تأذن له ، وقالت :

— ان الله رازق الاغنياء يهون على الفقراء أيضا حاجتهم ، فما علينا الا الصبر والقناعة .

## — V —

واقبل حسن البصرى ليزور رابعة كعادته ، فرأى على بابها تاجرا يبدو عليه التردد ، فسأله عن حاجته ، فقال الرجل :

— احضرت كيسا من الذهب لرابعة ، واننى مضطرب لا أدرى أتقبله أم ترفضه ؟ فادخل بالله وأنقذنى من هذا الاضطراب .

فدخل حسن وأخبرها خبر الرجل . فقالت :

— الا تعلم يا حسن أن الله يرزق عباده ، حتى الذين هم عنه لاهون ، فما بالك بمن يكن فى سويداء قلبه محبة يقف دونها الحصر لفاطر السموات عز وجل !

اننى يا حسن لم أتوجه الى غير الله منذ اليوم الذى أدركت فيه قدرته الالهية . كيف أستطيع قبول هدية هذا التاجر وأنا لا أعلم هل اكتسب ماله من حلال أو من حرام ؟ وماتت زوجة حسن البصرى ، فطلب رابعة للزواج ، فلم تقبل ، فجاء يكرر طلبه ، فقالت له :

- أتزوجك ان أجبتنى على ما يشغل خاطرى .  
— قولى ..  
— هل أموت وأنا على إيمان كامل ؟  
— علم ذلك عند ربى .  
— هل أنال صحيفتى بيدي اليمنى يوم الحساب ؟  
— فسكت قليلا ، ثم قال :  
— علم ذلك عند ربى .  
— مع أى فريق أكون يوم الحشر ، أمع الذاهبين الى الجنة أم مع الهالكين فى جهنم ؟  
— علم ذلك عند ربى .  
— وساد بينهما صمت ، ثم قالت :  
— فإذا كنت مشغولة اللب بأمثال هذه الأمور ، فكيف أبحدث عن الزواج ؟ !  
— فحدجها ببصره وقال :  
— اليس لك رغبة فى الزواج أبدا ؟  
— فقال فى هدوء :  
— انما يتزوج من يملك ارادة نفسه ، أما انا فليس لى ارادة ، ان انا الا عبدة المولى عز وجل .  
— وانصرف حسن البصرى ، وجن الليل ، ونام الكون ، فقامت رابعة البتول على سطح لها ، فنادت :  
— الا هدأت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خاوت بك يأيها المحبوب ، فاجعل خلوتى منك فى هذه الليلة عتقى من النار .



## أرض الله

انساب فى طرقات المدينة أشعث أغبر ، وقد طال  
شعره ، واسترسلت لحيته ، وبرقت عيناه ، وبان فى وجهه  
الهم الدفين ، وراح يندق صدره بقبضة يده ، ويصيح فى  
أسى عميق :

— واشقائى ، واعذابى ، حطمت سعدى بجهلى ، وعدت  
الى الشقاء بعد النعيم .

وراح الناس ينظرون اليه فى رثاء فقد كانوا يعرفونه .  
وكانوا يحبونه ، كان عاقلا رزينا ، فاذا بهم يصبحون ذات  
يوم ، فيجدونه ينطلق فى مسالك المدينة شارد اللب ، شاخص  
البصر ، يهمهم فى جنون .

وأصبحوا فى حيرة ، فهم لا يدرون ما حل به ، وراحوا  
يتهمسون عما جرى له ، ويقولون ان طول قتيامه ، وكثرة  
عبادته ، وقلة نومه ، اطاشت عقله ، وذهبت بلبه ، وجعلته  
فى ذهول ، أصبح مجذوبا يهذى ، يبعثر الكلام دون فكر  
أو تدبير .

وساء واحدا من أصحابه ما أصابه ، فعزم على أن يحدثه ،  
وعلى أن يلتمس منه أن يلزم داره ، حتى يريح أعصابه ، ويعود  
الصفاء الى ذهنه المكدود ، فلما لحه قادما يصرخ فى لوعة  
ووله ، ذهب اليه ، وقال له فى توسل :

- أرح نفسك .  
فقال نى يأس مرير :  
— دعنى فى شقتائى .  
فمد يده وجذبه فى رقعة ، وقال له :  
— تعال معى ، وهدىء من روعك .  
— هيهات أن يهدا روعى ، أنا الطريد ، أنا المعذب .  
يا لشقتائى .  
— ما هذا الذى تقول ؟  
— عدت الى الجحيم ، عدت الى البؤس المقيم ، وولت أيام  
الهناءة كحلم قصير .  
— ما هذا الجزع ؟  
— لو رايت ما رايت ، وطردت من النعيم كما طردت ، لكان  
جزعك أشد من جزعى .  
— وماذا رايت ؟  
— دنيا السعادة ، عشت فيها أرشف كئوس الهناءة ،  
حتى ارتكبت الخطيئة الكبرى ، فخرجت منها مذموما  
مدحورا .  
فهز الصديق رأسه فى حزن وقال :  
— آه .  
فقال الرجل :  
— بالله لا تسيء الظن بى ، فانى لم أجن بعد .  
— لا أستطيع أن أفهم ما تقول ؟  
— وكيف تفهم اذا كنت لم تر ما رايت ، لو أنك تركت دنياك  
هذه وانتقلت الى الدنيا السعيدة التى عشت فيها ، لما لمتنى  
على ما أنا فيه .

— وابن دنياك هذه ؟  
 — أتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طرف المدينة  
 الشرقى ؟  
 — أعرفه .  
 — أذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، ستجد بها نافذة ، انظر  
 منها تر عالما عجبا .  
 ورق صديقه ، فألفاه يرزوا اليه فى انكار ، لم يكن  
 يصدق ما يتوله ، فانطلق فى طريقه يدق صدره بقبضة يده  
 ويصيح :  
 — واشتائى ، واعذابى ! حطمت سعدى بجهلى ، وعدت  
 الى الشقاء بعد النعيم .  
 ووقف صديقه يرقبه حتى اختفى عن عينيه ، فعاد الى  
 داره مطرقا يلفه حزن عميق ، وخلا بنفسه وجمل  
 يفكر فى صديقه الذى أصابه مس من الجنون ، فانقبض وزاد  
 أساه ، واحتلت ذهنه صورته وقد اتسعت عيناه وهو  
 يقول : « أتعرف ذلك الجامع المهجور الكائن فى طرف المدينة  
 الشرقى ؟ أذهب اليه ، واصعد مؤذنته ، وستجد بها نافذة ، انظر  
 منها تر عالما عجيبا » .  
 وخطر له أن يذهب الى ذلك الجامع المهجور ، وسخر  
 من ذلك الخاطر . ولكنه ظل يلح عليه ويضايقه ، ويحتل  
 أقطار رأسه ، فلم ير بدا من أن ينهض وينطلق اليه  
 ليستريح من ذلك الخاطر المجنون ، سار كأن قوة خفية  
 تدفعه حتى اذا بلغ الجامع المنشود أحس شعورا غريبا يستولى  
 عليه ، وسرت فيه تلك المشاعر التى تسرى فيمن يكون مقبلا  
 على عمل خطير .  
 وعجب من تلك الاحساسات التى اكتنفته ، فتملك

نفسه ، واتجه الى المئذنة وراح يصعد فى درجها كدوامة ندور .  
حتى اذا خرج الى سطحها العلوى الذى يتحلقها . ولفح  
وجهه الهواء البارد أحس رأسه يدور ، وتلفت بعيون زائفة ،  
فرأى شبكا فى الجدار ، فحقق قلبه واضطرب ، فما كان فى  
جدران المآذن شبابيك .

واتجه اليه ، وأطل منه ، فبان فى وجهه الدهش ، وكادت  
المفاجأة تذهله عما حوله ، وأحس قواه تخور ، ولكنه  
أمسك بالنافذة ، وظل ينظر وهو مأخوذ . رأى دنيا واسعة  
عجيبة يتألق فيها نور هادى لطيف ، وقد امتدت الدور  
الأنيقة على نهر رقراق ، يحيط بها حدائق زاهرة بهيجة تسر  
العيون ، وتأخذ بالآليات ، ورأى فى ناحية من المدينة سوقا  
نسقت تنسيقا بديعا ، امتلأت حوانيتها بالخيرات ، وأناسا  
يفدون ويروحون فى طرقاتها ، يلوح عليهم الدعة والاطمئنان ،  
وتعرف فى وجوههم نضرة النعيم ، فهفت نفسه الى ذلك العالم  
الفاتن الجذاب .

ورفع رأسه ، فرأى حبلا قريبا يتدلى فى الهواء ، فخطر له  
أن يستعين به على الهبوط ليجوس خلال تلك الديار ، فتسلق  
النافذة ، ومد يده وأمسك بالحبل ثم راح يتدلى فى حذر ،  
وما هى الا دقائق حتى التى نفسه يسعى فى المدينة ويتلفت  
فى دهش وأعجاب .

كان الجميع منهمكين فى أعمالهم ، فراح يتفرس فيهم ،  
فراعه ذلك الصفاء الرائع المتألق فى عيونهم ، ومسحة  
الطمانينة التى تكسو وجوههم ، وذلك البشر المترقق فى  
مدياهم ، ولاحوا لعينه كأطياف شفافة نقية ، لا يشدها الى  
الأرض خبائث النفوس .

وانطلق كالمأخوذ ، وقد أدهشته تلك السكينة النازلة بالقلوب ، وحيره أمر القوم ، فلم يجد لذلك النقاء من تأويل . ورأى اثنين يتناجيان ، فاسترق السمع ، فزادت دهشته ، وزاد عجبه ، كان حديثا لطيفا ، كله ود وإخاء ، لا لئو فيه ولا تأنيب . قلوب فطرت على الوداد ، وصدور نقية أنقى من البلور ..

وبلغ السوق فراح يتلفت في دھول ، كانت البضائع منمقة تنميقا بديعا ، يأخذ بالألباب ، وكانت في أماكن مفتوحة لا نوافذ فيها ولا أبواب ، وشعر بالجوع ، فذهب إلى مخبز ، ومد يده في جيبه ، فلم يجد معه نقودا ، فهم أن يدور على عقبيه ، وأن يعود من حيث جاء ، ولكن رجلا اقتبل على الخباز وقال له :

— أعطني رغيفين على بركة الله .

فناول الخباز الرغيفين بوجه سمح كريم وقال له :

— خذهما على بركة الله .

فاتسعت حدقتا الوافد الغريب ، وبانت في وجهه الحيرة والعجب ، لم يفهم مما جرى أمامه شيئا ، وخطر له أن ينطلق وراء ذلك الرجل الذي أخذ الرغيفين ، ليرى ما يكون ، ففسار خلفه حتى إذا بلغ سماكا ، وقف على قرب منه ، وأرهف سمعه ، فسمعه يقول :

— أعطني سماكا على بركة الله .

فناول السماك ما طلب مشرق الوجه ، ففغر الغريب فاه من الدهشة ، وخطر له أن يفعل ما فعله ذلك الرجل ، فعاد إلى المخبز ، واجف القلب ، يحس رهبة وقلقا ، وقال

فى نبرات خافتة ، كأنها آتية من أغوار بئر عميقة :

— أعطنى رغيفا على بركة الله .

فناوله الرجل الرغيف ، والابتسامة الحلوة ترف على شفثيه ،  
فأخذه وسار ، وهو حائر لا يدري شيئا ، ثم اتجه الى جزار ،  
وقال له :

— أعطنى رطل لحم على بركة الله .

فأعطاه ما طلب ، فذهب الى فرن قريب وقال :

— اشو لى هذا على بركة الله .

وجلس ينتظر ، وحاول أن يفكر فيما رأى ، ولكن الجوع  
استبد به ، وعطل تفكيره ، فجعل يرنو الى ما حوله وهو  
فى شبه غيبوبة ، لا يدري أنائم هو أم يقظان ! وقدم اليه  
الفران اللحم المشوى ، فأخذه شاكرا ، وذهب الى حديقة وارفة  
الظلال ، تطل على نهر المدينة الصافى الذى ينساب فى وقار ،  
وقعد يلتهم طعامه . حتى اذا سكت صراخ بطنه ، جعل يتلفت  
حواله فى عجب ، لم يكن فى الحديقة البديعة غيره على الرغم  
من جمال الجو وروعة المناظر الخلابة ، وأعمل فكره ، ليعرف  
لذلك سببا ، ولكنه لم يهتد الى شيء .

وتمدد على الخضرة وشخص الى السماء ، وراح يفكر  
فيما مر عليه ، فتكشف لعينيه بعض ما كان مطلقا عليه ، اهتدى  
الى أنه هبط الى مدينة سعيدة ، لا تعرف النقود ، ولا المصارف ،  
ولا الصكوك ، ولا الديون ، ولا الهموم ، فعاش أهلها سعداء ،  
لا يتعاملون الا ببركة الله .



وظل في رقدته ، واسترسل في تفكيره ، فأحس رغبة في العودة الى المدينة السعيدة لينعم بها فيها من عجائب وأسرار ، فنهض وغادر الحديقة الفتانة ، وراح يضرب في مسالك المدينة ، وقد نزلت بقلبه سكونة وأمن . وانساب صوت المؤذن عذبا حنونا ، يهز المشاعر ويعبث بالقلوب ، يؤذن بالعصر ، فغادر الناس المتاجر والأعمال ، وأقبلوا على المسجد الكبير خاشعين ، يلوح في وجوههم الإيمان العميق . تركوا البضائع والعروض في أماكنها المفتوحة ، دون أن يفلتوا دونها الأبواب ، فما كانت تجارتهم ؟ انها أموال الله ، تركوها في حراسة الله .

واقترت الطرقات من الناس ، ولم يبق بها غيره ، ففسر الى المسجد الكبير ، وراح يصلي العصر في اطمئنان غريب ، كان كل ما حوله يخضع القلوب ، ويثد وساوس الصدور ، ولأول مرة في حياته يحس أن روحه صفت ، وانها حلقت وهامت ، حتى اتصلت بملكوت السماء ، وامتلأت بالنور .

وقضيت الصلاة ، فارتفعت الأصوات تسبح بحمد الله الرازق الوهاب ، ثم نهض الناس ، وراحوا يغادرون المسجد الى دورهم ، أو الى الحدائق الممتدة على شاطئ النهر الصافي ، الذي استمد صفاءه من صفاء النفوس ، كانت صلاة العصر ايذانا بانتهاء ساعات العمل ، وابتداء ساعات الدعة والهدوء .

وخرج من المسجد ، فألقى فتيات رائعات الحسن في ثياب بيض ، تحلين بأساور من الفل ، وقلائد من الورد .

كانت فتنتهن تبهر الأبصار ، وتجعل القلوب تخفق فى الصدور ،  
 فنظر اليهن فى ذهول ، فألقى كلا منهن تحمل ابريقا من بلور ،  
 به ماء زلال سائغ للشاربين ، فأحس رغبة فى الشرب ، فاتجه  
 الى غتاة كأنها من الحور العين ، يشع من عينيها بريق  
 نائن ، اخترق صدره ، ونزل بسويداء قلبه ، فرنا اليها فى  
 اعجاب ، فغضت من بصرها فى حياء ، فمد يده وتناول الابريق ،  
 فاحمرت وجنتاها ، وهزها السرور ، وشرب منه وأعاده اليها  
 شاكرا ، ودار على عقبه لينصرف ، فاقترب منه رجل ، وهمس  
 فى رقة :

— لعلك غريب ؟

— نعم .

— انها أصبحت زوجك ؟

فاتسعت حدقتاه ، وقال فى دهش :

— زوجى ؟ !

— أجل زوجك ، انهن فتيات حان اوان زواجهن ، يحملن  
 ابريق السعادة على باب الله ، فى انتظار الزوج السعيد ،  
 فمن يشرب من يد احدهن كان ذلك اختيارا لها وقبولا منه ،  
 لتصبح زوجته .

فقال فى صوت خافت :

— وما مهرها ؟

— حسن معاشرتها ، خذها على بركة الله .

فلفته سعادة عارمة ، وسرت فى صدره نشوة ، ومد  
 يده ووضعها فى يدها ، وسار وهو مسرور ، لا يدرى أعلى  
 الأرض يمشى أم فى السماء يطير . انطلقا الى شاطئ النهر .

وراحا ينعمان بمشاهدة الغروب ، وفى صدريهما نشوة ، وفى  
قلبيهما حب .

وجاء الليل ، وأرعى ستائره السود ، فتحرك حبه ،  
وطغى وجده ، فلف ذراعه حولها ، وضمها اليه ، وراح  
بلثها فى جنون . وتصرم الوقت وهو لا بدري ما يفعل . ولا الى  
أين يتوجه ، فالتفت اليها وقال :  
— الى أين نذهب انبيت ليلتنا ؟  
— تعال .

وسارت وسار الى جوارها ، حتى بلغا دورا تحيط بهما  
حدائق زهراء ، ينبعث منها ضوء شاعرى خافت ، يحرك المشاعر  
فى الصدور . ووقفا أمام دار جميلة ، والتفتت اليه ، وقالت وقد  
أشرق وجهها بابتسامة عذبة :  
— هذه دارنا .  
— دارنا ؟

— أجل ، كل هذه الدور أعدت للمتزوجين .  
وتقدما حتى اذا ما اتقربا من باب الدار ، سمعا صوتا عذبا  
يهمس :  
— ادخلا على بركة الله .

فالتفتا ، فالفيا رجلا يبتسم لهما ابتسامة حلوة ، كادت تنير  
لهما الطريق .

ودخلا الدار ، فاذا فيها ما يحتاج اليه الزوجان من متاع .  
فعمدا يتناجيان ويتعانقان ، فغمرته السعادة ، وأحس احساس  
النائم الغارق فى حلم لذيق .  
وانقضت الليلة كأحلى ما تكون ليلة ، واشرقت الشمس .

وطلع النهار ، وهو راقد فى سريرده نشوان ،  
فدنت منه ، فجذبها اليه فى حنان ، فدفعنه فى رقة ،  
وقالت :

— هيا ، انهض .

— لماذا ؟

— لتذهب الى عملك ،

— لن أخرج اليوم .

— بل لابد ان تخرج .

— له ؟

— على من يعيش فى أرض الله أن يعمل .

— لن يضير المدينة السميدة شيئا لو لم أعمل اليوم .

— لو أن كل انسان قال ما تقول لتقوضت مدينتنا ، ولا ندك

صرح هنائنا .

— يوم واحد الى جوارك ، ثم اذهب الى العمل .

— لا . على من يعيش فى أرض الله أن يعمل من الصباح

حتى العصر ، فى تقديم خيرات الله ، الى عباد الله ، ثم يتمتع  
بعد ذاك بما يشاء .

— ماذا أعمل ؟

— أى شئ يعود على الجماعة بالخير ، ازرع الأرض

... احصد الحب .. انسج الثياب .. اصنع ما تشاء

لتكن الناس من أن يأكلوا من رزق ربهم ، وأن يعيشوا فى سعادة  
وأمان .

وترك فراشه وخرج ، وفيما هو فى طريقه ، راح يفكر

فما يفعله ، تذكر أنه كان تاجرا ماهرا يبيع الناس أشياء

بأبسط الأثمان ، ليحنى الأرباح ، ويكدس الأموال ، ولكن

هنا لا بيع ولا شراء ، ولا أموال ، ولا أطماع . الكل يعتمدون على الله ، ويعيشون على بركة الله . وتذكر أنه كلما مر على صانع الزجاج أشتهى أن ينفخ الزجاج مثله ، وإن يصنع الأواني والقوارير والأكواب ، فعزم على أن يعمل زجاجا . واستمر في سيره ، ووقعت عيناه على قطعة كبيرة من الذهب ملقاة في الطريق ، فحفر قلبه ، واتجه إليها وفي قلبه غبطة ، وتناولها هيمن ، ولكن لم يطل سعيه ، فقد تذكر أن لا قيمة للذهب في أرض الله ، فالتقى بها بعيدا دون اكتراث ، كما يلقي المارة بحجر يصادفونه في عرض الطريق .

ومرت الأيام ، فصفت نفسه ، وثفت روحه ، وانشرح صدره ، ولكن لم يبلغ ما بلغه أهل المدينة السعيدة من إيمان عميق . واعتاد أن يبعث إلى زوجته زاد يومها عقب خروجه إلى عمله ، وما كان يبعث لها إلا ما يكفيهما ، وفي يوم من الأيام بينما كان عائدا إلى داره ، رأى سمكا طيبا فاشتتهه نفسه ، فطلب من السمك أن يعطيه بعضا منه على بركة الله ، فأعطاه ما طلب .

ودخل على زوجته ، ودفع السمك إليها ، فقالت له في انكار :

— ما هذا ؟

— سمك طيب .

— ولماذا أحضرته ؟

— اشتتهه نفسي .

- ولكن عندنا قوت يومنا ، فما نفعل به ؟  
— نبقية الى الغد .  
فاربذ وجهها ، وبان فيه الفزع ، وصاحت فى لوعة :  
— الغد ؟ ! يا لحظى العائر ، انتهت أيام هنائى .  
— ماذا تقولين ؟  
— لقد جئت امر ادا .  
— ماذا فعلت ؟  
— فكرت فى الغد ، واختزنت طيبات الله ، ولا يكون المؤمن  
مؤمنا حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده .  
— أكفر عن ذنبى .  
— هيهات . . ان معصيتك زلزلت جنبات مدينتنا السعيدة ،  
أغضبت الخالق الذى نعتمد عليه ، لقد جرح تفكيرك فى الغد  
إيماننا العميق بالله ، واتكالنا عليه .  
ودنا منها مضطربا ، وقال فى صوت كتحيح الأفعى :  
— وماذا افعل ؟  
— لا تستطيع أن تفعل شيئا ، انتهى كل شيء ، وقعت فى  
الخطيئة الكبرى ، وحق عليك العذاب المهيمن .  
— اى عذاب ؟  
— العذاب الذى كنت فيه ، ستخرج من أرض الله مذموما  
مدحورا .  
فغطى وجهه براحتيه ، وراح يصيح فى جزع شديد :  
— ويل لى . . ويل لى !  
وأحس رأسه يدور ، وشعر بالأرض تميد تحت قدميه ،

ويدوامة من الريح تصفر فى أذنيه ، وظل فى شبه غيبوبة ،  
 حتى اذا أفاق الى نفسه رفع راحتيه عن وجهه ، فوجد  
 نفسه فوق مئذنة الجامع المهجور ، وفى صدره حيرة وقلق ،  
 وتذكر ما جرى له كما يتذكر حلما أفاق منه ، فهرع الى  
 نافذة المئذنة ، التى تطل على المدينة العجيبة ، ولكنه لم  
 يجد نافذة ، كانت المئذنة صماء كجميع المآذن ، فراح يلف  
 حولها يبحث وينقب فى جنون ، ثم نزل فى الدرج يصرخ  
 ويصيح ، حتى اذا بلغ أول الطريق ، اندفع الى المدينة ، يبكى  
 وينتحب ، ويدق صدره فى جزع شديد ، حزنا على الفردوس  
 المفقود .



## وادی الأرزاق

أطرق يفكر مهموما ، فعلا وجهه عبوس ، وسرى فى صدره تبرم وضيق ، انه استورد بضاعة كان يطمع فى أن يجنى من ورائها أرباحا وفيرة ، فلما باعها لم يكن ربحه يتفق وما كان يحلم به ، وزاد فى ضيقه أن هذه ليست أول مرة تتقوض فيها آماله ، ويخيب تقديره ، أخفق مرات فى أن يحقق الأرباح التى كانت تتراءى له فى خياله قبل أن يقدم على صفقاته .

ولج فى التفكير ، فرأى رفقاءه الذين ربحوا أموالا كثيرة وما كانوا أكثر منه خبرة ، أو ألم منه بأسرار السوق ، فربما حزنه ، وزاد ألمه ، وأحس طعم الصاب فى فيه ، ودخلت عليه أمه وكانت عجوزا نالت منها السنون ، وجلست إليه ، فافكرت منه عبوسه ، وحزرت سبب حزنه ، فقد كانت تعلم سبب تعبومه وضيقه ، فأحست بدا ثوية تهصر قلبها ، وقالت له توابعيه ، فى صوت خافت حنون :

— روح عن نفسك يا بنى ، لا طائل من استسلامك لأفكارك ، فلن تجنى الا الهموم .

فرفع وجهه العبوس وغمغم :

— ما أمر الفشل !

فقالت أمه فى إيمان :



— بعد الضيق الفرج ، واننا والله الحمد فى سعة .  
فقال فى حق :  
— لست أدرى لماذا أفضّل أنا وينجح من دونى ؟ لا .  
— أرزاق .  
فقال فى ثورة :  
— أية أرزاق ؟  
— أرزاق تهبط من السماء يا بنى .

وهم بأن ينفجر فى ثورته ، ولكنه كبج جماح نفسه ، ونظر  
الى العجوز المؤمنة من بين أهدابه ، ورفعت على شفّيته ابتسامة  
سخرية ، فما كان من المؤمنين بالأرزاق التى تنزل من السماء .  
ولاذ بالصمت العميق .



وفكر ، وأمعن فى التفكير ، حتى اذا ما خيل اليه أنه  
اهتدى الى الخطأ الذى يضيع بسببه ما يرجوه من أرباح ،  
اتخذ كل ما فى مقدوره لعلاج ذلك الخطأ ، ثم أقدم على صفقة  
جديدة ، وقد تجددت ثقته فى أنه فى هذه المرة سيحقق ما يرتجيه  
من أرباح .

ومرت الأيام والأمل يداعبه ، والأرباح الوفيرة تتراءى له ،  
حتى اذا تمت الصفقة ، عاد اليه عبوسة ، فقد انتهت على  
غير ما يشتهى ، ولم يحقق ما كان يرجوه من مكاسب ، وانزوى  
فى غرفته مطأطئ الرأس مهموما ، وأقبلت عليه أمه العجوز  
تخفف عنه وتواسيه ، وراحت تقول :  
— لا يجنى الانسان الا ما كتب له .

- فقال فى مرارة :
- اكتب على أن أجد الأشقى ؟
- أى شقاء ؟ أننا فى سعادة ، ادع الله أن يديمها علينا .
- لعلك تحسبين هذه الخيبة المتلاحقة سعادة !
- أننا بخير يا بنى ، أرح نفسك التى تضنيها بالباطل .
- ومن أين الراحة إذا كان الاخفاق حليفنا !
- من أنفسنا . لو أنك رضت نفسك على الرضا لعشت هائئنا سعيدا .
- كيف أرضى وأنا أرى من هم دونى ينالون ما ييغون ، وأنا أشقى باجتهادى ؟
- قسمة .
- أصبح رفئائى يملكون الدور والقصور ، والشركات والمنشآت ، وأنا لم أحقق حلما واحدا من أحلامى .
- أرزاق .
- فقال فى ثورة ساخرة :
- لعلك تقصدين أرزاقا تهبط من السماء !
- فقالت فى ايمان :
- أجل يا بنى ، أرزاق تهبط من السماء ، لو رضيت بما قسم لك كنت أغنى الناس .
- بل أشقى الناس ، هذه القناعة التى تبذرونها فى نفوسنا هى بلوانا ، أنها تورثنا الخنوع والاستسلام .
- أنها البلسم الشائى ، الدرع الواقية التى تقابل بها القدر الجبار .
- درع صنعت من أوهام ، لو أعرت نصيحتك أذنا

مصغية لثمت فى فراشى ، ورحت أرقب رزقى المنهر من  
السما .

— لا يا بنى ، ما قلت لك أشعد عن طلب الرزق .

— فماذا تقولين اذن ؟

— اعمل ، ورض نفسك على أن تجد السعادة فى  
عملك ، وعلى الرضا بما تجرى به الأقدار ، فلست بقادر على  
تغيير ما كان ؛

فقال فى استكبار :

— انى قادر على ما أريد .

— كل ما تقدر عليه هو الاسترسال فى التفكير ، والاسراف  
فى الحزن .

— انى قادر على أن اصنع نفسى بيدى .

— هيهات ، اجمع هواهيك ، واحشد ثواك ، وافعل كل ما فى  
طاقتك لتغيير ما كان .

— سأغير ما سيكون ، سأخلق مستقبلى بعزى ، وأصنعه  
كيف أشاء .

— والله لن تجنى الا ما وعدت به فى السماء .

فقال فى تبرم :

— ولن أومن بهذا حتى أعرج الى السماء لأرى منبع  
الأزاق .



ودخل فراشه ، وأسلم جنبه للرقاد ، وأسبل عينيه ،  
ولكن النوم جافاه ، كان ذهنه يفكر فيما جرى بينه وبين أمه  
من حوار ، وفكر فى الأرزاق التى تهبط من السماء ، فارتسمت  
على شفتيه ابتسامة هازئة ، وإن حسد فى قرارة نفسه أمه  
على إيمانها الذى يمدّها بالراحة والأطمئنان ، وظل فريسة لأفكاره ،  
حتى غلبه النوم فنام .

راح فى سبات ، فرأى نفسه فيما يرى النائم يسير فى  
السماء ، بتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، وإذا بملك كريم  
لاح لعينيه ، وقال فى رفة :

— عم تبحث هنا ؟

— عن رزقى .

فأشار الملك بأصبعه بعيدا وقال :

— هناك فى وادى الأرزاق .

فانطلق يهرول ، ثم أخذ يمدو حتى أشرف على واد هائل ،  
لا يبلغ البصر مداه ، نفجرت فيه الأرزاق كينابيع الماء ،  
وكانت الينابيع تتفاوت فى قوة اندفاعها ، فبينما بعضها ينبثق  
فى غزارة ، إذا بعضها الآخر تسيل منه الأرزاق كـرداذ  
الماء .

ووقف ينظر خافق القلب ، مكروب الأنفاس ، وقد لاح  
فى وجهه الدهش ، وبقي فى مكانه لا يربم قلقا مضطربا ، حتى  
إذا هدا روعه ، انحدر كالعاصفة الى وادى الأرزاق ، وقد  
أرهفت منه الحواس ، وجعل يجوس خلال الينابيع المتفجرة ،  
بنقبة عن رزقه فى جنون .

جعل يعدو هنا وهناك ، يبحث وينقب ، وقد علاه البهر .  
واخيرا وقف أمام ينبوع أوحى اليه أنه رزقه ، فنظر اليه فى تبرم  
وضيق ، كان الرزق يتدفق منه فى اعتدال ، فما كان كالأرزاق  
المنبثقة فى قوة وغزارة ، وما كان كالأرزاق الواهنة التى تسيل  
قطرات .

ومد بصره الى ينباع الفوارة ، وظل يديم النظر اليها .  
ولم يعر ينباع الضحلة أدنى التفات ، فأحسن كأن عقدة عقدت  
فى صدره فضيقته ، وأبخرة الحسد تنتشر فى جوفه فتضطيه ،  
فراح صدره يرتفع وينخفض فى حلق شديد .

وتمنى أن يجد فى هذا السوادى الهائل العجيب قدسوما  
ومسمارا يوسع بهما الثقب الذى يتدفق منه رزقه . وما  
ان خطرت هذه الأمنية على باله ، حتى ألقى القدوم والمسمار  
بين يديه ، فأتلج صدره ، وهرع الى رزقه نثوان ، فما  
هى الا دقائق حتى يتفجر رزقه تفجرا يفوق كل ما فى وادى  
الأرزاق .

ووضع المسمار فى ثقب ينبوع ، ثم طفق يدق عليه  
بالقدوم فى قوة وعزم ، وتقصد منه العرق ، ونال منه  
التعب ، ولكنه لم يلتفت الى تعبته ، فما هى الا دقائق  
أخرى حتى ينتهى كل شئ . واستجمع قواه ، ودق على  
المسمار دقة هائلة ، فكسر المسمار فى الثقب ، فجعل يحاول  
جاءها أن يخرج المسمار المكسور وهو مرعوب ، وأخفقت  
محاولاته ، فأحس خوفا شديدا ، وثلقا يلفه ، ورهبة تستولى  
عليه ، فقد حبس رزقه بيده ، ولم يعد له ينبوع فى وادى الأرزاق ،  
وخطر له أن الرزق لا ينحبس الا اذا مات صاحبه ، فأقنع نفسه  
أنه قد مات .

وهب من نومه مذعورا ، وقد سرت في بدنه رعسة :  
 ودب الرعب في جسمه دبب النمل ، وجلس في فراشه يرتجف  
 من الخوف ، يحس جفائفا في حلقه ، وراح يمرر يده على  
 وجهه ، ثم يتحسس جسمه ، ليقنع نفسه أنه ما زال حيا يرزق ،  
 وأخذت رهبته تنقشع رويدا رويدا ، حتى اذا ما اطمأن قليلا ،  
 راح يفكر في حلمه ، فعادت اليه رهبته ، وفكر فيما يفعله  
 لو حبس رزقه عنه ، فربا خوفه ، وزاد اضطرابه ، ونهض من  
 فراشه يجوس خلال داره ليهدئ قلبه النائر المرموب .

راح يتلفت حوله فرأى بديع الرياش الذي أثث به داره ،  
 ولح مقعدا وثيرا ، فأتجه اليه ، وغاص فيه ، وراح خوفه ينقشع ،  
 حتى اذا هدأت نفسه ، وزال خوفه ، فكر في أمره ، فشعر لأول  
 مرة بأنه سعيد ، وأنه في نعيم .



خطيئة ودم	٥
ابن الذبيح	٢٥
موسى	٤٩
داود	٩٣
سليمان وبلقيس	١٣٤
استر	١٤٦
سسالومى	١٧٨
نداء من السماء	١٩٥
هاروت وماروت	٢٠٧
رابعة العدوية	٢٢٢
ارض الله	٢٣٣
وادى الارزاق	٢٤٦



## مؤلفات

عبد الحميد جوده السخار

—٠٠٤٣٤٣٠٠—

الطبعة الاولى

١٩٤٣	مايو	سنة	قصة	احمسن بطل الاستقلال
١٩٤٣	يوليو	سنة		ابو ذر الففارى
١٩٤٤	مايو	سنة		بلال مؤذن الرسول
١٩٤٤	ديسمبر	سنة	مجموعة اقاصيص	في الوظيفة
١٩٤٥	يوليو	سنة		سعد بن ابي وقاص
١٩٤٦	فبراير	سنة	مجموعة اقاصيص	همزات الشياطين
١٩٤٦	اكتوبر	سنة		ابناء ابي بكر الصديق
١٩٤٧	يناير	سنة	مع محمد محمد فرج	الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج
١٩٤٧		سنة	رواية	في قافلة الزمان
١٩٤٨	مايو	سنة		اهل بيت النبي
١٩٤٩		سنة	قصّة	اميرة قرطبة
١٩٥٠	مايو	سنة	قصة	النقاب الازرق
١٩٥١		سنة		المسيح عيسى بن مريم
١٩٥١		سنة		محمد رسول الله ( مترجمة )
١٩٥١		سنة		قصص من الكتب المقدسة
١٩٥٢		سنة	رواية	الشارع الجديد
١٩٥٣		سنة	مجموعة اقاصيص	صدى السنين
١٩٥٤		سنة		حياة الحسين
١٩٥٤		سنة	قصة	قلعة الابطال
١٩٥٧	ديسمبر	سنة	قصة	المستنقع
١٩٥٨	يناير	سنة		ام العروسة
١٩٥٨	مارس	سنة	قصة	وكان مساء
١٩٥٨	يوليو	سنة	قصة	اذرع وسيقان
١٩٥٩	سبتمبر	سنة	رواية	الحصاد



## الطبعة الاولى

سنة ١٩٦١	القصة من خلال تجاربي الذاتية
أكتوبر سنة ١٩٦٢	قصة جسر الشيطان
ديسمبر سنة ١٩٦٣	مجموعة أقاصيص ليلة عاصفة
يناير سنة ١٩٦٤	قصة النصف الآخر
يونيو سنة ١٩٦٥	رواية السهول البيض
يوليو سنة ١٩٦٧	قصة وعد الله وإسرائيل
يناير سنة ١٩٧٢	قصة عمر بن عبد العزيز
أكتوبر سنة ١٩٧٢	قصة الحفيد
فبراير سنة ١٩٧٤	( قصة حياة المؤلف ) هذه حياتي
أبريل سنة ١٩٧٤	تكريات سينمائية
١٩٨٣	تشكك الموسيقى
١٩٨٣	خفقات قلب
١٩٨٣	صور وتكريات
١٩٨٣	الأسراء والمعراج
أبريل سنة ١٩٨٤	عدو البشر ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٤	النمسر ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٤	الله أكبر ( سيناريو وحوار )
١٩٨٥	أبطال الجزيرة الخضراء
١٩٨٥	ثلاثة رجال في حياتها
١٩٨٥	مسجد الرسول
أبريل سنة ١٩٨٦	نات اليعازر ( سيناريو وحوار )
أبريل سنة ١٩٨٦	آدم إلى الأبد ( سيناريو وحوار )

## القصص الدينية

( للأطفال )

في ١٨ جزءا	قصص الانبياء
في ٢٢ جزءا	قصص السيرة
في ٢٠ جزءا	قصص الخلفاء الراشدين
في ٢٤ جزءا	العرب في أوروبا

# مَحَدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

## في عشرين جزءا

- |             |                           |
|-------------|---------------------------|
| أكتوبر ١٩٦٥ | ١ - إبراهيم أبو الأنبياء  |
| مارس ١٩٦٦   | ٢ - هاجر المصرية أم العرب |
| سبتمبر ١٩٦٦ | ٣ - بنو اسماعيل           |
| فبراير ١٩٦٧ | ٤ - العدنانيون            |
| مايو ١٩٦٧   | ٥ - قرشي                  |
| يولية ١٩٦٧  | ٦ - مولد الرسول           |
| أكتوبر ١٩٦٧ | ٧ - اليتيم                |
| يناير ١٩٦٨  | ٨ - خديجة بنت خويلد       |
| مارس ١٩٦٨   | ٩ - دعوة إبراهيم          |
| مارس ١٩٦٨   | ١٠ - عام الحزن            |
| سبتمبر ١٩٦٨ | ١١ - الهجرة               |
| نوفمبر ١٩٦٨ | ١٢ - غزوة بدر             |
| يناير ١٩٦٩  | ١٣ - غزوة أحد             |
| مايو ١٩٦٩   | ١٤ - غزوة الخندق          |
| يونية ١٩٦٩  | ١٥ - صلح الحديبية         |
| نوفمبر ١٩٦٩ | ١٦ - فتح مكة              |
| نوفمبر ١٩٧٠ | ١٧ - غزوة تبوك            |
| مايو ١٩٧٠   | ١٨ - عام الوفود           |
| نوفمبر ١٩٧٠ | ١٩ - حجة الوداع           |
| ديسمبر ١٩٧٠ | ٢٠ - وفاة الرسول          |



مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - النجيلة

دار مصر للطباعة  
سميد جودة السحار وشركاه